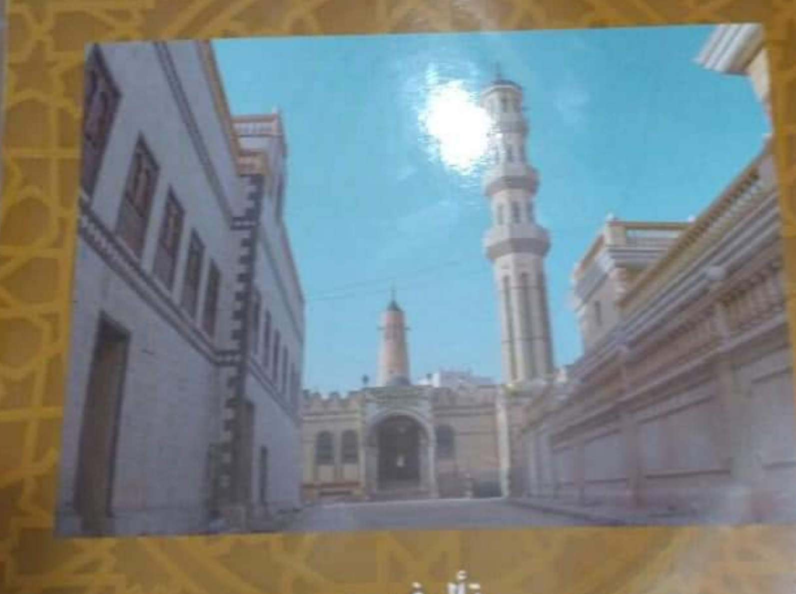
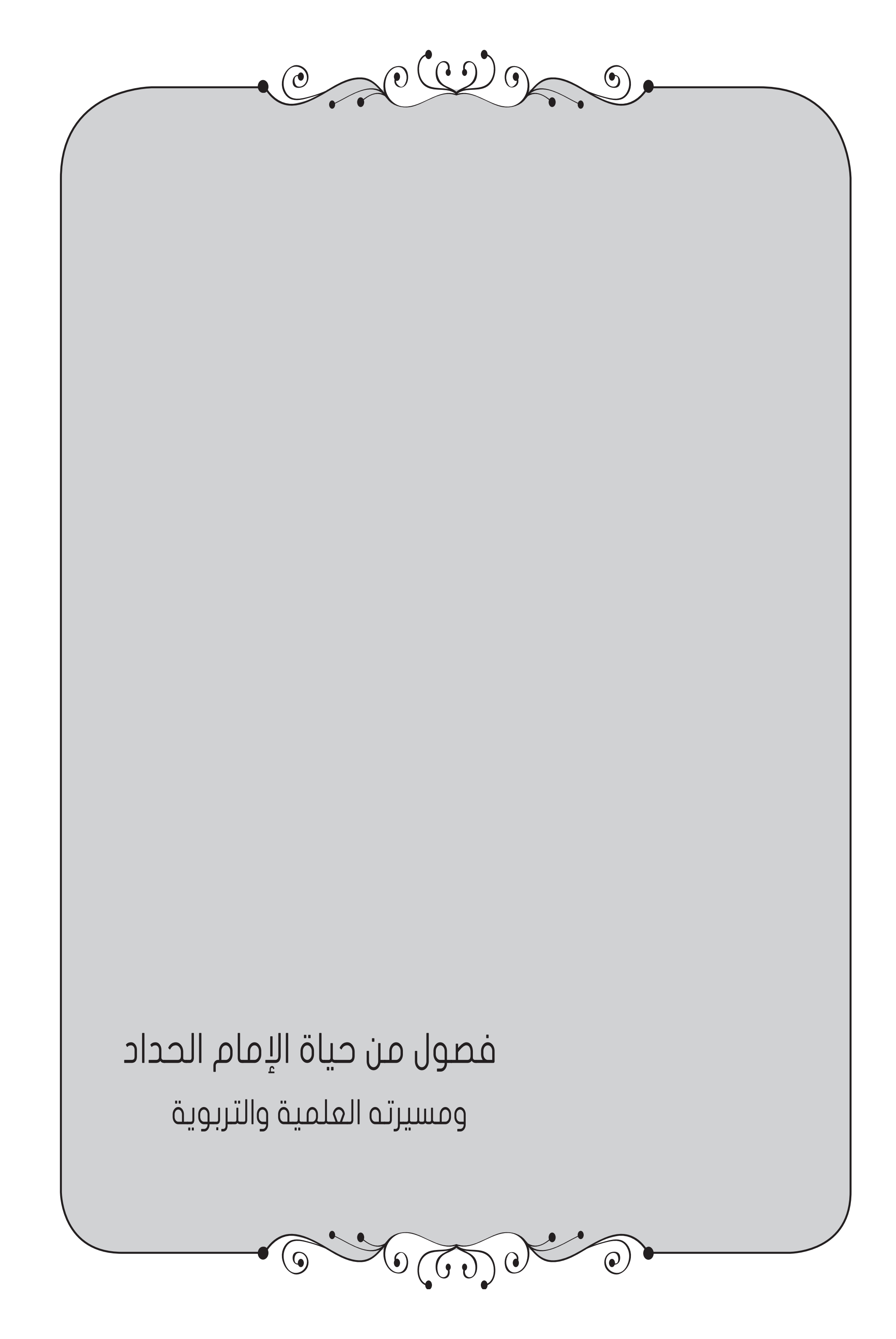


فصول من حياة الإمام الحداد



تأليف

الأستاذ : منير بن سالم سعد بازهير



فصول من حياة الإمام الحداد

ومسيرته العلمية والتربوية



الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

عنوان الكتاب: فصول من حياة الإمام الحداد

تأليف: الأستاذ/ منير بن سالم سعد بازهير

عددالصفحات: ٣٠٢

قياس القطع: ١٤,٨ × ٢١

الإخراج الالكتروني

مكتب بن سميط

للصف والتنسيق والطباعة

جوال: 735206217 EM: alwi.a.ms40@gmail.com

التنفيذ الطباعي

مؤسسة الأصالة

للثقافة والتراث والتنمية

فصول من حياة الإمام الحداد

ومسيرته العلمية والتربوية

١٠٤٤ - ١١٣٢هـ

إعداد وتقديم

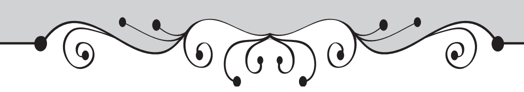
الأستاذ/ منير بن سالم سعد بازهير

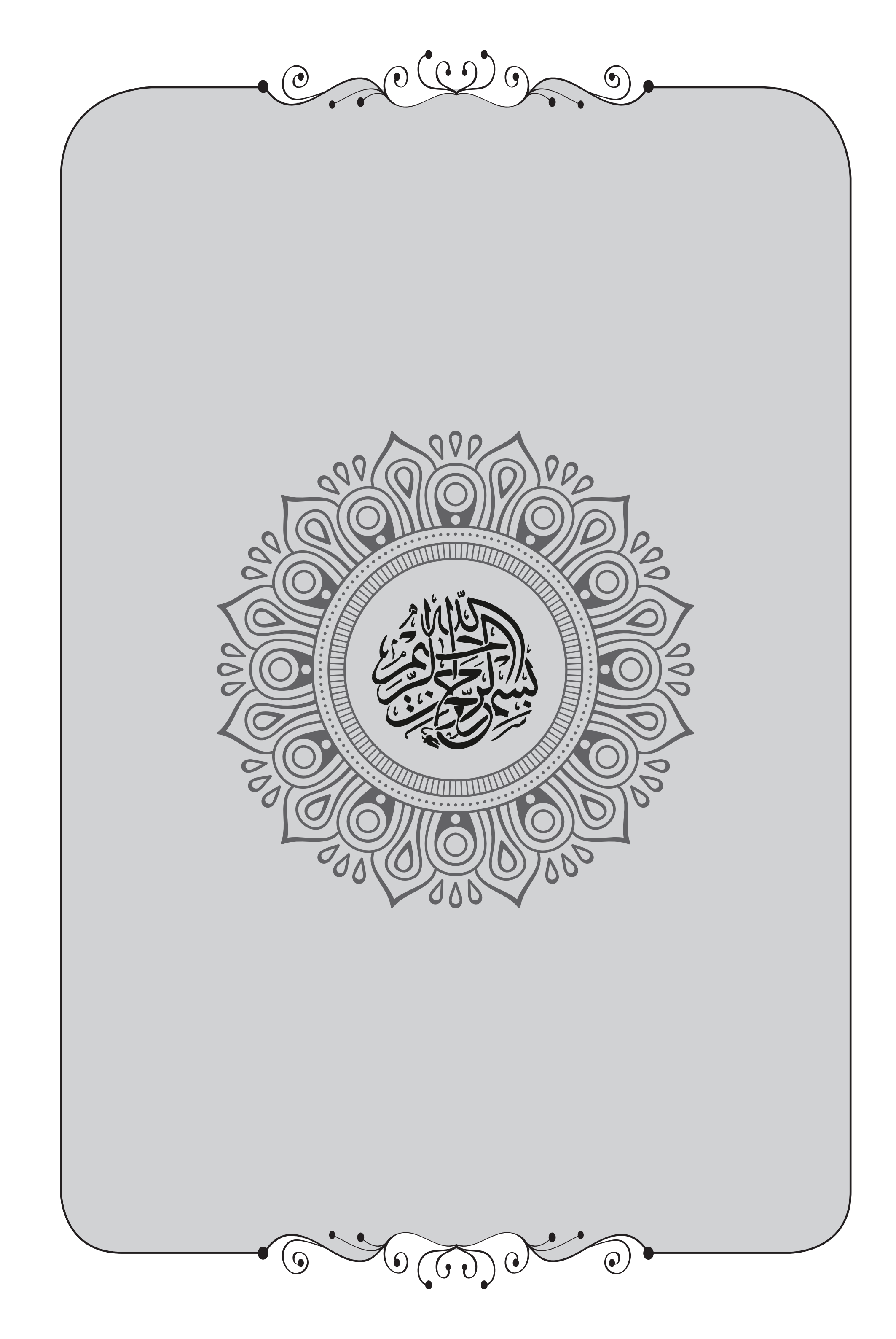
أربعة أبحاث قدمت كمشاركات بحثية

في حوليات الإمام الحداد المنعقدة:

بعدن - وشعب الإمام المهاجر بحضرموت

في فترات متفاوتة





مقدمة الناشر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

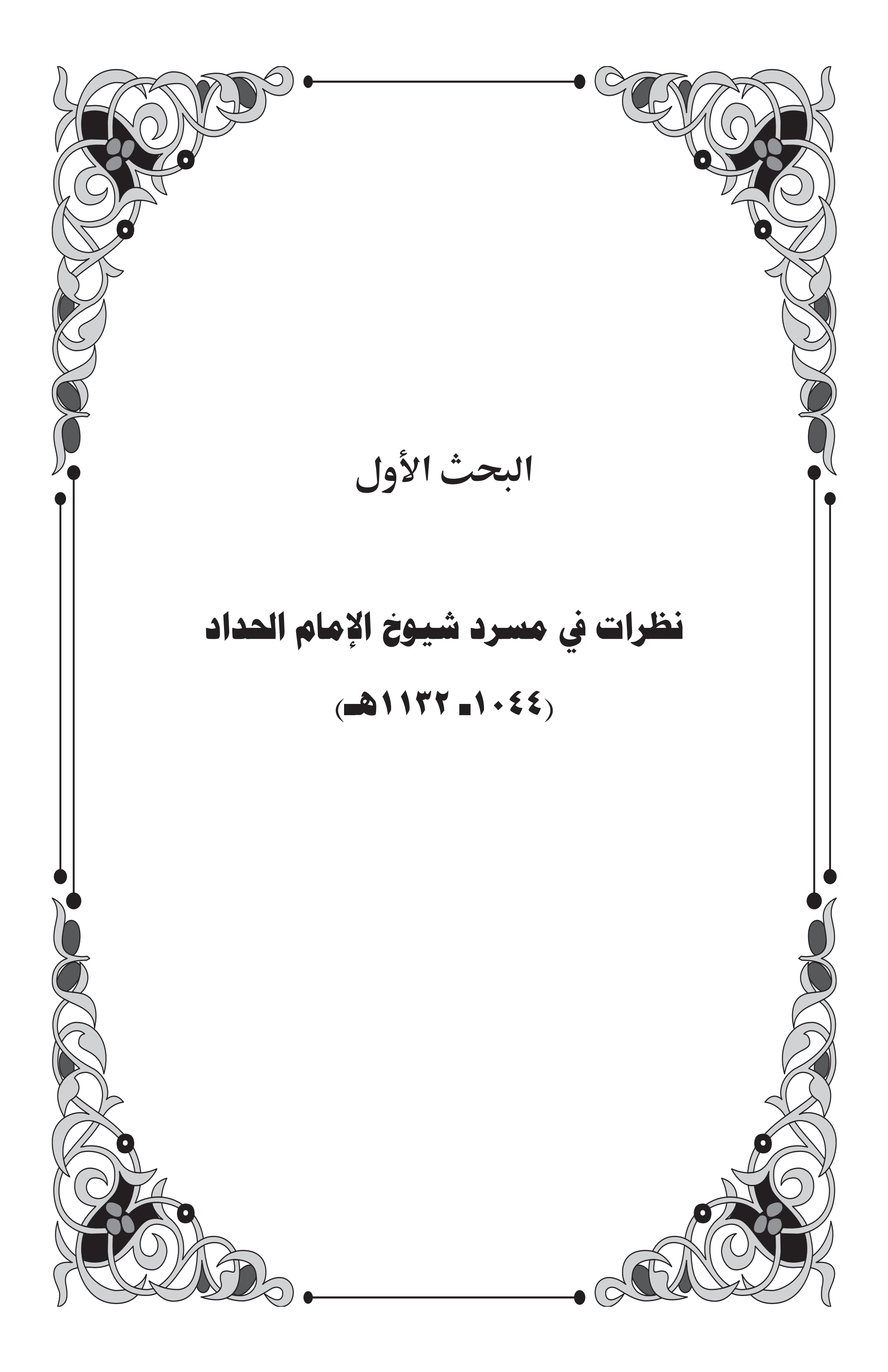
فإن الإدراك لسير وتراجم رجال التجديد والإصلاح والعلم والتعليم .. ليعد من أهم المعينات الباعثة لروح الأمل وبث روح الحياة الايجابية في مجتمعاتنا المعاصرة وربطها بثقافته الأصيلة ، ففي هذا الصنيع الإنهاض للهمم الفاترة ، والبعث للطاقات الكامنة ، لتبرز نشاطاً مميزاً تتجلى آثاره على أجيالنا في مختلف اتجاهات الحياة ، علماً وعملاً .. وقيماً نبيلةً .. وأعمالاً حميدة .. تنتعش بها حياة الأفراد والشعوب والمجتمعات .. في أصعدة كثيرة وعلى مستويات عديدة .. وهي من الأمور التي جعلتها مؤسسة الأصالة للثقافة والتراث والتنمية بتريم نصب عينيها في هذه المرحلة الحرجة التي يعيشها وطننا وأمتنا .

وقد تناول الأستاذ الباحث منير بن سالم بازهير شخصية مهمة من شخصيات العلم والتجديد في مدينة تريم التي كان لها صداها في تريم وفي حضرموت .. واليمن بطوله .. ثم العالم بأسره .. وهي شخصية الإمام عبدالله بن علوي الحداد رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وقد أدار الباحث أبحاثه الأربعة كمشاركات في حوليات بعدن وشعب المهاجر حول شخصية هذا الإمام .. مبتدأ بمسرد شيوخه .. فأسباب النبوغ والتأثير في شخصيته .. فأثر تلاميذه العلمي والدعوي على الصعيدين المحلي والعالمي .. ثم تطرق لِلمحات معمقة عن منهجيته العلمية في علوم الشريعة المختلفة .. وأبرز صورة متكاملة لملامح التجديد في حياة الإمام الحداد .. وطبيعة الحياة العلمية في عصره .. وفتح سبلاً أولية نحو الدراسة المؤصلة لحياة الإمام الحداد وحياة تلاميذه .. بل والحياة العلمية في عصره .. وأثرها على واقع تريم والعالم .. وهو جهد أولي موثق من المصادر الأساسية الخاصة بحياة الإمام الحداد .. وستتبعه - بإذن الله تعالى - دراسات أكثر عمقاً عن الإمام الحداد والحياة العلمية في عصره .. وقد طرق الباحث منير بازهير أبوابها .. ونأمل منه ومن غيره متابعة الجهد في تجلية آثار واتجاهات الحياة العلمية في عصر الإمام الحداد .. ولا نشك أن لذلك آثار بالغة في انهاض الحياة المعاصرة من خلال استلهام تجارب السلف العدول من رجال مدرسة حضرموت .. وبث أسرار تفوقهم في الوجود .. لنعيش حاضرنا من خلال قواعدهم السنية .. ونصنع أمجاداً تستند على سر إخلاصهم ومتانة تجاربهم .. وشريف نصحهم وإرشادهم .. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .. وبالله التوفيق .

محمد بن عبدالله بن عبد القادر الجنيد

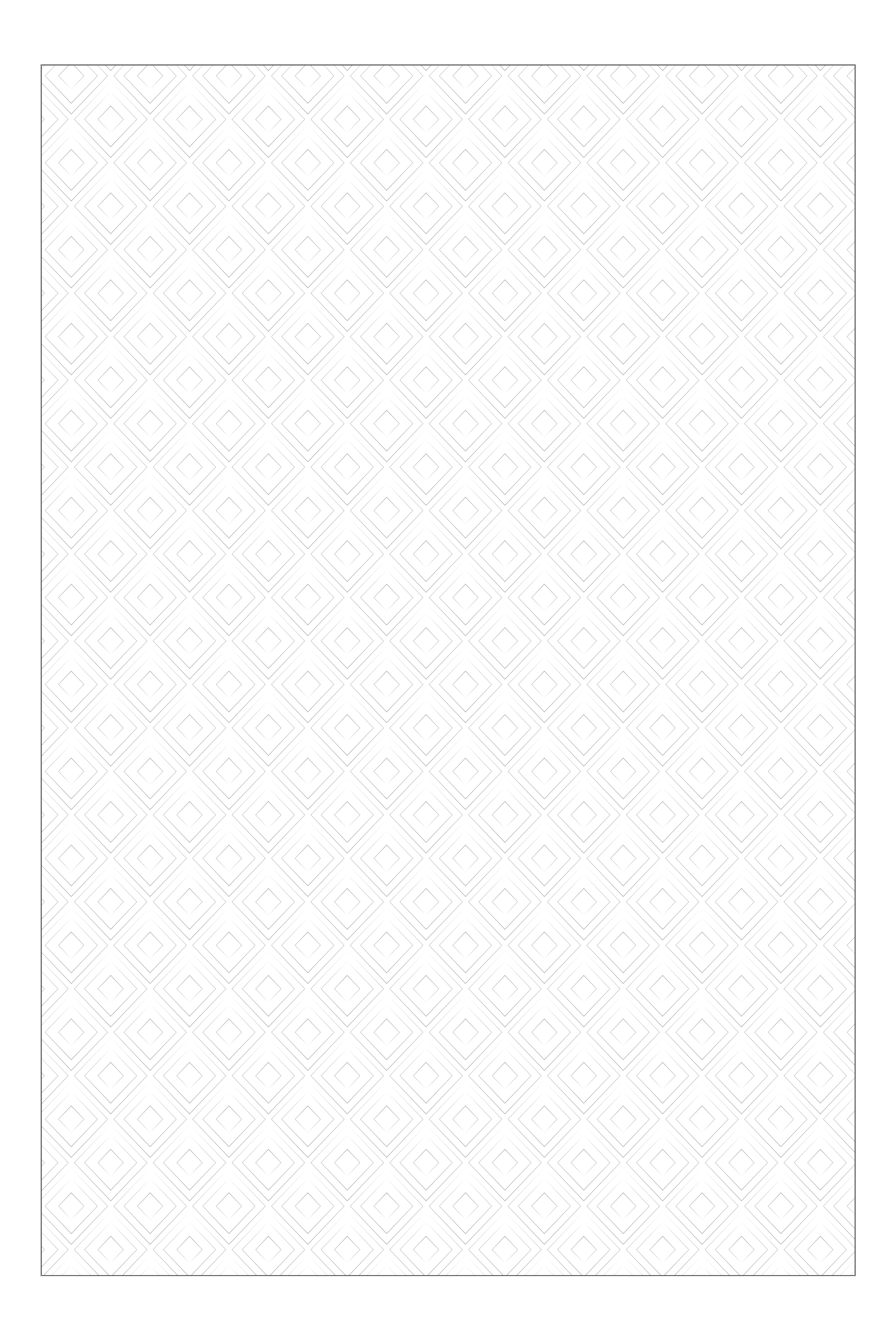
رئيس مؤسسة الأصالة للثقافة والتراث والتنمية بتريم



البحث الأول

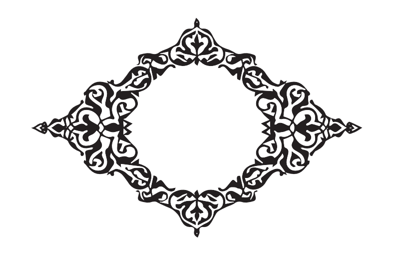
نظرات في مسرد شيوخ الإمام الحداد

(١٠٤٤ـ ١١٣٢هـ)



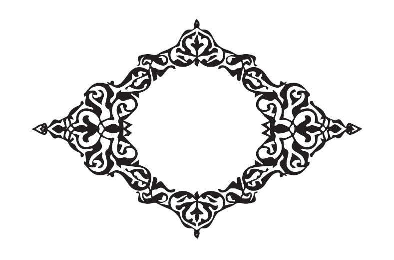
الإهداء

إلى كل شيوخي .. وكل طلاب المعرفة .. لنقف على مفاتيح التفوق .. وسبل التميز .. باقتفاء آثار رجال السلامة وحمال الأمانة ..



شاهد الحال

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].



مقدمة البحث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد:

فإن دور الإمام الحداد العلمي والتربوي ، وتأثيره العالمي البالغ على واقع حضرموت والعالم ؛ لواضح مشهور ، لا يخفى على عالم متضلع وباحث منصف . ولتراثه العلمي والمعرفي من الحضور والتأثير في المجتمعات الإسلامية ما لا يجهله باحث ، سواء من حيث حضور مؤلفاته المتعددة في مختلف المكتبات الإسلامية ، أو ترجمتها لكثير من لغات العالم الحية ، بغية الاستفادة منها .. أو من حيث حضور قصائده في مختلف محافل ومجالس التذكير ببلدان العالم ، وهي بالطبع تُضفي على الأرواح السامعة لواعج التشوق إلى مقامات الإيمان السامقة .. والتجافي عن زخارف الدنيا الفانية .. والإقبال على الله تعالى بالكلية .. كما ترتقي القصيدة الحدادية بالسامع الواعي إلى مقامات الحب الصادق لله ولرسوله ، ولأئمة الدين من رجال العلم والصلاح ..

يضاف إلى ذلك انتشار ورده (**اللطيف**) و (**راتبه**) المنيف في كثير من

البقاع العربية وغير العربية ، بحيث يندر أن تجد بلدة مسلمة لا يترنم أهلها بهذه الأذكار النبوية ، التي تسهم في تحصين أهل الإسلام من كثير من الطوارق والابتلاءات الحسية والمعنوية ، وهي مع هذا لا تخرج في حقيقتها عن الوارد في أمهات السنة من أحاديث نبوية ، تتصل بالتحصن والتعوذ وأذكاره المتصلة بالطوارق المختلفة ..

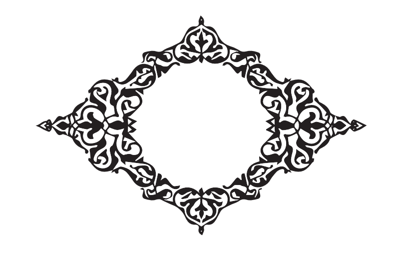
ومع أن الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - نشأ في بلد قصيٍ نوعاً ما عن حواضر العلم الكبيرة المشهورة في العالم العربي ، أمثال : الحرمين ، ومصر ، وبغداد ، والشام ، والمغرب .. وأعيق في بصره الظاهر بالعمى الذي كتبه الله عليه (وهو في الرابعة من عمره) ؛ إلا أنه مع كل هذه العوائق لم يتثبط ، بل شق طريقه إلى مسالك النفع العالمي لجميع أفراد الأمة ؛ منطلقاً من واقعه وإمكانياته ، متخطياً كل تلك العقبات القائمة به ، أو بالواقع الحضرمي في ذاكم الزمان ، ونجح نجاحاً باهراً في مسلكه العلمي والتربوي والفكري .

بل ومن الممكن أن نقول : أنه فاق في مسيرته العلمية والتربوية الكثير من المبصرين القاطنين في قطره ، بل حتى في أكبر الحواضر العلمية المجاورة أو البعيدة عن قطر حضرموت ، مع بعد المقارنة بينه وبينهم من حيث : ما هيئته لهم الأسباب المادية ، والمناخية ، والحياتية ، والطبيعية ، من معطيات التميز مما لم يتهيأ عشره لهذا الإمام الفذ .

وهو بتجربته تلك ، يقول : لجميع الأجيال الآتية من بعده : **إن الهمة والإخلاص والصبر ، تُعد من أقوى وأهم عوامل استمطار التوفيق الرباني ، الذي يسهم في توسيع دائرة النفع العالمي الكامل لجميع أفراد الأمة .**

كما يؤكد للجميع .. ولأبناء المرحلة المعاصرة بالخصوص ، قدرة (**مدرسة حضرموت**) وشيوخها وأسرها ، على تهيئة الذوات الواعية ، التي يمتد تأثيرها وخيرها ليعم بنفعه العالم بأسره والبسيطة بأكملها .

وفي هذا البحث اللطيف ، سأتكلم عن مسرد شيوخ الإمام الحداد ، ومدى تأثيرهم على شخصيته وتكوينه العلمي والمعرفي ، وقد سميت هذا البحث : (**نظرات في مسرد شيوخ الإمام الحداد**) ، والدافع على كتابة هذا البحث ، هو : الرغبة في استكشاف عمق التجربة الحدادية في الأخذ والتلقي ، والبلاغ والتكوين المعرفي ، هذا ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق ، والمن بالقبول لهذا العمل ، وحسن الانتفاع به ، والحمد لله رب العالمين .



ضرورة أخذ العلم عن الشيوخ وتحقيق الإمام الحداد لذلك

اشترط العلماء لصحة تحصيل العلوم ملازمة الشيوخ الثقات المسندين الأثبات ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ، فالشيخ المتمكن المتخرج بالشيوخ ، قدير على تكميل وترقية غيره في مدارج العلوم ، ومن لم يكتمل في معارفه وأحواله أنى له تكميل غيره .

فمن لازم العلوم وثافن العلماء ، وعرف مسالك العلم ، وقواعده وأصوله ، وبصر بطرائق تعليمه ، وعمل به ، وأخلص فيه ، صار أهلا للتعليم وإلا فلا .

وهذا مسلك جميع أئمة السلف ، فقد أخذ الصحابة العلم عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، والتابعين عن الصحابة ، وتابع التابعين أخذوه عن التابعين وهكذا ، ومن لم يكن له شيوخ ، تلقى عنهم العلم مسندا ، ثم ادعى العلم وتكلم فيه : فهو دعي فيه ، مجهول الهوية والنسب[1] .

وفي هذا الصدد يقول الإمام عَبْدَالله بْنَ الْـمُبَارَكِ – رَحِمَهُٱللَّهُ – : "الْإِسْنَادُ

(١) ((معالم إرشادية لصناعة طالب العلم)) بقلم الشيخ محمد عوامه: صـ ١٦٠ .

مِنَ الدِّينِ ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاء"[١] .

وكان أئمة السلف لا يلتفتون إلى من لم يكن له شيوخ في العلم ، ولا يقيمون له وزنا ولا اعتباراً ، ولا يرون فيه أهلية ؛ لأنه محل الخطل والزلل[٢].

وقِيلَ للإمام أَبِي حَنِيفَةَ – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – فِي الْـمَسْجِدِ حَلْقَةٌ يَنْظُرُونَ فِي الْفِقْهِ ، فَقَالَ : لَـهُمْ رَأْسٌ[٣] ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ لَا يَفْقَهُ هَؤُلَاءِ أَبَدًا[٤].

وقد أدرك الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أهمية الأخذ عن الشيوخ ، ولزوميته في تكميل شخصية طالب العلم ، فأخذ يقول[٥] :

ولابد من شـيخٍ تسـيرُ بسيرهِ   إلى الله من أهلِ النفوسِ الزكيةِ

وقال أيضا مبينا أهمية الشيوخ في مسلك التعليم[٦] :

فهم حجـةٌ للمؤمنـين بربهِم   وفيهم لمرتـاد الهدى خيرُ قدوةِ

وتحدث – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في كتابه ((آداب سلوك المريد)) عن صفات الشيخ المتأهل للتعليم فقال : " وكن شديد الحرصِ على طلبِ شيخٍ صالحٍ ، مرشدٍ

(١) مقدمة صحيح مسلم، ((صحيح مسلم)) : ١/ ١٥ .

(٢) ((معالم إرشادية)) : صـ ١٦١ .

(٣) أي شيخ راسخ في علوم الدين يتفقهون عليه .

(٤) ((آداب الفقيه والمتفقه)) للخطيب البغدادي : صـ ٧٩٠ .

(٥) ديوان الإمام الحداد المسمى : ((الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم)) : صـ ١٢٢ .

(٦) المصدر السابق : صـ ٩٣ .

ناصحٍ ، عارف بالشريعةِ ، سالك للطريقةِ ، ذائقٍ للحقيقةِ ، كامل العقلِ ، واسع الصدرِ ، حسن السياسةِ ، عارف بطبقات الناسِ ، مميز بين غرائِزهِم ، وفطرهم وأحوالِهِم "[١] ، فهذا النص على وجازته نص جامع لصفات العالم المتأهل للتعليم والتربية في آن واحد .

وأعاد وكرر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لزومية مجالسة الشيوخ في أكثر من موطن من كتبه ، لأهمية الأمر وخطورته ، فأخذ يقول كما في مجموع كلامه المعروف بـ ((تثبيت الفؤاد)) : " قد ضل أقوام بالكتب ، فلا يكون الرجال إلا بالرجال ، لا بالكتب "[٢] .

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فيما يتصل بذلك: " نحتاج أن لا يأخذ الإنسان العلم إلا من المتأهل[٣] للتعليم ، ومن أخذ من غير متأهل ، له أن يعمل به في نفسه ، ولا يعلمه الناس ، لأنه يحتاج في تعليمه إلى قواعد ، ولا يمكن إيرادها إلا بالتأهل ، ولا يتأهل له من لم يكن شيخه متأهلاً ، وإن تأهل لبعض العلم دون بعضٍ عَلَّمه "[٤] .

---

(١) ((آداب سلوك المريد)) : صـ ٥١ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٦٤ .

(٣) المراد بالمتأهل هنا : من أخذ العلوم بأسانيدها عن الشيوخ المتأهلين ، وشهد له هؤلاء الشيوخ بجودة الفهم وأجازوه في العلم والتعليم بعد تحققهم من إتقانه جميع ذلك .

(٤) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٤٦ .

ولهذا السبب حرص الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - على كثرة التلقي من الشيوخ ، ولاستزادة منهم ، فمع فقده للبصر ، لم يتأخر عن قصد الشيوخ للتحصيل والاستفادة ، ولم يعذر نفسه ، بل أخذ عن شيوخ تريم ، وعينات ، وحريضة ، والشحر ، والوهط ، واليمن والحجاز، وارتحل إليهم ، وتكلف المشاق في تحصيلهم ، وبهذا اكتملت معارفه ، واتسعت دائرة علومه ، فبز أقرانه ، وأفاض من نور علمه على أهل زمانه ، وعلى غير أهل زمانه .

وفي سبيل تحصيله للعلوم النافعات ؛ ولحرصه على الارتباط بأهل العلم والمعرفة وعظيم الصفات ، تكررت زيارته لدوعن وحريضة ثلاث مرات .

وفي سنة (١٠٧٩هـ) ، زار الشحر ، واليمن ، وعدن والوهط ، ثم الحجاز ، وكانت هذه سنة حجه عليه رحمة الله تعالى ، وفيها التقى بأكابر العلماء وباحثهم واستفاد منهم وأفادهم[١] .

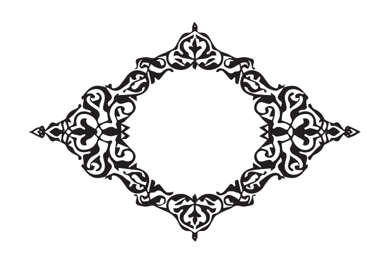
فلاحظ أخي الحبيب أنه مع فقده للبصر .. لم يتأخر عن الرحلة في طلب العلم ومجالسة أهله ورجاله . ولم يكتف الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في رحلته في تحصيل العلوم بأخذ المشافهة فقط ؛ بل حرص على الاستزادة العلمية ، والارتباط برجال العلم ولو عن طريق المكاتبة والمراسلة ؛ وذلك مثل ارتباطه بالمكاتبة بشيخه الإمام محمد بن علوي السقاف نزيل مكة والمتوفى بها سنة (١٠٧١هـ) في

---

(١) «غاية القصد والمراد» : ١/ ٥١ و : ١/ ٥٦ - ٥٧ و : ١/ ٢٠٩ و: ١/ ٢١٧ .

شهر ربيع الثاني لأربع عشرة ليلة خلت منه ، وكذا مكاتبته للعلامة أحمد بن محمد القشاشي المتوفى بالمدينة المنورة سنة (١٠٧١هـ)[1] ، وفي كتابه « المكاتبات » تقف على نماذج من مكاتباته لأهل العلم بل ومباحثاتهم له .

وهو من خلال فعله هذا يزري بأهل الزمان الأخير ، الذين زهدوا في تلقي العلوم النافعة عن علماء بلدانهم ، فضلاً عن غيرهم ، فضلاً عن مكاتبتهم والارتحال إليهم ، وهذا التقاعس طامة كبرى تؤذن بموت العلم ، والأمر في كل هذا لله من قبل ومن بعد .



(١) ينظر تفصيل ذلك في « شرح العينية » : صـ ٢٥٧ وما بعدها ، وفي « تثبيت الفؤاد » : ١/ ٣٠٥ - ٣٠٦.

مسرد شيوخه وتراجم مشاهيرهم

اهتم بذكر وتعداد شيوخ الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ، عدد من تلاميذه الأفاضل ، منهم : عبدالكريم الشجار في مجموع ما لخص من كلامه في كتاب ((تثبت الفؤاد))[١] في مواضع متفرقة منه ، وكذا العلامة أحمد بن زين الحبشي في ((شرح العينة)) ، والعلامة محمد بن زين بن سميط في ((غاية القصد والمراد)) و ((بهجة الزمان)) .

وقد تحدث الإمام الحداد بنفسه عن عدد شيوخه على جهة الإجمال لا التفصيل ، فقال مخاطباً لتلميذه الإمام أحمد بن زين الحبشي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " فاعلم أنَّا لقينا وأخذنا عن خلق كثير ، وجماعة يطول عدهم ، من السادة آل أبي علوي وغيرهم ، ممن أدركناه بتريم ، وجهة حضرموت ونواحيها ، وممن لقيناه في حال سفرنا للحج بالحرمين الشريفين ، وباليمن ، والظاهر أن لو عددناهم يزيد عددهم على المائة ، ما بين عارف ، وأخ صالح "[٢] .

ووردت رواية أخرى تناولت تحديد عدد شيوخه ، ساقها العلامة الشجار

(١) ١/٢٢٣ و : ١/٣٠٦ .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ١/٢٠٩ .

في كتاب ((تثبيت الفؤاد)) فقال قال الإمام الحداد : " وقد أخذنا عن كثيرين من المشايخ ، لو عددناهم بلغوا مائة وأربعين "[١] ، ولعل هذه الرواية بينت المراد من قوله في العبارة السابقة القائلة: (يزيد عددهم على المائة) فكانت الأربعين التي وردت في الرواية الثانية هي تلك الزيادة المشار إليها ، وبهذا يتم الجمع بين الروايتين ، ويمكن الجمع بقولنا : أخذ أولاً عن مائة ؛ ثم مكنه الله من الأخذ عن غيرهم فبلغوا العدد المذكور في الرواية الثانية .

وفي قصيدة الإمام الحداد ((العينية)) ذكر لمسرد أشياخه بلغة الشعر وإشارته ، فقال فيها :

وجماعــة منهــم أخذنــا عنهم	علم الطريق القصد فانصت واسمع
مثل الجمال نزيل مكة شـيخنا	والفخــر والصوفي عقيل المصقع
وأبي حسين عمر العطاس من	قد صار من أهل اليقين بموضع
ووجيــه دين الله مــع نجل له	يدعى بشيخ والمنيب الأخشع
وكصاحب الشحر ابن ناصر أحمد	من بالعنايــة والرعاية قد رعي
وبقية في العــصر منهم عمروا	لتكــون فيهــم متعــة المتمتع

وقد تضمن هذا النظم على وجازته الإشارة إلى ثمانية من شيوخه ، وهم زبدتهم وخلاصتهم ، وهم على الترتيب التالي :

١. السيد محمد بن علوي السقاف صاحب مكة .

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٤٣ ، و ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢٠٩ .

٢. الفخر السيد أبوبكر بن شهاب الدين .

٣. السيد عقيل بن عبدالرحمن السقاف .

٤. السيد عبدالرحمن عيديد .

٥. السيد شيخ بن عبدالرحمن عيديد .

٦. السيد شيخان بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم .

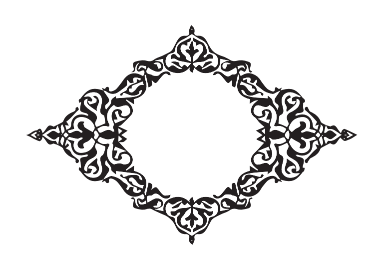
٧. السيد أحمد بن ناصر بن الشيخ أبي بكر بن سالم .

٨. والسيد عمر بن عبدالرحمن العطاس .

وسنتكلم عن تراجمهم بشكل أوسع قريباً ، وبالتتبع والغوص في المصادر أضفنا إليهم إحدى عشر شيخاً من الشيوخ الأكارم ، سأنصص على محال ذكرهم عند الترجمة لهم .

وبالطبع فأنني في هذا البحث لن أستوعب هذا الكم الهائل من الشيوخ الذين فاقوا المائة ، ولكن بعد النظر في مجموع ما كتب من كتب عن هذا الإمام ، أو قاله هو عن شيوخه ، لم أظفر إلا بمجموعة يسيرة منهم ، لم تتعدى تسعة عشر شيخا ، وهذا لا ينفي وجود غيرهم ، خصوصاً وأنه قد ذكر عددهم الكلي بنفسه ، ولكن لعل الذي منعه من الاستقصاء : ابتعاده عن حب المفاخرة بالشيوخ ، أو أنه لم يذكر أكثرهم لكبر السن وبعد الزمان ، أو لعلة أخرى ، وقد ألمح الإمام الحداد إلى هذا بقوله : " وقد سئلنا مرات في أن نعدهم ، ونذكر شيئا من مناقبهم ،

فمنعتنا عن ذلك عوارض الزمان، وقلة رغبة أهله في هذا الشأن، وموانع أخر، وما كل عذر يتهيأ ذكره، كما قال الإمام مالك بن أنس - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - "[1].



(١) «النفائس العلوية»: صـ ١٥١.

أولاً: تراجم شيوخه الذين ذكرهم في قصيدته العينية

إن من أشهر شيوخ الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - شيوخه الثمانية الذين ضمنهم في أبيات قصيدته «العينية» ، وما ذكرهم في العينية إلا لعلو منزلتهم في قلبه ، ولهذا سنبدأ بهم في هذا المبحث ، مع أنني بالتتبع لكلامه وكتبه ، وكتب تلاميذه ، أضفت عليهم إحدى عشر آخرين ، وعند الاستيعاب بالقراءة لكل ما كتب عن الشيخ ، سنقف على شخصيات أخرى بلا شك ، وخاصة أن الإمام الحداد قد أخبر أن عددهم يفوق المائة كما تقدم ، ولذا فالقراءة لكل ما كتب عن الشيخ أمر مهم جداً ، سيفيد بلا شك في بيان مسرد من تبقى من الشيوخ وعددهم ؛ لأن في كثير من فقرات كلام الإمام الحداد ، ذكر لأفرادهم ، سواء في (التثبيت) أو في أصله ، وهذا ما فعلته فعلاً في الوصول إلى من تفردت بإبرازهم من مشايخه .

❁ ❁ ❁

الشيوخ المذكورين في العينية

وهم ثمانية .. وإليك تراجمهم مفصلة حسب الإمكان :

١. **السيد العارف الإمام محمد بن علوي السقاف المكي**[١] :

أخذ عنه الإمام الحداد بالمكاتبة ، ولبس منه الخرقة مراسلة ، وهو المعني بقوله في ((العينية)) : " مثل الجمال نزيل مكة شيخنا " .

ولد هذا السيد ببندر الشحر سنة (١٠٠٢هـ)، وصحب العلماء الأعيان ، وأول من صحبه السيد العارف أحمد بن ناصر بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، وتربى في حجره ، وأخذ عن السيد الفقيه عمر باعمر .

ثم رحل إلى تريم وأخذ عن : السيد زين العابدين علي بن عبدالله العيدروس ، والسيد أحمد بن حسين العيدروس ، والسيد عبدالله بن أحمد العيدروس ، والسيد عقيل بن عبدالرحمن السقاف ، والشيخ زين بن حسين بافضل .

وأخذ بعينات عن : الإمام الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، وأخويه الحامد والحسن ، وأخذ عن الشيخ حسن باشعيب ، ولبس منه الخرقة الشريفة .

---

(١) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢٢٠ ، و ((عقد اليوقيت)) : ٢/ ٩٤٣ ، ((النفائس العلوية)) : صـ ١٥٢ ، ((المشرع الروي)) : ١/ ١٩٢ .

ورحل إلى الهند وأخذ عن العلامة عبدالقادر بن شيخ العيدروس ، والعلامة محمد بن عبدالله العيدروس ، وأمره شيخه عبدالقادر بن شيخ ، بالرحلة إلى الوهط للأخذ عن عبدالله بن علي السقاف صاحب الوهط ، فرحل إليه ولازمه .

ثم رحل إلى مكة وأقام بها إلى أن توفي سنة (١٠٧١هـ) ، وقبره بالمعلاة بجانب أم المؤمنين خديجة – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا – كذا في كتاب ((المشرع)) .

قال الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وأما الشيخ محمد بن علوي فكان يكتب في كل كتاب يكتبه إلينا : من الداعي بطول البقاء ، وعلو الارتقاء ، محمد بن علوي ، إلى السيد الفاضل فلان [يعني الإمام الحداد] .

قال : وأجازنا إجازة عامة ، في الخرقة وفي غيرها ، ونجيز فيها عموما ، وأرسل إلينا يأمرنا بالخمول ، وعدم الشهرة ، وذكر أنه حصل له من ذلك تعب كثير "[١] .

٢. **السيد العلامة أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين**[٢] :

قال عنه الإمام الحداد : ولقينا السيد القدوة أبا بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين ، قلت : وهو المعني بقوله في قصيدته ((العينية)) : " والفخر " .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٠٦ .

(٢) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢١٠ ، ((شرح العينية)) : صـ ٢٥٩ .

قال السيد عبدالله في ((العينية)) :

مثل الجمال نزيل مكة شيخنا و"الفخر" والصوفي عقيل المصقع

ولد هذا السيد بتريم ، وحفظ القرآن العظيم ، وتفقه بالفقيه العلامة محمد بن إسماعيل ، ولازم درس والده حيث كان من أكابر العلماء ، وقد أخذ عنه أخذاً تاماً ، في الفقه والحديث ، والأصول والتفسير والتصوف ، وأخذ عن أخيه الهادي بن عبدالرحمن ، وعن الشيخ عبدالله العيدروس بن شيخ ، ورحل إلى اليمن ، والحرمين وجاور هناك مدة .

وأخذ عن السيد العلامة عمر بن عبدالرحيم البصري ، والشيخ أحمد بن علان ، والشيخ عبدالعزيز الزمزمي ، وسمع من كثيرين ، وكانت وفاته سنة (١٠٦١هـ) .

٣. **السيد العارف عقيل بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن عقيل السقاف**[١]:

أخذ عنه الإمام الحداد وتردد عليه ، ووصفه بقوله : " السيد الصوفي الملامتي ، عقيل بن عبدالرحمن بن عقيل السقاف ، ترددنا عليه ، وأخذنا عنه ، ولبسنا منه الخرقة ، وذكر لي عند الإلباس أنه لم يلبس أحداً غيري " .

وإليه الإشارة : بـ(الصوفي عقيل المصقعِ) في بيت ((العينية)) السابق.

---

(١) مصادر ترجمته: ((غاية القصد والمراد)): ١/ ٢١٠، ((شرح العينية)): صـ٢٦٠، ((بهجة الزمان)): صـ٨-٩، و ((شمس الظهيرة)) : ١/ ١٨٩ .

قال العلامة أحمد بن زين الحبشي : " وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ محققاً لاصطلاحات الصوفية ، وله اعتناء تام بعلوم القوم " ، ولد السيد عقيل بتريم ، وبها مات وقبر بمقبرة أسلافه بزنبل ، كانت وفاته سنة (١١٠٠هـ) .

٤ . **السيد العلامة عبدالرحمن بن شيخ عيديد**[(١)] :

أخذ عنه الإمام الحداد أخذاً تاماً ، وكان يرفع الإمام الحداد عنده على السرير دون غيره ، حينما يقصده للتعلم والأخذ ، ويقول : مرحبا بشيخ الجماعة أو سيد الجماعة ، وفي هذا إشارة واضحة إلى علو شأنه ومعرفة هذا الشيخ بما سيرتقيه هذا الناشىء من مقامات في العلوم والمعارف .

وقد ذكر الإمام الحداد شيخه عبدالرحمن عيديد مع ولده شيخ في قوله في قصيدة ((العينية)) :

ووجيـه دين الله مـع نجل له — يدعى بشيخ والمنيب الأخشع

وقد أخذ السيد عبدالرحمن عيديد عن : عبدالله بن أحمد العيدروس المعرف بصاحب الطاقة ، وأدرك الشيخ أبا بكر بن سالم صاحب عينات .

قال في ((الشجرة العلوية)) : " كان من أكابر العلماء والعارفين ، والأئمة المهتدين ، إذا رأى منكرا بادر إلى إزالته ، ولا يخاف لومة لائم ،

(١) مصادر ترجمته : ((النفائس العلوية)) : صـ١٥٢ ، و ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢١٠ و : ١/ ٢١٥ ، و ((بهجة الزمان)) : صـ ٥ – ٦ ، و ((شرح العينة)) : صـ٢٦٣ وما بعدها ، و ((عقد اليواقيت)) : ٢/ ٨٦٨ – ٨٦٩ ، و ((إتحاف المستفيد)) : صـ ٢٨٢ وما بعدها .

ولا بطشة ظالم) ، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٠٦٨هـ .

٥. **السيد العلامة شيخ بن عبدالرحمن بن شيخ عيديد**[١] :

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيداً جليلاً ، متفقاً على جلالته بين أهل عصره ، وقد أشار الإمام الحداد إليه بعد والده في ((العينية ((بقوله : " مع نجل له يُدعى بشيخ " ، أخذ هذا السيد عن عبدالله بن أحمد بن حسين العيدروس وعن غيره ، كانت وفاته بتريم سنة (١٠٦٢هـ) ، قبل والده بسبع سنوات ، كما في ((إتحاف المستفيد)) ، وهو باني مسجد الشيخ عيديد بالنويدرة .

٦. **العلامة شيخان بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم**[٢] :

أخذ عنه الإمام الحداد وأشار إليه في ((العينية)) بقوله : " والمنيب الأخشعِ " .

قال العلامة أحمد بن زين الحبشي في شرح ((العينية)) : " كان سيداً عظيما كثير البكاء والحزن ، متواضعا كثير الذكر والطاعة ، يكثر السؤال عن مآثر الخير والصلاح ، وينشد من أتاه من الزوار عن كيفية إقامة المساجد ، وإقامة الرواتب فيها " كانت وفاته سنة (١٠٩١هـ) .

---

(١) مصادر ترجمته : ((النفائس العلوية)) : صـ١٥٢ ، و ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢١٠ و : ١/ ٢١٥ ، و ((بهجة الزمان)) : صـ٦ – ٧ ، و ((شرح العينة)) : صـ ٢٦٤ وما بعدها ، و ((عقد اليواقيت)) : ٢/ ٨٦٨ – ٨٦٩ ، و ((إتحاف المستفيد)) : صـ ٢٨١ وما بعدها .

(٢) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٤٦ و : ١/ ٢١٠ ، و ((شرح العينة)) : صـ ٢٦٥ .

أقول : وسؤاله عن أحوال المساجد بأرض حضرموت ، وما يدور فيها من مجالس العلم والذكر ، يدل على اهتمامه بالأمة المحمدية ، وحرصه على شيوع الخير والنور فيها ، فحياة المساجد والمجتمعات إنما تكون بالعلم والذكر والعبادة ، واهتمامه هذا دليل على إدراكه لأهمية شيوع الخيور في المجتمعات ، وفي الحديث الشريف ((**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**))[١] .

كما أفاد النص : أنه من أهل الاستكثار من الذكر الذي هو عماد الطريق ، وأفاد أنه من أهل رقة القلوب ، وديمومة البكاء والخشية ، وهذا أمور تؤكد بالغ صلاحه – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – .

٧. **السيد العارف أحمد بن ناصر بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم**[٢] :

اجتمع به الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في الشحر في سنة (١٠٧٩هـ) ، وأخذ عنه ، وعقدت بينهما الأخوة ، وأثنى عليه ثناء عظيماً ، ووصفه وصفاً حسناً ، وكان غاية في الزهد ، وعدم المبالاة بالدنيا ، وقلة النظر في أحوالها ، توفي بالشحر سنة (١٠٨٢هـ) .

قال الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " أنّا لما اجتمعنا بالسيد أحمد بن ناصر بالشحر وجدناه فوق ما توهمناه من الكمال " .

---

(١) ((شعب الإيمان)) : ١٣/ ١٥٥ ؛ الحديث رقم (١٠١٠٢) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

(٢) مصادر ترجمته : ((شرح العينة)) : صـ ٢٦٥ وما بعدها ، و ((بهجة الزمان)) : صـ ٣٤ – ٣٥ .

٨. السيد العلامة العارف عمر بن عبدالرحمن العطاس[(١)] :

وهو من أجل شيوخ الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – تردد عليه إلى حريضه ثلاث مرات وأخذ عنه وأجازه وألبسه، قال عنه في كتاب ((النفائس العلوية)) : " السيد الفاضل ، العارف المحقق ، الشيخ عمر بن عبدالرحمن العطاس ، صاحب حريضه ، اجتمعنا به مراراً ، وأخذنا عنه أخذا تاماً طريقة الذكر ، والمصافحة ، وإلباس الخرقة " .

وقد أشار إليه في قصيدته ((العينية)) فقال :

وأبي حسين عمر العطاس من　　　قد صار مـــن أهل اليقين بموضع

وكان الإمام الحداد معجبا بشيخه الإمام عمر العطاس، وبهمته ودعوته، ونجد أثر هذا الإعجاب والانبهار منثوراً في كلامه المودع بعضه في كتاب ((تثبيت الفؤاد)) وفي ((بهجة الزمان)) و ((غاية القصد والمراد)) وفي غيرها ، فقال عنه مرة : " لما اجتمعنا بالسيد عمر بن عبدالرحمن العطاس وجدنا فيه ما في أسلافنا المتقدمين "[(٢)] .

وقال في مناسبة أخرى : " كانت للإمام عمر بن عبدالرحمن العطاس

---

(١) مصادر ترجمته : ((النفائس العلوية)) : صـ ١٥٢ ، و ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٨٧ ، و ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢١٠ و : ١/ ٢١٥ ، و ((شرح العينية)) : صـ ٢٦١ – ٢٦٢ ، و ((بهجة الزمان)) : صـ ١٤ وما بعدها . قد أطال في ترجمته وأجاد وأفاد .

(٢) ((بهجة الزمان وسلوة الأحزان)) : صـ ١٩ .

أخلاق ، يعسر التخلق بالبعض منها على الرجال الأبطال " .

وقال عنه أيضاً : " كان السيد عمر حجة في الاستقامة ، وتصحيح مقام العبودية ، وغاية كتمان الأسرار ، وطرح النفس ، وغاية التواضع ، وإيثار الخمول ، والإعراض عن الخلق ، ولكنه لا يعرفه كل أحد ؛ لأن أكثره كان باطناً لا يهتدى إليه إلا بنور الفهم والبصيرة ، وإن كان كله كمالاً ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعن سائر الصالحين " .

وقال فيه أيضاً: " أما السيد عمر بن عبدالرحمن العطاس فكان : قلب وحق ، لا نفس ولا هوى ، يكاد يندرج ليل بشريته ، في نهار خصوصيته ، وصبره على العامة ، ومخالطته لهم مع السلامة منهم ، وعدم شهود النفس والفناء عن رؤيتها ورؤية ما عليها ، دون مالها أدل دليل على الكمال "[١] .

وكان الإمام الحداد معجباً بالإمام عمر بن عبدالرحمن العطاس وبكمال أخلاقه ، ورحابة صدره ، وشدة تواضعه ، حتى أنه قال يوماً : " إن السيد عمر بن عبدالرحمن العطاس كان آية في التواضع وطرح النفس ، وإني طلبت من الله تواضعه فأعطانيه "[٢] .

وكان الإمام عمر بن عبدالرحمن العطاس يقول : " السيد عبدالله

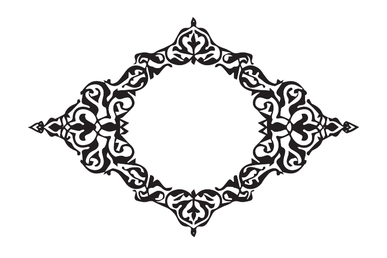
---

(١) الفقرات الثلاث السابقة مقتبسة من : ((بهجة الزمان وسلوة الأحزان)) : صـ ١٥ .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٧١ .

الحداد أمة وحده "[١] وهذه فراسة منه بأن هذا الشاب سيكون إمام زمانه .

وكان الإمام عمر بن عبدالرحمن العطاس من أكابر أهل العلم والعمل في زمانه ، جدد في عصره مفاهيم العلوم ، ونهض بالدعوة في أصقاع جاهله في أودية حضرموت ، إلى أن توفي في سنة (١٠٧٢هـ) بقرية نفحون ، وحمل إلى حريضة ودفن بها ، وبنيت عليه قبة ، وزاره الإمام الحداد بعد موته[٢] .



(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٠٤ .

(٢) ((بهجة الزمان وسلوة الأحزان)) : صـ ٢٤ .

ثانياً : شيوخ الإمام الحداد الذين لم تشملهم قصيدته العينية

هذا القسم من الشيوخ ، تم الوصول إليه بالنظر في كتب الإمام الحداد وكتب تلاميذه ، وقد عزوت النصوص المؤكدة لذلك إلى مصادرها في حواشي البحث ، وأشرت سلفاً أن هذا العدد قابل للزيادة كلما تعمقنا في قراءة تراث هذا الإمام . وإليك مسرد هولاء الشيوخ الذين لم تشملهم قصيدة ((العينية)) .

١ . **الفقيه العلامة عبدالرحمن بن عبدالله باهارون**[1] :

ذكره الإمام الحداد في جملة شيوخه ، وذكر أنه لازمه في دراسة الفقه مع زميله العلامة عبدالله بن أحمد بلفقيه ، ونص ما قاله تماماً : " وكنت أنا وإياه – يعني السيد عبدالله بن أحمد بلفقيه – نقرأ في ((مختصر الفقيه الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل)) – الكبير من مختصريه – على السيد الصالح عبدالرحمن بن عبدالله باهارون " وهو من شيوخ العلامة الشلي صاحب ((المشرع)) ، وأفاد أنه دخل الهند ، وذكر أن وفاته كانت سنة (١٠٧٠هـ) بتريم .

---

(١) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٣٨ ، و ((المشرع الروي)) : ٢/ ١٢٩ ، و ((عقد اليوقيت)) : ٢/ ٩٣٠ .

وفي النص المتقدم عدد من الفوائد :

الأولى : أن من أعمدة علم الفقه في القرن الحادي عشر الهجري بتريم الإمام العلامة عبدالرحمن بن عبدالله باهارون .

الثانية : أن من المختصرات الفقهية المدروسة في ذلك العصر « المقدمة الحضرمية » لبافضل وتعرف بالمختصر الكبير ، ولعلهم كانوا يقرأون المختصر الصغير قبلها .

الثالثة : أن العلامة محمد الشلي صاحب « المشرع الروي » شارك الإمام الحداد في الأخذ عن الإمام عبدالرحمن باهارون .

الرابعة : أفاد النص هجرة العلامة باهارون إلى الهند ولكنه عاد منها ؛ والغالب أنه قد أخذ عنه بعض أهل الهند ، ولا يبعد أن يكون قد أخذ عن بعض أهل العلم بها ، وبهذا لا بد من أن تكون له بصمات مشتركة في بلاد الهند أخذاً وتلقياً .

الخامسة : أن فخيذة آل باهارون من سادة حضرموت كان بها علماء أفذاذ منهم هذا العلامة الفذ ، الذي درس ثلاثة من أفذاذ أهل العلم وهم : الإمام الحداد ، والإمام عبدالله بن أحمد بلفقيه ، والإمام الشلي صاحب « المشرع الروي » .

٢. السيد العلامة سهل بن أحمد باحسن جمل الليل[١] :

أخذ عنه الإمام الحداد أخذاً تاماً ، وكان من أكابر علماء الفقه والأصول والعربية ، ومن محفوظاته ((الإرشاد)) و ((الملحة)) ، كما أفاد الشلي في ((المشرع)) وهو من شيوخه ، كانت وفاته سنة (١٠٧٦هـ) .

ويستفاد من النص السابق مشاركة صاحب ((المشرع)) للإمام الحداد في عدد من شيوخه .

أقول : ولعل هذا الشيخ هو الذي لازمه الإمام الحداد في العربية ؛ وحفظ عليه ((الملحة)) ، فقد كانت ((الملحة)) من محفوظات الإمام الحداد[٢].

٣. السيد العلامة الصوفي سهل بن محمد باحسن الحديلي باعلوي[٣] :

أعتقد أنه غير سابقه ، فالأول فقيه محقق ، والثاني فقيه صوفي ، كما ستلاحظ من كلام الإمام الحداد في ((النفائس العلوية)) .

وذكره في ((غاية القصد والمراد)) في أكثر من موطن ، وأفاد أخذ الإمام الحداد عنه ، ووصفه في ((النفائس العلوية)) بقوله : "السيد المجذوب الملامتي ، سهل بن محمد باحسن الحديلي باعلوي " ، وورد في ((غاية القصد والمراد))

---

(١) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٤٠ ، و ((عقد اليوقيت)) : ٢/ ٩٢٩ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢٥٠ .

(٣) مصادر ترجمته : ((النفائس العلوية)) : صـ ١٥٢ ، و ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢٤٠ و : ١/ ٢١٠ و : ١/ ٢١٥ .

أن الإمام الحداد كان يقول : " كنت أطلب الاجتماع بالسيد المجذوب الصالح ، سهل بن محمد باحسن الحديلي ، وكانت مجالستي لهذا السيد ، من أسباب تعلقي ومحبتي لطريق القوم ؛ لأنه كان يذم متفقهة العصر ، فكان سماعي لذلك سبب انصرافي وتعلقي بالطريق ، وكان بعض أهلي ينهاني عن مجالستي له ، فقلت : أنا أعرف بمصلحتي ولم أترك " .

ولكي لا يفهم البعض هذا النص فهماً سقيماً ، أقول : إنما كان يذم متفقهة العصر لتشبث بعضهم بالفقه الظاهر مع اهمالهم السلوك الباطن ، أي الاتصاف بالعلم مع الخلو من أدبه .. وإلا فالإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لا يميل إلا إلى الشرع المقيد لعلوم الحقيقة والضابط لها .. وكيف لا يكون الإمام الحداد كذلك وهو القائل[1] :

والزم كتابَ اللهِ واتبع سُنةً ... واقتد هداك الله بالأسلافِ

٤ . السيد العارف عيدروس بن عبدالله صاحب الوهط[2] :

قال العلامة محمد بن زين بن سميط في كتابه ((غاية القصد والمراد)) وفي ((بهجة الزمان)) : " وقد اجتمع سيدنا - نفع الله به - بالسيد عيدروس

---

(١) ((الدر المنظوم)) : صـ ١٩١ .

(٢) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١ / ٢١٧ ، و ((بهجة الزمان)) : صـ ١٩٣ ، و ((شرح العينة)) : صـ ٢٧٥ ، و ((البرهان الجلي في ترجمة الإمام عبدالله بن علي صاحب الوهط)) : صـ ١٥٣ للأخ الباحث أيمن الحبشي .

بن عبدالله صاحب الوهط ، وقال : لما اجتمعت به وجدته فوق ما توهمته ، وكان قصدنا في سفرنا لقاء مثله من الصالحين ، وكان معظما عند الناس ، رفيع المحل على سائر الأجناس ، وكان أكثر إقامته في الوهط) .

وحلاه العلامة أحمد بن زين الحبشي بقوله : " من أفاضل السادة ، وأحسنهم أخلاقاً ، كريماً مطعماً للطعام ، للخاص والعام " ، وكانت وفاته قريباً من صنعاء بالغراس سنة (١٠٨٢هـ) ، وله ولد عالم يسمى أحمد ، معدود فيمن أخذ عن الإمام الحداد ترجم له في : ((شرح العينية)) كانت وفاته سنة (١١١٦هـ)[١] .

٥. السيد العلامة عمر بن أحمد الهادي بن شهاب الدين[٢] :

لقيه الإمام الحداد وأخذ عنه ، وحلاه بقوله : " السيد المجذوب العارف عمر بن أحمد الهادي باعلوي " ، ولم أقف على تاريخ وفاته ، وقد عده في سلسلة شيوخ الإمام الحداد العلامة المسند عيدروس بن عمر الحبشي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في كتابه المشهور : ((عقد اليواقيت)) .

---

(١) وللتوسع ينظر : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٣٥٠ .

(٢) مصادر ترجمته : ((النفائس العلوية)) : صـ ١٥٢ ، و ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢١٠ و : ١/ ٢١٥ ، و ((المشرع الروي)) : ٢/ ٢٦١ ، و ((عقد اليواقيت)) : ٢/ ٩٢٩ .

٦. السيد العلامة عبدالله بن محمد بن عبدالله باعلوي[١] :

هو من سكان المدينة المنورة ، التقى به الإمام الحداد في سنة حجه (١٠٧٩هـ)، وقال : " اجتمعت بالسيد عبدالله المذكور ، مع زيارتنا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وجالسناه مراراً ، وانتفعنا به ، وهو سيد من أهل الانقباض والخمول ، نفع الله به وبسلفه ، وسائر عباد الله الصالحين " ، ذكر ذلك الإمام أحمد بن زين الحبشي في « شرح العينية » ، والمسند الإمام عيدروس بن عمر الحبشي في « عقد اليواقيت » ، كانت وفاته بعد سنة (١٠٧٩هـ) .

٧. السيد العارف سالم بن عمر بن الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم[٢] :

اجتمع به في شعب نبي الله هود - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ، وقال : " لولم يكن في مثل هذه الإجتماعات إلا كون السيد سالم فيهم لكفى " ، وهذه العبارة مشعرة بإعظامه له ، واستمداده منه ، وأن هذا السيد قد بلغ مبلغاً عظيماً من العلم والعمل فالإمام الحداد ممن لا يرسلون الكلام جزافاً .

توفي السيد سالم هذا سنة (١١١٦هـ) - رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

---

(١) مصادر ترجمته : « غاية القصد والمراد » : ١/ ٢١٥ ، و « شرح العينة » : صـ ٢٦٤ ، و « عقد اليوقيت » : ٢/ ٨٦٧ .

(٢) مصادر ترجمته : « غاية القصد والمراد » : ١/ ٤٦ ، و « شمس الظهيرة » : ١/ ٢٨٨ .

٨. الشيخ الفقيه أحمد بن محمد بلحاج بافضل[١] :

وهو شيخه الذي حفظ عليه القرآن الكريم ، ونعته بقوله : " المعلم المنور أحمد بن محمد بلحاج التريمي ، قرأنا عليه من سورة يوسف إلى آخر القرآن ، وكان هذا المعلم قد دخل الهند ، وأقام بها زماناً ، ولقي جماعة من أهل الفضل والعلم ، وله مشاركة في كثير من العلوم ، حتى علم السِّيميَا والطب ، وقد ذاكرناه بأشياء منها ومن غيرها " . وعلم السيميا علم له اتصال بعلم الكيميا وتركيب المعادن[٢] .

٩. الفقيه العلامة عبدالله بن أبي بكر الخطيب[٣] :

وهو من علماء الفقه والأصول والعربية ، وقد أخذ عنه الإمام الحداد هذه العلوم ، وشاركه في الأخذ العلامة محمد الشلي صاحب كتاب ((المشرع)) ، وعبدالرحمن العيدروس (ت ١١١٢هـ) المعروف بصاحب ((الدشتة)) .

ومن أجل شيوخه السيد عبدالرحمن بن محمد العيدروس (ت ١٠٥٣هـ) قرأ عليه ((الإرشاد)) كاملاً ، والسيد الفقيه أبي بكر بن شهاب الدين (ت ١٠٦١هـ) ، قرأ عليه شرح ((الورقات)) للمحلي ولابن قاسم ، وشرح

---

(١) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٣٦ ، و ((شرح العينة)) : صـ ٢٦٩ .

(٢) ((كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون)) : ١/ ٦٥٠ .

(٣) مصادر ترجمته : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٤٠ ، و ((عقد اليوقيت)) : ٢/ ٩١٥ ، و ((جهود فقهاء حضرموت)) لباذيب : ١/ ٦٧٣ وما بعدها .

((لب الأصول)) للشيخ زكريا الأنصاري ، وله أخذ عن غيرهم : كأحمد بن عمر عيديد (١٠٥٢هـ) قرأ عليه ((مختصر بافضل)) و ((المنهاج)) و ((الإرشاد)) ، وبعض ((فتح الجواد)) وبعض ((التحفة)) قراءة بحث وتحقيق ، وأخذ عن السيد عمر بن حسين فقيه باعلوي (١٠٥٥هـ) قرأ عليه أطرافا من ((التحفة)) قراءة بحث وتحقيق ، والسيد العلامة الفقيه عبدالرحمن بن علوي بافقيه باعلوي (ت١٠٤٧هـ) ، والشيخ أحمد بن عبدالقادر باعشن (ت ١٠٥٢هـ) ، وأخذ بالحرمين الشريفين عن العلامة أحمد بن محمد القشاشي (ت ١٠٧١هـ) قرأ عليه أوائل ((الجامع الصغير)) للسيوطي ، وقرأ على العلامة عبدالعزيز بن محمد الزمزمي (ت ١٠٧٢هـ) ، والعلامة عبدالله بن سعيد باقشير . توفي بمدينة تريم سنة (١٠٩٨هـ) .

١٠. الفقيه محمد بن أحمد باجبير :

هذا الشيخ ذكره الإمام الحداد ، ونعته بالفقيه الصالح محمد بن أحمد باجبير[١] ، وأشار إلى أنه تلقى عليه علوم القرآن والفقه في بدايته[٢] ، ثم اندرج هذا الشيخ في جملة من يتلقى عنه بعد ذلك ، وكان يزور قبره بعد مماته وفاء بحق الأخذ والتلقي والصحبة ، وكانت وفاته سنة (١١١١هـ) ، استفدت هذا من ((غاية القصد والمراد)) حيث أفاد أن وفاته كانت مقارنة

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢٠٩ .

(٢) ((بهجة الزمان وسلوة الأحزان)) : صـ ٢٦٣ وما بعدها .

لقرينه العلامة حسين بن عمر بافقيه الملقب بأبي هريرة[١] .

وكان الشيخ محمد بن أحمد باجبير من فقهاء تريم الذين يشار إليهم بالبنان في علم الفقه آنذاك ، وهو في الأصل من أهل ثبي ، ومدفنه كان بتريم بين قبر المحضار والعيدروس بجانب الطريق ، ومن أكابر شيوخه السيد علوي بن عبدالله العيدروس صاحب ثبي قرأ عليه « إحياء علوم الدين »[٢].

وأفاد العلامة محمد بن زين بن سميط في كتابه « بهجة الزمان » في ترجمة العلامة أحمد بن هاشم الحبشي ، إلى تفرد باجبير ونبوغه في علم الفقه وفي غيره من العلوم ، حيث قال : " وكان يأتي - أي السيد أحمد بن هاشم الحبشي - تريم ويقيم بها الأيام ، ويحضر بعض دروسها ، ويتردد على علمائها مثل الفقيه الجمال : محمد بن أحمد باجبير "[٣] .

وأفاد الشلي صاحب « المشرع » : أنه أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد باجبير علم الفرائض ، والفقه ، والحساب ، وهذا يؤكد رسوخه في هذه الفنون[٤] .

قال الإمام الحداد : " وكان الفقيه باجبير يقرّئ في النِّويدرة ، يقرأ

(١) « غاية القصد والمراد » : ١/ ٣٢٧ .

(٢) « عقد اليواقيت » للإمام عيدروس بن عمر الحبشي : ٢/ ٩٤٢ .

(٣) « بهجة الزمان وسلوة الأحزان » : صـ ٦٠ .

(٤) « عقد اليوقيت »: ٢/ ٩١٦ .

عليه كثير من السادة وغيرهم ، فرُحت إلى عنده ، وحضرت مجلسه ، تَقدمةً للاستئذان في القراءة ، ومرادي أن أستأذنه في القراءة في مرة أخرى ، فأتيته في اليوم الثاني ، وقلت أريد أن أتحفظ في « البداية » وأقرأ عليك فيها ، فقال : إن حفظ البداية عسر ، وعندنا ناس يقرأون فيها ، فاستمع إليهم حين يقرأون ، وتَحَفّظ في « الإرشاد » فوافقَتْ إشارته إشارة الوالد ، فقلت : « الإرشاد » حِفْظه عَسِر ، فكيف أتحفظه ؟ فقال : نَحْنُ نخلِّي من يحفظك ، ويسمِّع لك فيه ، فأجبت لذلك لموافقة إشارته إشارة الوالد ، فلقنني تلك الساعة من أول « الإرشاد » قوله : الحمد لله الذي لا تحصى مواهبه ، ولا تنفد عجائبه ، ولا تحصر له منن ، ولا تختص بزمن دون زمن ، فخرجت من عنده وقد حفظت ذلك ، فما زلت أستمع على الذين يقرأون في « البداية » ، وأتحفظ عنده في « الإرشاد » إلى أن وصلت إلى محرمات الإحرام ، ثم إن السيد أبا بكر بافقيه عزم إلى الهند ، وزيّن للفقيه باجبير المسير معه ، وأنه قائم له بكل ما يحتاج إليه ، فسافر معه وبقي معه في الهند مدة قريبة ، ثم وقع بينهما منافرة ومناكرة ، فانتقل الفقيه من عنده إلى (دقرور) فوجد فيها السّيد عبدالله بن شيخ[1] ، وكان السيد ممن كان يقرأ عليه ، فبقي عنده مدة ، وقام بكفايته وجَبْره ، ثم إن الفقيه رَجَع إلى حضرموت ، فقرأ علينا « الإحياء » بعد أن رجع ، وهذا من عجيب الاتفاق ، أن كنا نقرأ عليه في الفقه فرجع

---

(١) هو عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، المتوفى بالشحر سنة (١٠٧٣هـ) . ينظر : « المشرع الروي » : ٢/ ١٧٧ .

يقرأ علينا .

وحصل لنا من الفقيه باجبير الإسناد في الفقه إلى ابن حجر على اثنين أبيه وأبي بكر بافقيه ، فأخذ عن أبيه عن بافقيه ، وهو أخذ الفقه عن ابن حجر، قال : وكان ابن حجر يذكر مسائل من ((الإحياء)) فإذا ذكرها جاء بعبارة ((الإحياء)) كما هي حفظاً ، وكان يحفظ من ((الإحياء)) "[١] .

وللإمام الحداد صحبة أكيدة ، وملازمة ثابته ، مع ابن الشيخ محمد بن أحمد باجبير ، الشيخ أبوبكر بن محمد بن أحمد باجبير ، فقد جاء في ((غاية القصد المراد)) ما نصه : " وكنا نطالع نحن والشيخ المنور ، أبوبكر بن الشيخ محمد بن أحمد باجبير ، بمسجد الشيخ العارف عبدالله بن شيخ العيدروس ، الكائن عند قبته بتربة آل أبي علوي بتريم ، المسمى بمسجد النور ، كتاب ((لطائف المنن)) للشيخ أحمد بن عطاء الله الشاذلي ، قال : وكنا نزور الشيخ أحمد بن عيسى ، والشيخ أحمد بن محمد الحبشي ، بشعب بني مخدم ، نحن وباجبير المذكور "[٢] .

ويستفاد من النصوص السابقة : أن أسرة آل باجبير لها تواجد في ثبي القرن الحادي عشر الهجري ، وأنهم من أسر العلم والصلاح المتواجدة بها آنذاك ، وأنهم يترددون على مدينة تريم للتعلم والتعليم ولعلهم أقاموا بها

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : (٢/ ٣ وما بعدها .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٤٣ .

أخيراً ، وفي النصوص السابقة أن هناك مدرسة للتعليم الشرعي (بالنويدرة) وهي حارة مشهورة بتريم ، وفيه هجرة العلماء للهند آنذاك وترددهم عليها .

١١ .الشيخ العلامة المتفنن أحمد بن محمد القشاشي[١] :

أحمد بن محمد بن يونس ، صفي الدين الدجاني (بتخفيف الجيم) القشاشي : أصله من القدس من آل الدجاني ، انتقل جده (يونس) إلى المدينة المنورة ، وكان متصوفاً متقشفاً فاحترف بيع القُشَاشة ، وهي سقط المتاع فعرف بالقشاشي .

وولد حفيده صاحب الترجمة بالمدينة ، وبها اشتهر وتوفي ، وكان مالكيّ المذهب وتحول شافعياً ، فصار يفتي في المذهبين .

وله نحو سبعين كتاباً أكثرها في التصوف ، منها ((شرح الحكم العطائية)) ، ومنها : ثبته الذي يعرف بـ ((السمط المجيد ، في تلقين الذكر والبيعة وإلباس الخرقة ، وسلاسل أهل التوحيد)) ، وقد طبع بالهند قديماً في (١٨٤ صفحة) ، وتوفي العلامة القشاشي في سنة (١٠٧١هـ) .

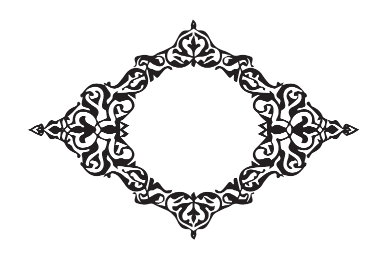
اتصل به الإمام الحداد بواسطة المكاتبة ، قال الإمام الحداد : " أول كتاب كتبه إلينا الشيخ أحمد القشاشي ، كان أول خطبته : بسم الله مجراها ومرساها ، ومن الله مبتداها ، وإلى الله منتهاها ، قال : وأجازنا في أشياء

---

(١) مصادر ترجمته : ((الأعلام)) لخير الدين الزركلي : ١/ ٢٣٩ .

مخصوصة ، ونجيز فيها أناسا مخصوصين ، وسمعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : أخذنا عنه الأوراد ، استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات سبعاً وعشرين مرة بعد كل صلاة من الخمس "[١] .

أقول : وقد أخذ عن العلامة القشاشي جماعة من سادة حضرموت وشيوخها مشافهة ، قصدوه ورحلوا إليه للأخذ والتلقي ، منهم : الشلي صاحب « المشرع » ، وأخوه أحمد ، وأحمد بن حسين بلفقيه ، وزين بن محمد الحديلي ، وعبدالله بن شيخ العيدروس الأصغر ، وعبدالرحمن بن إبراهيم المعلم باعلوي ، وعبدالله بن أحمد بلفقيه والد علامة الدنيا صاحب الرشفات عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه[٢] وغيرهم كثير .



(١) « تثبيت الفؤاد » : ١/ ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) ينظر تفصيل ذلك في : « عقد اليواقيت » للمسند العلامة عيدروس بن عمر الحبشي - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

تأملات واستنتاجات

بعد هذا التطواف الممتع مع شيوخ الإمام الحداد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، أحببت أن أدون النتائج التالية :

١. بلوغ شيوخ الإمام الحداد إلى عدد يجاوز المائة ، يحمل دلالة على كثرة شيوخ العلم والتصوف بمدينة تريم في زمانه ، ويشير إلى حياة العلم وازدهاره في عصره .

٢. وفرة عدد شيوخ الإمام الحداد ، يدل على همته في الطلب وحرصه على التحصيل مع أنه فاقد للبصر منذ الرابعة من عمره .

٣. لم يكتف الإمام الحداد بأخذ المشافهة ، بل شفعه بالأخذ بالمراسلة كأخذه عن الإمام محمد بن علوي السقاف المكي ، وأخذه عن الإمام أحمد بن محمد القشاشي .

٤. تنوعت العلوم التي أخذها الإمام الحداد وشملت أغلب فنون العلم من : عقائد ، وفقهيات ، وأصول فقه ، وتفسير ، وتصوف ، ولغة ، وسير ، وتراجم ، وتاريخ ، وحساب ، ونحو ، وأدب ، وهذا كون منه شخصية عالمية متماسكة ، جمعت أشتات العلوم النافعة ، واستطاعت أن تخلق نهضة علمية في وادي حضرموت والوطن العربي ؛ بل والعالم بأسره إذ لم يزل

الناس في كل بقاع العالم يمتحون من معين علمه النمير .

٥. مكنة الإمام الحداد من العلوم الشرعية والعقائدية والتاريخية ، كانت درعاً حامياً لحضرموت من فكر الزيدية الغازي لحضرموت في القرن الحادي عشر الهجري ، حيث أفاد الشيخ الفقيه عبدالله بن أبي بكر الخطيب أنها : " لما خرجت طائفة الزيدية إلى حضرموت ، وكان فيهم المباحثون في : علم العقائد ، والسير خصوصاً ، لولا سيدي عبدالله الحداد بين ظهرانينا لافتضحنا ، يعني علماء الجهة وكبراءها "(١).

٦. يلاحظ من جميع ما تقدم تواضع الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وأخذه عن كل من عرف بالعلم سيداً كان أو شيخاً ، فنراه أخذ عن السادة ، وعن المشايخ آل الخطيب ، وآل بافضل ، وآل باجبير وغيرهم .

٧. دعوته للحكام بالاستقامة على الشرع ، وأمره لهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، كما يلاحظ ذلك من خلال مكاتباته ، ولذلك كان يقول : " والذي ينبغي على الولاة ، أن يسعوا في إصلاح البلدان ، ولكن هولاء زبانية الدنيا "(٢) .

٨. رفقه بالعامة في دعوته من أعظم أسباب نجاحه ، ومن كلامه في هذا الصدد قوله : " خذ مع أهل الزمان بالرفق ما أمكنك ، ولا تشدد عليهم ، فإن

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ٧٧ .

(٢) ((تثبت الفؤاد)) : ١/ ١٨٦ .

حبالهم رامه ، وما كنت تعلمه أحدهم في يوم أجعله في ثلاثة أيام ؛ لأن قلوبهم مائلة أو قال منصرفة .. ومثال أهل الزمان كالبعير الشارد ، فلا تضربه فتزيده شرودا "[١] ، وفي هذه العبارة ما لا مزيد عليه من تبصره بزمانه وبأهل زمانه.

٩. وفق الإمام الحداد للمزج بين العلوم الشرعية وربطها بروحها من مقام الإحسان والتصوف ، وهذا عين ما أوصى به الأئمة الأثبات كالإمام مالك بن أنس – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – حينما قال : " من تصوف ولم يتفقه تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق " ، وكان الإمام الحداد يحث على مزج العلم بالعمل والتحقق فيقول : " ما العلم إلا معرفته والعمل به ، وتعليمه لمن تأهل ، وإلا كان متلاعبا بالدين "[٢] ، وكان يقول : " العلم دليل الفعل ، فإن لم يكن فعل ، فهو خسارة على الطالب والمطلوب "[٣].

١٠. أراد الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أن يكون عالمياً في نفعه ، فلم يكتف بالتدريس والدعوة والتعليم ، بل أضاف إليها التأليف والكتابة ، فقدم للأمة في كل الأزمنة خلاصة تجربته العلمية في مؤلفاته النافعة .. وأوضح حاجة الأمة إلى تجديد المعارف من خلال تجديد الأسلوب في التأليف .

---

(١) ((تثبت الفؤاد)) : ١/ ٣٩١ .

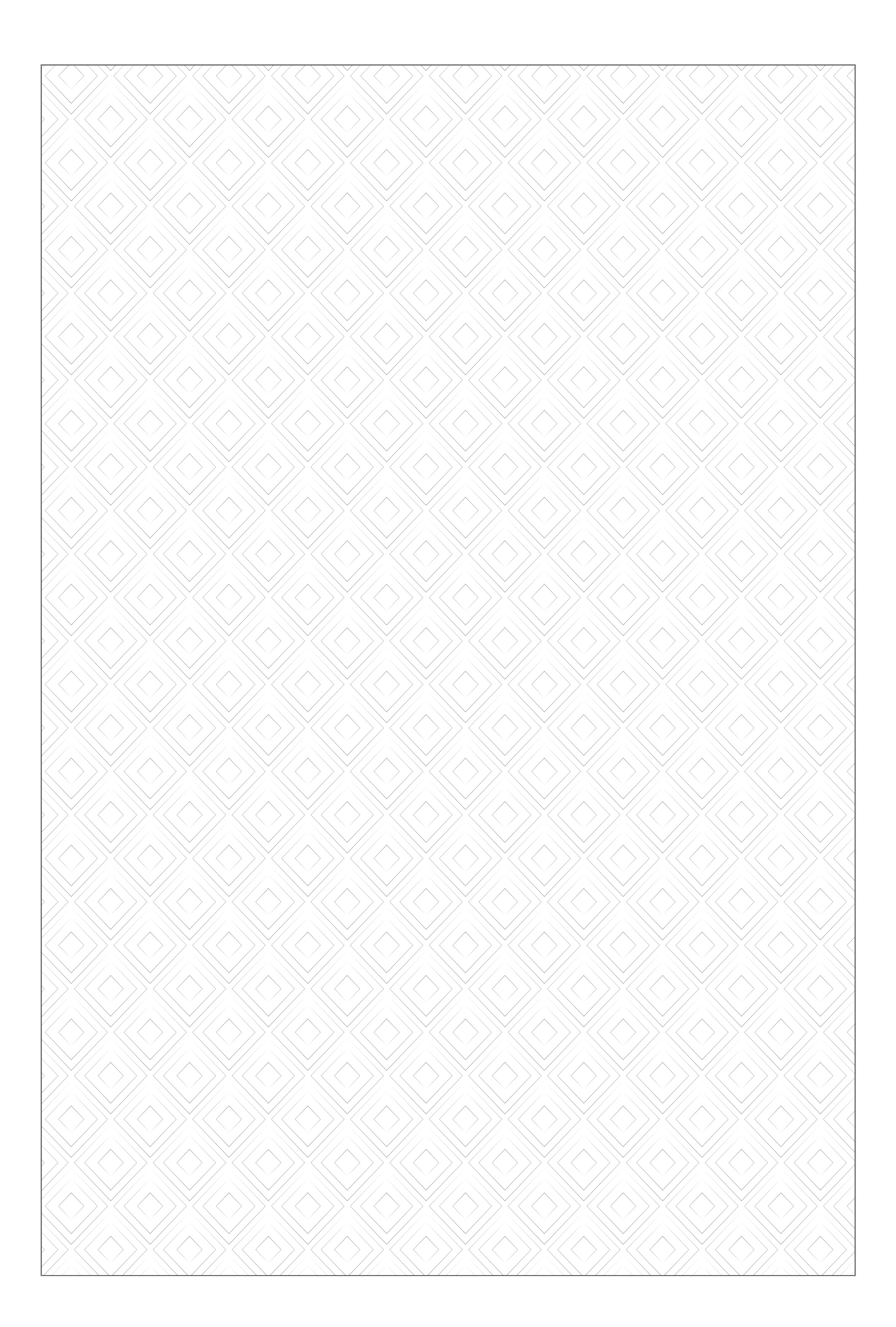
(٢) ((تثبت الفؤاد)) : ١/ ٣٥٧ .

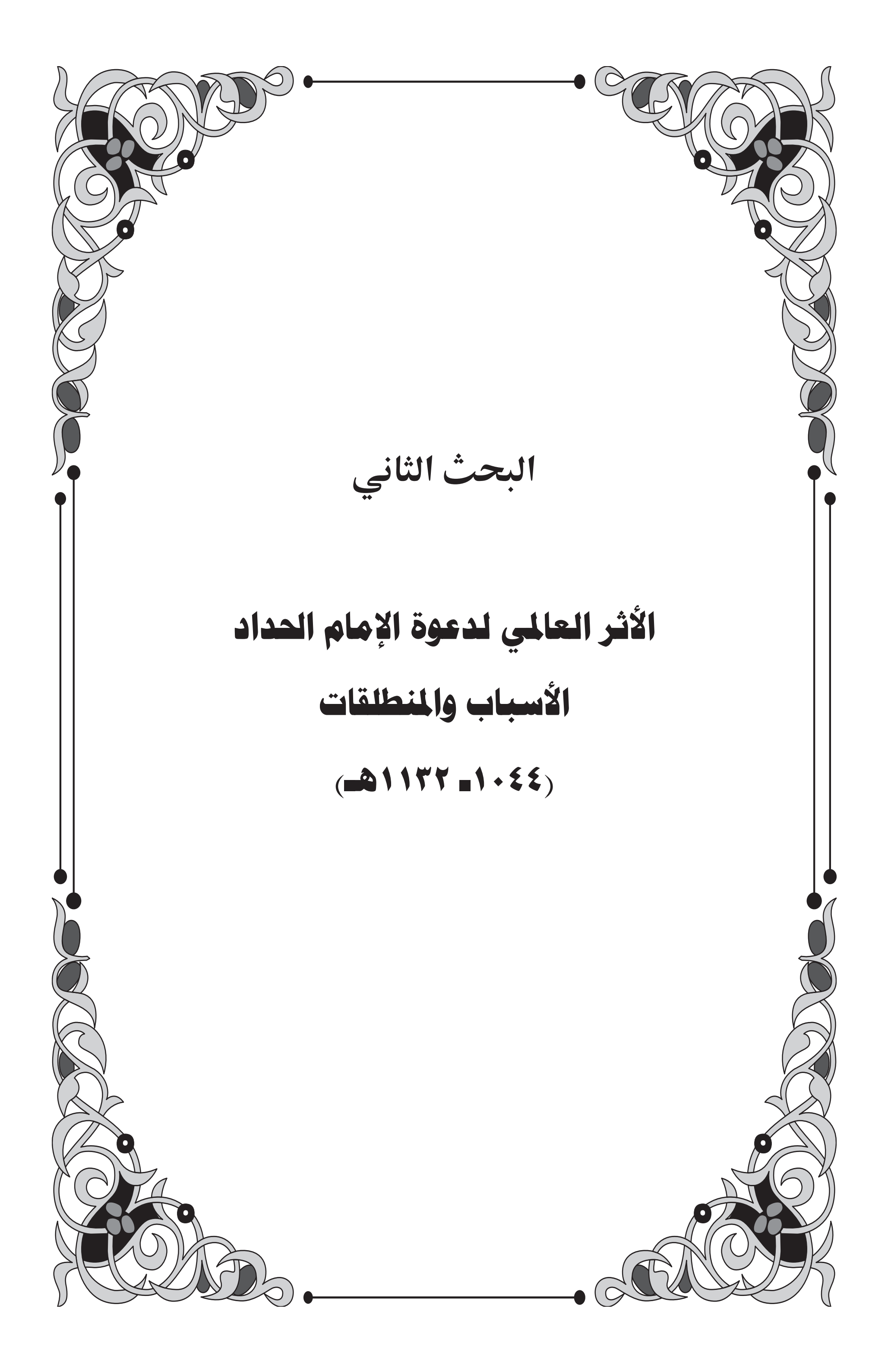
(٣) ((تثبت الفؤاد)) : ١/ ٣٨٩ .

خاتمة البحث وتوصياته

لا أظن أن هناك شخصية علمية حضرمية تراثها العلمي حاضر ومتوفر بين أيدينا ، كحضور تراث الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – ، فقد كتب هو بنفسه ، وكتب عنه تلاميذه ، وكتب عنه غيرهم ، ولكن للأسف الشديد لم تنال هذه المكتوبات حظها الوافر من الدراسة ، لتقدم لنا رؤية علمية متكاملة عن شخصية الإمام الحداد ، فقيهاً ، ومحدثاً ، وداعياً، وصوفياً ، وأديباً ، ومصلحاً اجتماعياً ، ورائد اسرة ناجحة ومثالية .

وكل هذا الجوانب لن تتجلى ؛ إلا بدراسة عميقة لجميع ما كتب عنه ، تعكف هذه الدراسة أو الدراسات ، على كل تراث الرجل بالقراءة والدراسة والتدقيق والتحقيق ، وتسبطنه كاملاً ، لتخرج منه بموسوعة حدادية علوية حضرمية ، عميقة شاملة ، كاملة البناء ، تستوعب شخصيته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وملابسات عصره السياسية والاقتصادية وكيف تصدى لها ؟ مع دراسة حياته العلمية بكل أبعادها .. وهذا ما نوصي به ، ونرى أن فيه من الخير لحضرموت والعالم الشي الكثير ، هذا وبالله التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .



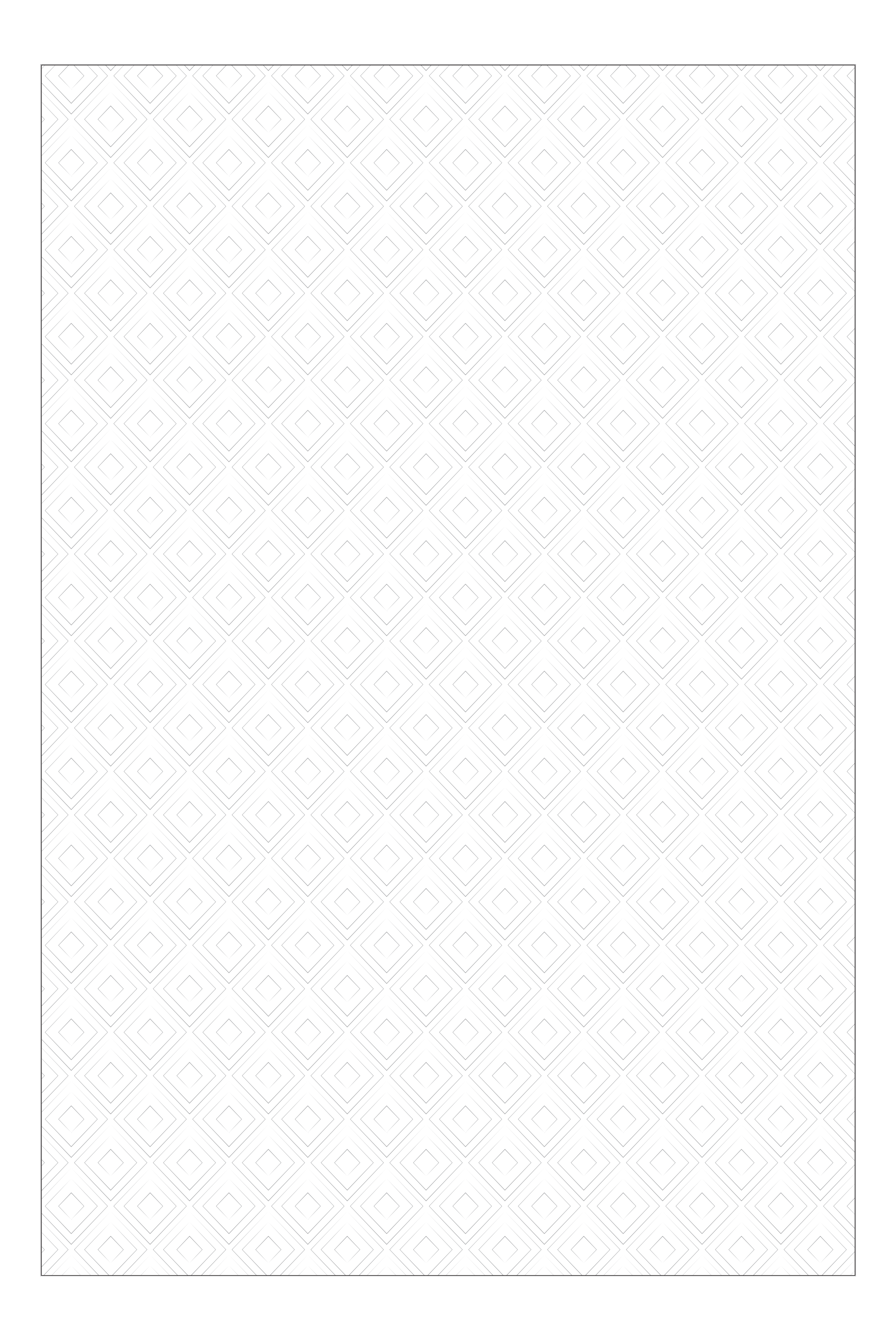


البحث الثاني

الأثر العالمي لدعوة الإمام الحداد

الأسباب والمنطلقات

(١٠٤٤ـ ١١٣٢هـ)



مقدمة البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: إن الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ثمرة مباركة من ثمار مدرسة حضرموت، تميز بوسطية المنهج وصحة النظر وسلامة التجربة.

وعاش حاملاً للواء النفع المتعدي ما يقارب تسعين سنة، ومارس نهضة إصلاحية ومعرفية قمينة بدراستها من زوايا مختلفة.

فهو مع فقده للبصر في الرابعة من عمره؛ لم ينعزل عن الناس، بل بادر في خوض غمارهم واستلم بعد تأهله العلمي والروحي قيادتهم بجدارة.

وهنا يتجلى السؤال الذي سيجيب عنه البحث، وهو: ما سر تأثير الإمام الحداد في دعوته على العالم؟ وما سر نجاحه وتفوقه؟ وهل بإمكاننا أن نسير على نفس الخطى لتحقيق أمثال هذا الأثر؟

في هذه الصفحات سأحاول أن أجيب عن هذا السؤال، من خلال هذه الورقة البحثية الموسومة: بـ «الأثر العالمي لدعوة الإمام الحداد الأسباب والمنطلقات»، هذا ومن الله أستمد المعونة والتوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل، عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول

العناية الإلهية والتوفيق الرباني الذي منحه الله هذا الإمام

إن اهتمام الأسر بالتربية والتنشئة والرعاية والملاحظة للنشء من الأمور الضرورية التي تساهم في الأعداد الرائع لهم والسير بهم في مسالك النبوغ المبكر والنفع المتعدي لأممهم ، ولكن لا يؤتي هذا الأمر ثماره الكبرى إلا حينما توافقه عناية من الله يقذفها في قلب ذاكم الناشئ ، وهذه العناية الإلهية تعين هذا الناشئ عند توجهه إلى معرفة المقاصد الشريفة السامية ، وترشده إلى ما فيه صلاحه وتنأى به عما فيه فساده.

وتكون تلك العناية مثمرة لذلك الانقياد والمسارعة في تقبل الخير، المبتعثة من دوافع الباطن الراشد ؛ المُحفز لصاحبه نحو معالي القيم وسامي المعارف ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] ، والرشد عبارة عن هداية باطنية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها من داخل العبد المرعي[١] .

---

(١) «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي : ٤/ ١٠٨ بتصرف .

ويرادف معنى العناية التوفيق والاجتباء ، وذلك بأن يقطع الله عن العبد المراد تقريبه أسباب الخذلان وموادها عن القلب ، فلا تتخلف عنه الهداية البتة ، قال تعالى في هذه المرتبة الشريفة : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦] ، فمن شاء الله هدايته سهل عليه الانقياد في طريق الرشاد والطاعة لرب العباد [١] .

فالإمام الحداد بالإضافة إلى العناية الأسرية .. حصلت له العناية الربانية ، وواصله المولى الجواد بجوده الإلهي الذي طالما ذكره وأشار إليه في قصائده ، ومن ذلك قوله[٢] :

وَيَا كُلَّ أَبْـوَابِ القَبُولِ تَفَتَحِي ... فَإِنَّ مَطَايَـا القَصْدِ نَحْوَكِ أَمَّتِ

وَيَا سُحُبَ الجَوْدِ الإِلهِيِّ أَمْطِري ... فَإِنَّ أَكُفَّ المَحْـلِ تِلْقَاكِ مُدَّتِ

وقوله[٣] :

فالظـنُّ بـالله مَوَلانا وسَـيِّدِنَا ... ظَنٌّ جَمِيلٌ مَعَ الأَنفَـاسِ تَزْدَادُ

نَرْجُـوهُ يَرْحَمُنَا نرجُـوهُ يجبُرُنَا ... فَهْوَ الجـوادُ الَّذي بالجُودِ عَوَّادُ

وقديما قال الشيخ العارف أبوبكر بن سالم باعلوي الحضرمي (ت ٩٩٢هـ) :

---

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن القيم : ١/ ٦٧ بتصرف.

(٢) «الدر المنظوم»: صـ ٥٤ .

(٣) نفس المصدر : صـ ٩٣ .

" ما نلنا الذي نلناه ببذل المجهود ، بل من عين الجود "(١) .

وقال بعضهم : " ما نلنا الذي نلناه بالعبادات ، بل بالعنايات "(٢).

وفي هذا المعنى يقول العلامة السهروردي في كتابه ((الرحيق المختوم)) : " اعلم أن العناية الأزلية هي التي أوجبت الولاية ، ولولاها لما قرب آدم ولعن إبليس .. ولولاها لما رجع موسى بالاصطفاء حين خرج للإصطلاء .. فليس بينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبين العباد نسبٌ إلا الكرم ، ولا نِسبَ إلا الحِكم ، رضي في الأزل عن قوم فأشغلهم بعمل أهل الرضا ، ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢٢] (٣).

وقد تكلم الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عن العناية ودورها في سرعة السير بالعبد فقال في ((تثبيت الفؤاد)) : " إذا حصلت العناية الإلهية ، حصل السلوك كسقي السيل ، ودون ذلك كسقي الآبار ، وفي الحقيقة كل عمل إنما يحصل بالعناية الإلهية ، قال بعضهم : لا بد في كل عمل من الجذب ، ولولاه ما أمكن ذلك "(٤) .

وقد جزم أكابر الشيوخ بأن الإمام الحداد من أهل الرعاية الإلهية ،

---

(١) ((المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن بن عبدالله بن علوي الحداد)) : صـ ٧٢ - ٧٣ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ((المواهب والمنن)) : صـ ٧٢ وما بعدها بتصرف.

(٤) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٩ .

والاجتباء الرباني ، ففي ((تثبيت الفؤاد)) يقول الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :
" كنا إذا دخلنا على شيخنا السيد عبدالرحمن بن عقيل أول أيام مخالطتنا له يتمثل ويقول :

ومن رعتــه العنايــة في المجــيء والذهاب
فــلا يبــالي ومــن خانتــه الأقــدار خــاب

ويقول:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نَم فالمخــاوف كلهن أمان "[١]

ومما يؤكد عناية الله به منذ بدايته المبكرة ، نزوعه الفطري للعلم والعبادة ، وعن هذا يقول هو بنفسه : " كنت في الصغر إذا رجعت من المعلامة[٢] ضحىً ؛ أمضي إلى بعض المساجد ، فأتنفل في كل يوم نحو مئة ركعة تطوعاً "[٣] .

وفي موطن آخر قال : " كنت في الصغر أصلي مئتي ركعة كل يوم في مسجد بني علوي ، وأطلب من الله مقام الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس "[٤].

وبعد: فجميع هذه النقول تؤكد حصول منحة التوفيق والرعاية الربانية لهذا الإمام ، وإذا سأل البعض عن أهم أسباب العثور على منحة الرعاية والتوفيق

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) المعلامة: بلهجة حضرموت تقابل الكتاب ومحل تلقي التعليم في مراحل الصبا المبكرة.

(٣) وللاستزادة من هذا الأمر راجع ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٤٣ .

(٤) ((الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري)) تأليف الدكتور مصطفى البدوي : صـ ٦٧ .

الرباني نجدها تتلخص في أربعة أسباب:

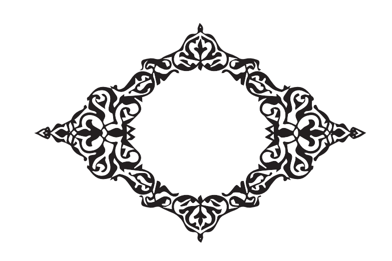
الأول : التوفيق الأزلي ، والمحبة الأزلية للعبد من الله تعالى ، والله يفعل ما يشاء ويختار، قال الله تعالى مبينا هذه الحقيقة : ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

الثاني : صلاح الأسرة وطيب منبتها ، وحسن تربيتها للناشئ وديمومة سؤالها التوفيق للذرية ، وهذا ما نبه إليه القرآن على لسان نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ، وقد جعل القرآن الكريم من أبرز صفات عباد الرحمن الخلص أنهم يهتمون بشأن صلاح ذرياتهم فقال : ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] .

الثالث : ملازمة الطاعة لله ، والاستقامة على منهاجه ، وفي الحديث عند مسلم في « صحيحه » : « **من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن أتاني يمشى أتيته هرولة** » ، أي من أقبل إليّ بطاعته أقبلت إليه بهدايتي وإرشادي ، بأن أشرح له صدره ، وأسهّل له أمره ، وإذا شرح الصدر للعبد المؤمن سهلت عليه الطاعات ومشى في أنوار التوفيق والرعاية الربانية ، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] .

الرابع : حرص الأسرة على أكل الحلال ومجانبة الشبه ، فهذا يؤثر في صلاح

الولد ونجابته ، قال سهل التستري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان ، حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة ، وأكل الحلال بالورع ، واجتناب النهي من الظاهر و الباطن ، و الصبر على ذلك إلى الموت "[1] .



(١) « إحياء علوم الدين » : ١/١٢٦ .

المبحث الثاني : أسرة الإمام الحداد

ودورها في تفوقه ونبوغه

إن ولادة هذا الإمام في أسرة محافظة تنمى إلى العلم والفضل ، وتحرص أشد الحرص على رعايته وحسن تنشئته وتربيته على حب العلم والعمل والفضيلة .. ليعد من العوامل الأساسية في تفوق هذا الإمام ونبوغه المبكر ، ولله در الشاعر العربي الحكيم حيث قال[١] :

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عوّده أبوه

فكان الإمام الحداد يعيش في صغره في بيئة يتردد فيها صدى العلم والذكر ، وتلاوة القرآن ، وقول الكلام الطيب ، ومدارسة أخبار وسير أرباب العلم والولاية والصلاح من أسلافه الصالحين ، فجذبت مغناطيسية هذه الحياة النبيلة فؤاده وروحه إلى عوالم الطهر والفضيلة ..
وقد صرح بذلك بقوله[٢] :

أُولَئِكَ الأَقْوَامْ هُمْ مُرَادِي   وَمَطْلِبِي مِنْ جُمْلَةِ العِبَادِ

---

(١) ينسب البيت لأبي العلاء المعري كما في ((مجمع الأمثال)) : ٥/ ٦٠٨ .

(٢) ((الدر المنظوم)) : صـ ٣٥ .

وَحُبُّهُـــمْ قَــدْ حَــلَّ في فُــؤَادِي　　أَهْلُ المَعَارِفْ وَالصَّفَا وَالآدَابْ

وأشعلت هذه التعلقات في روحه التواقة همة اللحوق بركب الكرام .. وعن هذا يقول في ديوانه[١] :

نمضي على سُـبُلٍ كانوا لها سلكوا　　أســلافُنَا وهُـمُ لله أَجْنَــادُ

ويقول عن هولاء الأسلاف الذين شغف قلبه بحبهم وأتجهت كلية روحه نحوهم[٢] :

مَحَبَّتُهُم دِينِي وَفَرْضِي وَسُـنَّتِي　　وَعُرْوَتِي الوُثْقَى وَأَفْضَلُ مَا عِنْدِي

وَفِي قُرْبِهِم أُنْسِي وَرَوْحِي وَرَاحَتِي　　وَلَسْــتُ بِشَيءٍ إِنْ بَلَوْنِيَ بِالصَّدِّ

فهكذا وفقت هذه الأسرة الكريمة في غرس محبة الأسلاف في فؤاده ، حتى صارت محبة السلف دينه وفرضه وسنته .

أقول : ولا إشكال في قوله : " مَحَبَّتُهُم دِينِي وَفَرْضِي وَسُنَّتِي " ، فمحبة من يحمل أسرار الدين من الدين ، فهم القادة إلى الصراط المستقيم الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧] فمحبة المنعم عليهم ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩] من الدين بلا شك ولا مرية ، وهي فريضة شرعية علينا ، وسنة سنها سيد المرسلين

---

(١) () نفس المصدر : (ص :٩١) .

(٢) () الدر المنظوم : (ص:٦٩) .

لأتباعه ، تتلخص في موالاة من أحب الله تعالى ، ومعاداة من عادى ؛ فإذا كانت محبة المؤمن العادي من أوثق عرى الإيمان، فكيف بمحبة خواص أهل العلم والصلاح من أئمة الدين ؟

ومن مظاهر هذه العناية الأسرية أن والد الإمام الحداد السيد علوي الحداد (ت ١٠٧٢هـ) ، كان حريصا على تعليم أبنه منذ الصغر ، فحفظه القرآن وختمه عليه ، ثم أمره بحفظ متن الإرشاد ، وقال له : " عندنا نسخة صحيحة مليحة من ((الإرشاد)) تحفَّظ فيها " ، وكان سنه إذ ذاك دون خمس عشرة سنة ، فتحفظ في ((الإرشاد)) على الشيخ الفقيه محمد بن أحمد باجبير (ت ١١١١هـ) ، إلى أن وصل إلى محرمات الإحرام .. وحفظ كتاب ((بداية الهداية)) للإمام الغزالي على والده[1] .

أما محفوظاته في النحو ، فقد ذكر في ((تثبيت الفؤاد)) قراءته لكتاب ((ملحة الأعراب)) للحريري وحفظه لها كاملاً[2] .. وقد جالس رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلماء الأكابر في ذاكم العصر، وسمع وعظهم وتذكيرهم ، وحضر الكثير من دروسهم في شتى الفنون ، وتأثر بهم ، وسلك في مسلكهم ، وأشرقت عليه أنوار معارفهم ..

- وإذا علمنا أن الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – قد فقد بصره وهو في الرابعة من عمره ، فلن يخفى علينا حينها عظيم الجهد الذي بذلته أسرته في سبيل ترقيته

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٢٥٠ .

في سلم التعليم (وهو بهذا الحال) ، وتكليف من يقوده لمجالس التلقي والتعليم .

- وكذا تكليف من يقرأ له المعلومات المطلوب حفظها ، ثم استماعها وتصحيحها وتثبيتها .

- ويؤكد لنا هذا الأمر إصرار هذه الأسرة على تعليم هذا الفتى ، وما ذاك إلا لعبقرية لمحوها فيه ، ومواهب أبصروها تتفتق في مُحياه ، حملتهم على الاصطبار على معاناة الرعاية والملاحظة والمتابعة والترغيب ..

- ومما يؤكد ذلك أن والدته السيدة سلمى بن عيدروس الحبشي - رحمها الله تعالى - كانت تلقنه تاريخ ميلاده منذ صباه ، وقد ذكر هذه الواقعة في كتاب « تثبيت الفؤاد » حيث قال : " حفظنا تاريخ ولادتنا من الوالدة ، قالت ولدتَ ليلة الإثنين ، خامس صفر سنة (١٠٤٤هـ) "[١] أقول : فإن حرصها على تحفيظه تاريخ ميلاده يقتضي أن تحرص على تحفيظه وتعليمه مسائل أخرى كثيرة .. وما فعلت ذلك إلا لأنها لمست قوة حافظته وقابليته للأخذ والتلقي ..

- ولا ننسى ما كان لجدته أم أبيه وهي السيدة سلمى بنت السيد عمر بن أحمد المنفر باعلوي ، وكانت من العابدات القانتات ، اللواتي كانت لهن بصمات

---

(١) « تثبيت الفؤاد » : ٢/ ٥٣ .

رائعة في تشكيل مهارات الإمام الحداد العلمية والروحية ، فقد حفظ منها الكثير من العلم النافع وسير الصالحين وكان يروي عنها ذلك[١] .

أما البعد الأعظم في هذا الإعداد يتمثل في أن هذه الأسرة الكريمة لم تشعر هذا الفتى الطموح بعقدة النقص التي قد يشكلها (فقد البصر) عند الكثير من الناس ؛ بل وجدناهم يشجعونه ويستنهضون عزمه نحو معالي الأمور ، حتى صار من كبار الأئمة في عصره ، ليس على الصعيد الحضرمي واليمني فحسب ، بل على الصعيد العالمي ككل ..

وأحب أن أشير هنا إلى جانب القوة في شخصية هذا الإمام ، والثقة النفسية التي كان يتمتع بها ، حيث لم يتثبط لكونه أعمى بين أقرانه ، بل أثبت للجميع جليل قدراته التي يتمتع بها ، ولم يلبث إلا فترة وجيزة حتى صار إمامهم ..

وقد تكلم الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عن هذه الثقة في أيام الصبى المبكرة فقال : " وكنت في أيام الصبا لا أتعامل معاملة من لا يبصر ، لا في مشي ، ولا في لعب ، حتى إذا سرت لا أسير مع أحد.. "[٢] .

وأحب أن أذكر بأن العامل الوراثي المتوارث بين طبقات وأفراد هذه الأسرة ، صير منها أسرة مصبوغة بصبغة التقوى والزهد والصلاح والعلم

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٣٣ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٥٥ .

والحكمة المتوارثة .. وكيف لا يكون أفراد هذه الأسرة كذلك ! وهم ينتمون في نسبهم إلى أشرف الرسل سيدنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، صاحب العقل الكامل والفطنة الكاملة .. القائل : ((**قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدَّمُوهَا ، وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَلَا تُعَلِّمُوهَا**)) [قال الحافظ ابن حجر: خرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح][1].

وقد عبر عن هذا الأساس القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٨٢] ، وصح عن ابن عباس – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا – أنه قال : " حُفِظا بصلاح أبويهما وما ذكر عنهما صلاحا " . وروي أنه كان بينهما سبعة أو تسعة آباء[2].

فتأثير الآباء الصالحين على الذرية يعد من أعظم الحقائق العلمية والنظريات التربوية في العصر الحديث .. فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية ، منذ الولادة ، فعندما يكون انتقاء الزوج ، أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح ، فلا شك أن الأولاد ينشئون على خير ما ينشئون من العفة والطهر والاستقامة .

وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة ، وعامل التربية الفاضلة ،

---

(١) ((فتح الباري)) لابن حجر : ١٠/ ٢٩٦ ، ثم قال : " لكنه مرسل وله شواهد " .

(٢) ((المستدرك على الصحيحين)) : ٢/ ٣٦٩ .

يصل الولد إلى القمة في الدين والأخلاق ، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة وحسن المعاملة ومكارم الأخلاق[1] .

وقد أشار إلى هذا العامل المهم أي رسوخ وثبات صفات الخير والصلاح والعلم والعمل وتناقلها بين الأولاد والأجداد الإمام الحداد نفسه – عليه رحمة الله تعالى – في مواضع من ديوانه ووصفها بقوله[2] :

تجلـدٌ واصطبـارٌ كان ورثه الـ أبنـاءَ مِن قبـلُ آبـاءٌ وأجدادُ

لنا بهـم أسـوة إذ هـم أئمتُنا ونحـن للقـوم أبنـاءٌ وأحفادُ

وأشار إلى هذا العامل أيضا الإمام علي بن محمد الحبشي في ديوانه حيث قال[3] :

طريقة رشـد قد تلقى الذي لها من السر أمجـاد خلائف أمجاد

أبٌ يتلقـى عـن أبيـه وهكذا فيـا لك من آباء كـرام وأولاد

وأخلص من جميع ما تقدم ، إلى أن الأسر المسلمة الصالحة قادرة على صنع العباقرة الذين يؤثرون في صياغة العالم وهندسته ؛ وإعادة ترتيب وعي أفراده ترتيبا شرعيا واعيا ، وإن عاشت هذه الأسر في أقصى أصقاع الأرض وأبعدها عن مواطن التأثير ، فإن شمس المعرفة المخلصة لا بد أن يعم نورها أركان العالم ،

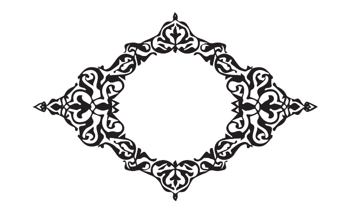
(١) ((تربية الأولاد في الإسلام)) للشيخ عبدالله ناصح علوان : ١/ ٤٣ بتصرف.

(٢) ((الدر المنظوم)) : صـ ٢١٠ .

(٣) ((الجوهر المكنون والسر المصون)) : صـ ٨٦ .

ولا بد أن يحتاج إلى دفئ حرارة الإيمان وعمق العلم والفكر المتسمة به هذه الشخصيات المتميزة كل كائن حي يرغب في تذوق معنى حقيقة الحياة الأصلية .

وأقول لكل الأخوة الحضارمة إن الأسر الحضرمية ، أو البيئة الحضرمية البسيطة ، قادرة على أن تصنع رجالاً أفذاذاً أمثال الإمام الحداد ، يتمتعون بقدرات عقلية وروحيه فائقة ؛ يستطيعون من خلالها أن يصلحون إشكالات العالم ويمدونه بالفكر المستنير والوعي الشرعي المنضبط .. ولكن لن يتم لنا ذلك إلا حينما نعيد النظر في صياغة الأسر صياغة واعية .. وحينما يعاد النظر للتعليم وحقيقته العلمية والعملية والتربوية لتعود صبغته المفقودة .. ووظيفته المنشودة .. وحينما نحافظ على خصائص المجتمع الحضرمي الواعي ، وبالله التوفيق .



المبحث الثالث

أسباب التأثير المرتبطة بشخصية الإمام الحداد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إذا علمنا دور الأسرة والعناية الربانية في تهيئة الإمام الحداد للنفع العالمي ، لا بد أن نعرف الصفات المنبثقة من ذات الإمام الحداد نفسه ، التي أسهمت في تفوقه ونبوغه وتأثيره العالمي ، ولعل أهم هذه الأسباب تتلخص في التالي :

١. الحرص على إعادة أمجاد الأسلاف العلمية والتربوية.
٢. إحياء روح الصلة بينه وبين الله تعالى والصدق في معاملته .
٣. الجد في التحصيل العلمي المثمر للمكنة العلمية .
٤. التصدي لوظيفة التعليم والتذكير بإخلاص وهمة وتجرد .
٥. التأليف والكتابة فيما تحتاجه الأمة .
٦. الحركة بالدعوة والتنقل بها .
٧. الهمة العالية .

وسأتناول هذه الأسباب بشيء من الشرح ، ليتضح المقصود منها ، وليفهم القارئ الخلفية الدافعة والمؤثرة التي حققتها هذه الأسباب ، وأظهرتها

في شخص الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – .

١. **الحرص على إعادة أمجاد الأسلاف العلمية والتربوية :**

كان لأسلاف الإمام الحداد من كبار الدعاة والعلماء والمصلحين الأثر البالغ في نفسه ، فبعد أن تعرف على سيرهم وأخبارهم ، وعلومهم وأحوالهم السامية في نفع الخلق ، وميز صدق عبوديتهم من خلال هذه المعرفة والاطلاع ، وقد ارتقى إلى هذه المنصة – منصة التعظيم للأسلاف – من خلال التشويق الأسري ، والقدوة الحياتية المرئية المتأثرة بذاكم الجيل السابق الفريد ، الظاهرة عليهم أنوار التأثر ، وفي قراءته للكتب المختلفة مع الأقران حافز آخر أسرع به نحو هذا السبيل ، فشمر بعد ذلك للحوق بهم والدخول معهم في ركبهم وهو يقول[١] :

وَأَحْمِلُ نَفْسِي مَا اسْتَطَعْتُ عَلَى اقْتِفَا ... سَبِيلِهِمُ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي الَّرملِ

وقد ذكر في ((تثبيت الفؤاد)) أهمية التأسي بالسلف فقال : " إذا فسد الزمان ، تعين على الناس أن يتشبهوا بأسلافهم ، وينبغي لكلٍّ أن يتشبه بسلفه ، فإذا لم يقدروا على كمال الإقتداء بهم ، والفعل بمثل فعلهم ، فليقاربوهم في ذلك "[٢] .

وقال : " ما مضى عليه السلف ، من قبل الشيخ عبدالله العيدروس ، إلى وقتي ، ما يسعنا إلا تقليدهم والإتباع لما مضوا عليه ، وما كان من زمنه إلى وقتنا

---

(١) ((الدر المنظوم)) : صـ ٢٠٦ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٧٤ .

هذا فلا نتبع إلا ما مَرُّوا عليه ، ومن ابتدع شيئاً فعلى مبتدعه ..»[١] .

قال العلامة محمد بن زين بن سميط : " وكان يأمر بملازمة ما كانوا عليه السلف ، ويزجر عن مخالفتهم في سائر الأحوال ، وكان يقول : لو وضع السلف وضعا في بناء ونحوه وتغير ذلك الوضع ، لم يسعنا إلا رده كما كان ، من غير زيادة ولا نقصان ، ويقول : إنهم وضعوه بنية صادقة ، ويقول : نحن لا ننكر شيئا مما فعله السلف الصالح قبلنا ؛ لأن ما فعلوه حسن "[٢] .

ومع أنه بلغ في العلم مرتبة عالية ؛ إلا أنه يقول في بيان شدة أدبه مع اختيارات السلف: " لولا ما جرى عليه سلفنا من الأخذ بمذهب الشافعي ، كان أحبنا أن نأخذ بمذهب مالك ؛ لأن فيه مسائل إذا تأملتها رأيتها أنها السنة لأنه عالم المدينة ، وعمدته ما أجمع عليه أهل المدينة ، ولكن الشافعي مالكي لأنه تلميذه أخذ عنه ، ولكن لما تأخر عن مالك وأتقن مذهب مالك وعثر على علوم وأحاديث أخرى لم يقف عليها مالك خالفه في بعض المسائل ، ثم جاء بعده الإمام أحمد وتتبع مذهب الشافعي وحرره فكأن المذاهب الثلاثة مذهباً واحداً "[٣] .

فانظر التزامه للمذهب الشافعي تأدبا مع السلف ، وتأمل حال من يريد أن يخالف السلف في كل شيء مع إفلاسه من ضروري العلم ، فضلا عن أن

---

(١) «تثبيت الفؤاد» : ١/ ٢١٨ .

(٢) «غاية القصد والمراد» : ١/ ١٩٩ .

(٣) «تثبيت الفؤاد» : ١/ ٣٥٣ .

يكون من أئمته ؟

وبهذا تعلم أهمية متابعة السلف في استقرار المجتمعات ، وأنها صمام أمان من الابتداع والشذوذ بأنواعه .. ورحم الله الشيخ إبراهيم اللقاني حيث قال في ((جوهرة التوحيد)) :

فكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

وما أجمل قول الإمام الحداد فيما يتعلق بهذه القضية حيث يقول: " نحن على القَدَمِ النبوي وسِيرَةِ سلفِنا السابقين ، ومظهرنا إنما هو مَظْهَرُ عِلْمٍ لا مَظْهَرُ رُؤيَةِ شيءٍ آخر "(١) .

وفي هذا إشارة إلى أهمية ركيزة العلم في حياة العالم الصوفي الرباني .

٢. **إحياء روح الصلة بينه وبين الله تعالى والصدق في معاملته :**

الإمام الحداد كان على صلة وثيقة بمولاه ، دائم الرجوع إليه ، شديد الحرص على فعل محابه حتى نهاية حياته .. كما كان شديد الحرص على اتباع السنة ، حتى نقل عنه قوله : " ما مِنْ سُنّةٍ سنّها رسولُ الله إلا و قد عملت بها "(٢) وكان يقول : " قد عملنا بجميع السنة النبوية ولم نغادر منها شيئا قط ، سوى تبقية الشعر على الرأس ؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانت له وفرة إلى شحمة أذنيه "(٣).

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٦٥ .

(٢) ((بشرى الفؤاد بترجمة الإمام الحداد)) تأليف علوي بن حسن الحداد : صـ ٥ .

(٣) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٢٩ .

فبسبب تفعيله لمقام العبودية المخلصة ، منح من الله منحة التأثير ، وهي خلعة من خلع القبول الإلهي ، المعبر عنها في الحديث النبوي (بوضع القبول في الأرض) ، ونص الحديث كما في ((صحيح البخاري)) عن أبي هريرة – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، قال : ((**إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلانا فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض**)) .

٣. التحصيل العلمي المثمر للمكنة العلمية :

لم يبق علم من العلوم إلا وللإمام الحداد به إلمام واسع ، سواء من علوم الشرع أو التاريخ أو الأدب ، وقد تحدث بنفسه – عليه رحمة الله تعالى – عن هذه المكنة فقال: " ما وجدنا الخير كله إلا في العلم ، ولولا العلم ما عرف العبد ربه ، ولا عرف كيف يعبده "[١] .

وقال في آخر عمره: " إنا مارسنا الأمور – يعني العلمية – وجربناها ، ولنا نحو ستين سنة ونحن في مطالعة الكتب إلى الآن .. ومن حين سننا أربع عشرة سنة وإلى الآن ، ونحن في مطالعة الكتب ، وما مر عليكم مرةً مَرَّ علينا مراراً "[٢] .

وقال : " كان بيننا وبين السيد الجليل علي بن عمر بن الحسين بن الشيخ علي أخوة وممازجة واختلاط ومصاهرة ، وكنا كثيراً ما نطالع الكتب النافعة ،

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٢٣ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢١ – ٢٢ .

ونسردها ليلاً ونهاراً ، وربما كان يقرأ لنا ونحن نسير في الطريق ، وربما دخل علينا الليل ونحن في المطالعة "[١] .

وكان يذكر اجتماعه الدائم مع السيد علي بن عبدالله بن أحمد العيدروس بمكانه في السبير بدمون على الكتب الفقهية ، و « الأربعين الأصل » للإمام الغزالي ، وكتب مناقب السادة آل باعلوي ودواوينهم الشعرية وغيرها[٢] .

ويقول رضوان الله عليه : " قرأنا في فروع الفقه جملة صالحة ، وأما علوم السِيَر والحديث فأمعنا فيه النظر جداً ، وأما علوم القوم فالعمر مضى كله فيها ، وأما علم الاسم فأُعطيناه موهبة من الله عز وجل "[٣] .

ويقول أيضاً : " مضى العمر كله في سماع كنز العلم وما زال تعطشنا إليها حتى كأنا لم نسمعها "[٤] .

ويقول أيضاً : " ما نحسب كتاباً يوجد في حضرموت بأسرها إلا وقد طالعناه ، أو وقفنا عليه ، أو سمعنا منه ، أو سمعنا به "[٥] .

وقال السيد أحمد بن زين الحبشي في ذلك أيضاً: " ما رأيت ، ولا سمعت ،

---

(١) « غاية القصد والمراد » : ١/ ٤١ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ٤٢ .

(٣) نفس المصدر: ١/ ١١١ .

(٤) نفس المصدر: ١/ ١١١ .

(٥) نفس المصدر : ١/ ١١٨ .

بكتاب يوجد في أي فن من العلوم ، وعرضته ، أو ذكرته إلا وجدت سيدي قد رآه ، أو سمع به لشدة تفتيشه عن الكتب وتطلعه إليها "[١] .

وبهذه الممارسة لشتى فنون العلم اكتملت ملكته العلمية ؛ حتى صار موسوعة لشتى العلوم ، وهذا التمكن العلمي مكنه من مخاطبة أجناس البشر في شتى بقاع العالم بلغة علمية رصينة ، تتناسب مع جميع العقول والتخصصات ، وتغزو الأرواح وإن اختلفت لا تحاد قواعد الخطاب في جنس الفطرة .

٤ . التصدي لوظيفة التعليم والتذكير:

مع المكنة العلمية والاطلاع الواسع والحفاظ على أنواع العبادات والمجاهدات ، المثمر للروح النقية التي يتوهج أثر نورانيتها على هذا الإمام ، وبالتالي تفيض خالص نفحاتها على المجالسين له .. مع كل هذا لم يتوقف الإمام الحداد يوما عن دعوة الناس إلى الله تعالى وتذكيرهم وتعليمهم بنفسه ، متجاوزا حد الإعاقة البصرية ، وكبر السن وقلة المساعد ، ومكابدة الظروف الأسرية والواقعية .. وأثمر جهده هذا نهضة إيمانية وعلمية لا تنكر .

ونال بثباته على هذا الحال ، وصحة نيته في هذا المجال ، وسام خصه به علماء زمانه ، وهو أن يلقب بـ (قطب الدعوة والإرشاد الإمام عبدالله بن علوي الحداد) ، نظرا لملازمته للدعوة ، وعنايته بأصناف المدعوين ، ومكنته في هذا

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١١٨ .

الفن (فن الدعوة إلى الله) حتى صار ما يقوله ويكتبه مرتكزا للدعوة والدعاة في كل قرن ، فتجده في كل كتبه يناقش قضاياهم ، والأوهام التي قد تعرض لهم ، ومستجداتهم ، ويحدد لهم سبل العلاج ؛ مع ثبات وتمكين ، ورسوخ وتحقيق فريد ، كما تجد ذلك واضحا في مثل كتاب «الدعوة التامة والتذكرة العامة» .

ومن نماذج ذلك قوله في كتاب «الدعوة التامة» : " ومن الأوهام التي تعترض بعض الدعاة أن يقول في نفسه : إن الدعاء إلى الله والإرشاد لعباد الله تعالى مرتبة رفيعة ، ومنزلة شريفة ، هي من شأن أئمة الهدى والدين ووظيفتهم ، وأنا لست كذلك ولا من أهله ، فيحمله استصغاره لنفسه ، واحتقاره لها ، وتواضعه وانخفاضه على السكوت عن الدعاء إلى الله والقيام بوظيفة الإرشاد ، ويتوهَّم أن ذلك من التواضع المحمود ، ومعرفة الإنسان بقدر نفسه ، ووقوفه عند حدِّه .. وهذا من التوهمات الفاسدة ؛ لأن الحق لا يمنع عن الحق ، والخير لا يصرف عن الخير؛ فعليه أن يجتهد ويشمر في الدعاء إلى الهدى ، والدلالة على الخير ، مع التواضع والخضوع ، والاستشعار للخشية والخشوع ، والاعتراف بالتقصير واحتقار النفس ؛ وذلك هو الكمال ، والجمع لأوصاف الرجال الذين لا تصدُّهم وساوس الشيطان ولا تصرفهم تخيلاته وتلبيساته ، وترويجه للشرِّ في معرض الخير "[١] .

(١) «الدعوة التامة» : صـ ٣٣ .

٥. التأليف والكتابة فيما تحتاجه الأمة :

ولم يكتف بوعظه اللفظي فألف الكتب النافعة التي أستحسنها أكابر العلماء في عصره ؛ بل وفيما بعد عصره إلى عصرنا هذا .. وقد تطرق في مؤلفاته هذه إلى أهم القضايا التي يجب أن تتنبه لها الأمة بجميع شرائحها فجزاه الله عن الأمة خيرا .. وهو بفعله هذا يقيم الحجة على كل عالم إذ أنه (كفيف البصر) قائم بواجبات الدعوة على جميع الأنماط والصور .. وقد تحدث عن أهمية كتابة الكتب المعالجة لقضايا الأمة والواقع رادا على من يقول تكفينا كتب المتقدمين فقال : " وربما قال قائل ممن لا يعقل : الكتب كثيرة وفيها غنية وكفاية فلا فائدة في تصنيف الكتب في هذا الزمان ، فهذا القائل إن أصاب في قوله : إن في الكتب غنية وكفاية ، فقد أخطأ في قوله : لا فائدة للتصنيف في هذا الزمان ؛ لأن للقلوب ميلاً بحكم الجبلة إلى كل جديد ، وأيضاً فإن الله يُنطِق علماء كل زمان بما يوافق أهله ، والتصانيف تبلغ الأماكن البعيدة ، وتبقى بعد موت العالم ؛ فيحصل له بذلك فضل نشر العلم ، ويكتب معلماً داعياً إلى الله في قبره "[1] .

وفعلا بلغت تصانيفه الأماكن البعيدة ، وانتفع بها كثير من الخلق في شتى بقاع العالم .. وبقي بسببها معلماً وداعياً إلى الله في قبره ..

وتحرك في عصره الكثير من الطلاب للأخذ عنه حينما وقفوا على دقيق علمه ومعرفته ، وعن هذا الأثر يقول الشيخ محمد الكردي مبينا سبب وفادته

---

(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ١٨ .

على الإمام الحداد للتلقي عنه : " قدمت إلى تريم قبل وفاة الإمام الحداد عليه – رحمة الله تعالى – بسنتين وكان سبب مقدمي إليه وقوفي على بعض مؤلفاته بمكة ، قال : فلما نظرت فيها ، حصل عندي الانزعاج والشوق إلى لقائه ، فلما كان بعد الحج سافرت إلى اليمن ، وإلى حضرموت ، فلما وقع نظري عليه عرفت قطعاً ويقيناً أنه من أرباب المشاهدة ، وحصل لي مرادي ، وعقدت على نفسي إن لا أفارقه إلى الممات "[١] .

أقول : وقد اتسمت مؤلفاته بجودة التحرير ، ودقة العبارة ، وغزارة المادة العلمية ، وصدق العبارة ، وسلاستها ، واحتياطه في مواطن الاحتياط ، وتوقفه في موطن التوقف[٢] .

وهي كما يقول تلميذه العلامة محمد بن زين بن سميط : " دالة على غزارة علومه ، وعزة فهومه ، وتضلعه في علوم المعقول والمنقول ، فضلاً عن حقائق الطريقة ، ومعارف الحقيقة "[٣] .

ووصف جمال تأليفه قرينة العلامة محمد الشلي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – فقال : " ثم شرع في التأليف ، وأبدع في التصنيف ، وطرز حلل العلوم بوشي أرقامه ، ورمى

---

(١) ((بهجة الزمان)): صـ ٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٢) عدد ضوابط التأليف عند الإمام الحداد تلميذه العلامة محمد بن زين بن سميط – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٣٧ .

(٣) ((غاية القصد والمراد)) : ٢/ ٣ .

أغراض الكلام بسهام أقلامه ، وأتى من معجزات فضائله بالخوارق ، ونسج بيراعة عبارته صدور المهارق ، وكلامه أشهى من رشف الرضاب ، وأحلى برضى الحبائب الغضاب ، وله نظم هو السحر الحلال ، وأدب هو البحر إلا أنه العذب الزلال "[١] .

وبالجملة فقد ألف الإمام الحداد ليبقى ممارساً للدعوة إلى الله تعالى ، وناشراً للكلمة الطيبة إلى قيام الساعة ، وقرب من خلال عباراته الرشيقة في مؤلفاته مقاصد الكتب الكبرى في التصوف ، من مثل : « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، و« إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي ، و« عوارف المعارف » لأبي طالب المكي ونحوها ، كما أنه من خلال مؤلفاته هذه ؛ رسم ضوابط التصوف النقي في مدرسة حضرموت ، وقعد أصول المدرسة وضوابطها ، ولخص أهدافها وغاياتها ، فكان بحق وصدق (محرر الطريقة العلوية الحضرمية ولسانها) في كل الفنون والعلوم ، والمسالك والرؤى والاتجاهات والأفكار .

٦. الحركة بالدعوة والتنقل بها :

الطريقة العلوية الحضرمية طريقة تعظم وظيفة الدعوة إلى الله تعالى والحركة بها ، ولا ترغب في العزلة والانطواء على الذات وترك العالم يحترق ؛ ومما أسهم في إمتداد أثر دعوة الإمام الحداد في العالم تحركه بالدعوة كأسلافه داخل قطر حضرموت بنفسه وتلاميذه ، ثم سفره للحج سنة (١٠٧٩هـ)

---

(١) « غاية القصد والمراد » : ٢/ ٣ - ٤ .

واجتمع بعلماء الحرمين ، وأخذ عنه هناك العلماء وطلبة العلم ، وطار سيطه في الآفاق من تلك الربوع الطاهرة .. وفي مستهل سنة (١٠٨٠هـ) صلى الحبيب عبدالله الحداد إماماً بالناس في الحرم المكي الشريف فجر يوم الجمعة الأولى من محرم وقرأ سورتي السجدة والإنسان ..[١] وبعدها عاد إلى حضرموت وصار مقصدا لطلاب العلم والفضيلة إلى أن توفاه الله تعالى . وكان لا يفرح من طلابه إلا إذا اجتهدوا في الدعوة إلى الله تعالى ، وتفانوا في تذكير الناس بالخير ، وكان يحثهم على ذلك بلسانه وقلمه وحاله . ولما سعى في إظهار دين الله تعالى .. أظهر الله مقامه ، ونفع بعلمه ، وتولى نشره على تعاقب الدهور والعصور ، والجزاء كما يقال من جنس العمل .

٧. علو الهمة :

تميز الإمام الحداد بعلو الهمة من صغره ، ودامت همته وتضاعفت في كبره ، وسرت منه إلى تلاميذه ، فكان تلميذه العلامة محمد بن زين بن سميط يقول[٢] : " وكانت همته نفع الله به تحرك الجبال الرواسي ، وتزعزع كل قلب قاسي كما قيل :

لــه همــم لا منتهــى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر "

ولذا نجده – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – يستعيذ من ضعف الهمم فيقول : " اللَّهم إنا نعوذ بك من

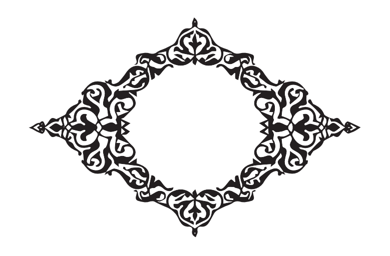
---

(١) ((غاية القصد والمرّاد)) : ١/ ٦٢ وطالع تفاصيل رحلة حجه في ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٥٦ وما بعدها .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٢٧ .

منكرات الأخلاق والأعمال ، ومن فضول الكلام وسوء الانتقام ، ونعوذ بك من زوال النعم ، وحلول النقم ، وضعف الهمم " ، وقال أيضا : " مع علو الهمة تصغر في عين الإنسان جميع الأشياء الدنِيَّة ، ولا يهمه إلا المقصود الأعظم "[١] .

وقال أيضاً : " وأما سبب التقاعد عن سلوك سبيلهم ؛ فليس إلا فقد الهمة وهي قالب التوفيق ، والتوفيق في خزانة الله تعالى فليطلب منه تعالى "[٢] فتأمل قوله : " الهمة قالب التوفيق " ؛ تدرك سر وجود الهمة في انجاح الأمور ، وإنجاز المطالب ، وأكتفي بهذا القدر في بيان علو همته رحمه الله تعالى ، هذا وبالله التوفيق.



(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٧٤ .

(٢) ((النفائس العلوية)) : صـ ١١٤ .

المبحث الرابع : تلاميذه وحملة العلم عنه

أخذ العلم عن الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عدد كبير من التلاميذ من داخل حضرموت واليمن ، ومن شتى أنحاء العالم ، واختلفت مدد ملازمتهم له ، فمنهم من أخذ عنه مدة أربعين سنة ، وهو الإمام أحمد بن زين الحبشي ، ومنهم سنوات ، ومنهم أشهر، ومنهم أيام ، وهكذا ، إلا أن الجميع ساهموا بقوة في نشر فكر هذا الإمام ، ومد أثره في شتى بلدان العالم ، كاليمن والحجاز وعمان والبحرين والأحساء والإمارات والهند واندونيسيا وإفريقيا وغيرها .. وقد تميز هؤلاء التلاميذ بالمكنة العلمية والمعرفية النظرية والتطبيقية .. فاستنارت بهم جميع أقطار الأرض ، وواصل الإمام الحداد رعايتهم ومتابعتهم حيثما كانوا بالمكاتبات والوصايا والمشاورات ، وحسن الدعاء لهم في أوقات الإجابات .

ويحسن هنا أن ألخص أصناف التلاميذ بكلمات وجيزة ، أقول فيها : انقسم تلاميذ الإمام الحداد إلى قسمين :

القسم الأول تلاميذ من داخل اليمن وحضرموت :

فقد أخذ عنه غالب أهل الجهة الحضرمية كآل العمودي وآل باوزير

وآل باجابر وآل باشرا حيل وآل باذيب وآل باحميد وآل باعباد وآل بإجمال وآل باقيس وآل بافضل وآل خطيب وآل بحرمي وآل مطران وآل باجبير وآل باحشوان وآل عقبة وال بانافع وغيرهم .

وأما السادة الأشراف آل أبي علوي فقد أخذ عنه منهم وقرأ عليه جميع قبائلهم ، من جميع ذرية سيدنا الفقيه المقدم ، وجميع ذرية عمه الشيخ علوي بن محمد صاحب مرباط ، ولم يتم ذلك لأحد قبله من سلفه أبداً ، مع تعددهم في وقته وتفرقهم في البلدان ، وما ذلك إلا فضل من الله وإحسان وعلامة جلية على صدق هذا الإنسان(١) .

قال العلامة محمد بن سميط - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " حظي الإمام الحداد بطول العمر ، وظهر بالدعوة إلى الله تعالى من أول أمره ، فكم شاد الطريق وساد ، وألحق الأحفاد بالأجداد ، وقصد لذلك من جميع الأقطار ، واستوى في الأخذ عنه القريب وبعيد الدار ، من جميع الجهات والأمصار "(٢) .

وقال الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " الذي صحبنا من الخلق خلق كثير لا يحصون ، منهم المتحقق ، ومنهم من كان دون ذلك ، على حسب مراتبهم "(٣).

---

(١) ينظر : ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢٢٨ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر : ١/ ٢٣١ .

القسم الثاني من وفد عليه من خارج اليمن :

أذكر منهم على جهة التمثيل لا الحصر:

١. **الشيخ أحمد بن عبدالكريم الأحسائي**[١] :

هاجر من الإحساء ولازم الإمام الحداد سبع عشر سنة ، كان لا يفارق فيها مجلسه ، ويكتب كل ما يتكلم به في حضوره ، وكان عليه مدة إقامته عند الإمام الحداد وظيفة الأذان وحمل السجادة والحبوة ، ثم سافر إلى الحرمين بعد وفاة الإمام الحداد ، ثم إلى الأحساء وانتفع به أهلها وتوفي بها ، ومن أروع آثاره المكتوبة كتاب « تثبيت الفؤاد » جمع فيه خلاصات وغرر وفوائد ودرر ما جادت به أنفاس شيخه الإمام الحداد ، وكان ذا حفظ للعلم وإتقان ، والحقيقة أن « تثبيت الفؤاد » منتخب من أصل ما جمعه الشيخ الأحسائي ؛ أما الأصل لم يطبع بعد ، عجل الله بظهوره .

وكان للعلامة أحمد بن عبدالكريم الأحسائي الأثر البالغ في مد العلوم الحدادية في جهة الأحساء والبحرين وعمان وما جاورها ، وكانت وفاته بعد سنة (١١٦٠هـ) ، كما يستفاد من بعض نصوص « تثبيت الفؤاد » .

٢. **الشيخ محمد المغربي (ت ١١٢٨هـ) :**

كان ينزح[٢] الماء على بير زمزم ، ثم جاء إلى حَضْرموت ومَكَث عند الإمام

---

(١) ينظر : « بهجة الزمان » : صـ ٢٥٨ .

(٢) النزح : هو رفع الماء من عمق البئربواسطة الدلو .

الحداد مدة ، وأخذ عنه ، وتزوج بحضرموت بإشارة منه ، وأنجبت زوجته الحضرمية ولدا اسماه إبراهيم ، ثم استأذن الأمام الحداد في العودة إلى مكة فأذن له ، ولما بلغ ابنه إبراهيم سن البلوغ ، حج سنة (١١١٨هـ) صحبة العلامة الحسين بن الإمام عبدالله بن علوي الحداد ، وحج مرة أخرى سنة (١١٢٨هـ) وشهد وفاة والده بهذا العام[1] .

ويبرز أثر هذا التلميذ في مد الإرث الحدادي إلى جهة المغرب العربي ؛ لأنه بقي مواصلاً لأهله إلى وافته المنية بالحرمين .

٣. الشيخ عمر بن عبدا لله المغربي[2] جد الباسالم أهل تريم :

قال العلامة عمر بن حسن الحداد (ت ١٣٠٨هـ): أن هذا الشيخ كان يكاتب الإمام عبدالله بن علوي الحداد من المغرب ؛ ثم وصل إلى حضرموت وتزوج بها ، وأن قبيلة آل باسالم الموجودة بتريم من ذريته .

ويستفاد من ترجمة هذا التلميذ وصول أخبار الإمام الحداد إلى المغرب ولا شك أن مؤلفاته بلغتهم كذلك .

٤. الشيخ الصالح محمد الكردي[3] :

قدم إلى تريم قبل وفاة الإمام الحداد عليه رحمة الله تعالى بسنتين ، وكان

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١٢٧ .

(٢) ((إدام القوت)) لابن عبيدالله السقاف : صـ ٥٣٤ ؛ تحقيق إبراهيم المقحفي، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء.

(٣) ينظر : ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٩٣ - ٢٩٤ .

سبب مقدمه إليه وقوفه على بعض مؤلفاته بمكة ، قال : فلما نظرت فيها حصل عندي الانزعاج والشوق إلى لقائه فلما كان بعد الحج سافرت إلى اليمن وإلى حضرموت ، فلما وقع نظري عليه عرفت قطعاً ويقيناً أنه من أرباب المشاهدة ، وحصل لي مرادي ، وعقدت على نفسي إن لا أفارقه إلى الممات .

ويكمن أثر هذا التلميذ في بثه العلوم الحدادية في جهة كردستان بالمراسلة مع أهله وقطره .

٥. السيد محمد أبو الوفا المصري[١] :

كان من المجدين في العبادة الصابرين على المكابدة والمجاهدة صحب الإمام الحداد وانقطع إليه بكليته ولازمه بقية عمره وخرج من مصر ولم يعد إليها ، وتوطن حضرموت إلى أن مات شيخه الإمام الحداد ، رحل إلى بور وجاور السيد عبدالله بن علوي العيدروس إلى أن توفي ببلاد بور .

ويستفاد من ترجمة هذا التلميذ بلوغ الدعوة الحدادية إلى الديار المصرية .

٦. أولاد مفتي بغداد الشيخ محمد الرحبي[٢] :

وفدوا على الإمام الحداد في سنة وفاته سنة (١١٣٢هـ) وأخذوا عنه، وطلبوا تدوين بعض مصنفاته فأذن لهم شريطة التحري في النقل وحسن المقابلة لما ينسخ بعد ذلك .

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٤٨ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٦٦ .

وكون الإمام الرحبي يبتعث أولاده للأخذ عن الإمام الحداد واستنساخ كتبه فهذا يدل على تسامعهم به في بغداد وما والاها وتعطشهم للاستفادة من علومه وفهومه .

٧. الشيخ يوسف الماكسري[١] :

أخذ عن الإمام الحداد بميناء من موانئ اليمن إبان رحلته للحج سنة (١٠٧٩هـ) ؛ واستوطن هذا الشيخ بجنوب إفريقيا بمدينة كيب تاون تحديدا ، ونشر أوراد الإمام الحداد بتلك الربوع كما يتحدث عن ذلك أكابر علماء كيب تاون ، وتوفي الشيخ يوسف بكيب تاون سنة (١١١٠هـ / ١٦٩٩م) وعليه بتلك المدينة قبة منورة يزار بها[٢] .

وبالجملة فقد أظهر تلاميذ الإمام الحداد العديد من الأنشطة العالمية في حقل التعليم والتربية والدعوة تتلخص في الآتي :

١) إحياء التلقي السلفي المعتمد على الإسناد في الميدان الشرعي والعلمي ، والحرص على اتصال الإسناد في سائر العلوم الحديثية وغيرها ، كما تلاحظ ذلك من ترجمة السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وغيره ،

---

(١) ((المواهب والمنن)) : صـ ٣٠٧ ، وذكره الإمام الحداد في ((النفائس العلوية)) السؤال رقم (١١٢) : صـ ١٤٤ ، وقد وصفه بالشيخ يوسف الجاوي وقال : " أنه من أهل العلم والتصوف ، وهو من أصحابنا ، وقد قرأ عليه في بعض الكتب المتصلة بفن التصوف " .

(٢) Pages from Cape Muslim History written by Yusuf da Costa and Achmat Davids

وستأتي إشارات إلى ذلك في البحث الرابع .

٢) إحياء علم السلوك والتربية والحياة به في المجتمعات من خلال العديد من الذوات المتحققة به والحاملة له في ذلك العصر المبارك .

٣) إنعاش حركة الدعوة إلى الله من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس مسائل الشرع والدين في الداخل .

٤) إنعاش حركة الدعوة إلى الله في العالم من خلال البعوث التي هاجرت إلى الجهات المختلفة بحثاً عن الرزق ولنشر الإسلام في نفس الوقت .

٥) الإصلاح لذات البين فيما بين القبائل والعشائر المختلفة في وادي حضرموت .

٦) إحياء حركة التأليف والتصنيف في المسائل العلمية التي يحتاج إليها في ذلك الزمن ؛ بالإضافة إلى الحرص على اقتناء الكتب النادرة والمختلفة في شتى الفنون واستنساخها وتعميم النفع بها .

٧) إحياء ظاهرة الرحلة العلمية من حضرموت إلى حواضر العلم الأخرى .

وبهذا ندرك أن الإمام الحداد قد أثر في الأمة تأثيراً بالغاً ، فلا تزال أوراده وكلماته ووصاياه ومؤلفاته وأشعاره تتناقل على ألسنة المسلمين في أقطار أفريقيا : كينيا ، تنزانيا ، و آسيا : اندونيسيا ، ماليزيا ، سنغافورة ، بل وأوروبا ، فضلاً عن

بلاد العرب ، قال الدكتور مصطفى حسن البدوي في كتابه « الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر » : " ولقد كان بلا شك من مجددي الدين ، إن لم يكن المجدد الأكبر للقرن الثاني عشر ، وامتد تأثيره شرقاً وغرباً ولا يزال سارياً في الأمة إلى اليوم .

فإنك إن جلست في الحرم المكي قد تسمع رجلاً من (كينيا) أو (تنزانيا) يقرأ « راتب الحداد » وإن جلست في الحرم المدني قد تسمع أحد العلماء الأفاضل يتلو « الورد اللطيف » للحداد ، وإن سافرت (اندونيسيا) أو (ماليزيا) أو (سنغافورة) سمعت الدعاة والعلماء يقولون : " قال الإمام الحداد .. قال الإمام الحداد " .. وإن زرت اليمن سمعت منشداً ينشد قصيدة من ديوان الإمام الحداد ، وإن وصلت إلى (لندن) أو حتى إلى (البرتغال) أو (الأرجنتين) لوجدت أقواماً يتدارسون مؤلفات (الإمام الحداد) مترجمة إلى اللغة الإنجليزية "(١) .

وبالجملة فقد وقف الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - حياته على تعلم العلوم وتعليمها ، والتضلع في مختلف فنونها ومن ثم تعليمها للناس ، ولم يقعده عدم الإبصار عن الاضطلاع بمهمة التعليم والدعوة والبلاغ ؛ بل أظهر همة منقطعة النظير في هذا الميدان خولته بأن يعرف فيما بعد بقطب الدعوة والإرشاد ، ويعنى بها إمام الدعوة وفارس ميدانها ، والمتخصص الخبير بجميع مجالاتها في زمانه

---

(١) « الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر سيرته ومنهجه » للدكتور مصطفى حسن بدوي : صـ ٥ بتصرف .

وبعد زمانه ، يدرك ذلك من تأمل بإنصاف في ثنايا كتبه كـ « الدعوة التامة » و« النصائح الدينية » وغيرها .

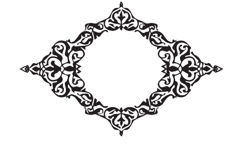
وحينما نلخص أبرز أعماله الدعوية نجدها تبرز في أربعة أعمال أساسية :

١. إحياء وظيفة العلوم المسندة ، وربط شباب عصره بها أخذاً وتبليغاً وتعلقاً ومحبة .

٢. إحياء علم السلوك والتربية ، والحياة به في المجتمعات ؛ من خلال العديد من الذوات المتحققة به ، الحاملة والمبلغة له ، في مختلف البلدان .

٣. إحياء وظيفة الدعوة إلى الله تعالى بشقيها الداخلي والخارجي .

٤. إحياء وظيفة التأليف العالمي فيما تحتاج إليه الأمة من مستجدات المسائل فيما يتعلق بعلم الشريعة والسلوك والدعوة .



المبحث الخامس

كيف يمكننا الاستفادة من تجربة هذا الإمام؟

أحبتي يمكننا الاستفادة من هذه التجربة من خلال تفعيل النقاط التالية :

- إعادة تفعيل دور الأسرة في حسن التنشئة والتربية والتعليم والرعاية .
- حسن الوجهة الدائمة إلى الله ، وسؤاله الملح في إصلاح ذرارينا ، وعدم الدعاء على أولادنا ، فقد قال الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " وليحذر الوالدان كل الحذر من الدعاء على ولدهما العاق ، فإن ذلك يزيده ضرراً وفساداً وعقوقاً ، ويعود بعض ما يتولد من ذلك من الضرر على الوالدين في الدنيا "[١] .
- تربية أولادنا على حفظ كتاب الله تعالى، ووعي وفهم فقه الشريعة ، وطلب ما يتوجب عليهم إتقانه من جميع العلوم الشرعية .
- تعليمهم ربط العلم بالعمل ؛ من خلال مشاهدة نماذج يقتدى بها في البيت وخارجه .
- تعليق الأولاد بأخبار السلف وتاريخهم المشرق لتوليد رغبة التأسي والتشبه بهم .

---

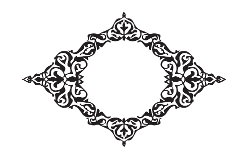
(١) ((النصائح الدينية)) للإمام الحداد : صـ ٢٨٤ .

- إظهار القدوة الحسنة في محيط الأسرة والمجتمع والواقع التعليمي .

- تحفيز النشء على القراءة والكتابة ؛ لينخرطوا في عداد من ينفع الله بهم في الحياة وبعد المات .

- ترسيخنا في عقول النشء أن مهمتنا هي نشر الدين الإسلامي وقيمه وإيصاله إلى جميع الأمم ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

- نعلمهم أنا عزنا يكمن في تفعيل أخلاقيات الإسلام وقيمه والثبات على مبادئه وتعاليمه ، وفي الحديث الذي رواه الحاكم : ((**إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله**))(١) .

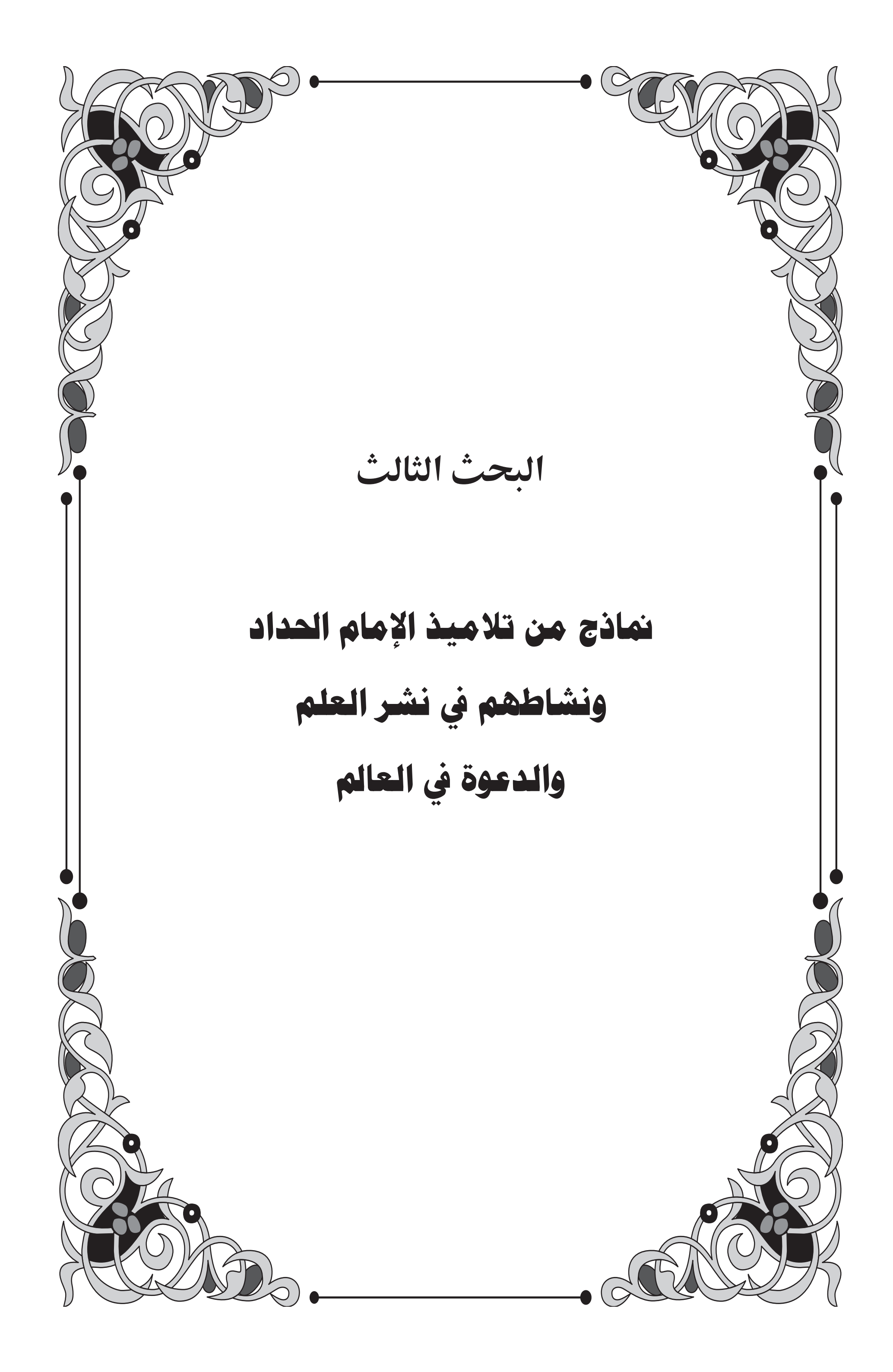


---

(١) ((المستدرك على الصحيحين)) للحاكم : ١/ ٢٠٣ ؛ الحديث رقم (١٩٤) .

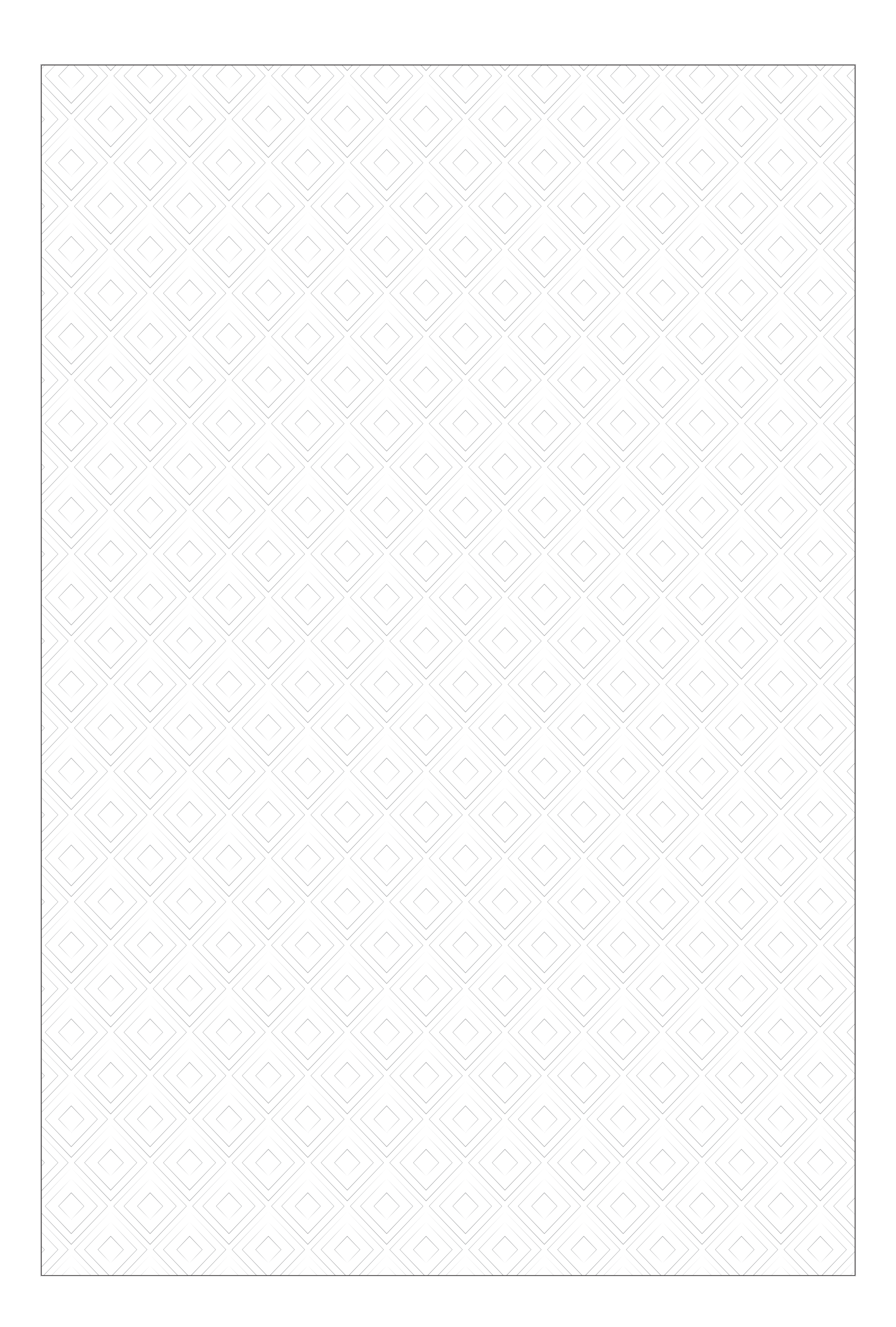
الخاتمة

يمكن للمسلم الصادق أن ينفع أمته النفع العالمي حيثما كان وبوسائل عديدة ، وشخصية الإمام الحداد أكبر مثال يثبت مصداقية ذلك ، فأثره العالمي مع أنه مكفوف البصر ، ومع بعده عن مواطن التأثير الحضاري (الحرمين مصر الشام بغداد المغرب) كل هذا لم يثن من عزيمته تجاه الأمة ؛ فبعزيمته وإخلاصه وصبره ، وتسخير لسانه وقلمه وتلاميذه وسائر تحركاته لهدف النفع والانتفاع ، قدم للأمة العالمية ما يسمو بيقينها وفكرها في كل المجالات التي تسهم في تطويرها ، فاتضح من جميع ذلك مدى تقصيرنا في استثمار الإمكانيات المتاحة لصناعة النفع العالمي الذي يعيد للأمة مجدها وكرامتها ؛ مع توفر الوسائل المختلفة المعينة على ذلك مما لم يتوفر عشر معشارها للدعاة الأوائل ، ولكن النقص ليس نقص وسائل ، ولكنه نقص همم وعزائم ، وانشغال بترهات وبطالات أكثر من الانشغال بنشر دين الله تعالى ، فكلما شمرنا عن سواعد العزيمة ، وعانقنا الإخلاص ، وتدرعنا بالعلم ، والتزمنا الهمة ، وعرفنا الهدف والغاية ، حسن منا الإنجاز ، وحصل الإعجاز ، هذا وبالله التوفيق .



البحث الثالث

نماذج من تلاميذ الإمام الحداد
ونشاطهم في نشر العلم
والدعوة في العالم



مقدمة البحث

الحمد لله الموفق المعين ، والميسر الكريم ، نحمده أن يسر لأسلافنا حسن السلوك في منهاجه الذي هو أعظم المناهج وأعلاها ، وأعذب الموارد وأهناها ، ونشكره على توفيقه لهم في تمثيل محاسن الشريعة وسعة مبناها ومعناها ، ونصلي ونسلم على أساس النجاح ، ومعدن الفلاح ، رسول رب العالمين سيدنا محمد الهادي الدليل ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين حماة الدين ، ومظهر حسنه وجماله ، وهداة الخلق إلى معاني شرعه وبيانه ، وارضى اللهم عن الصحب الأكرمين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

وبعد : فمن المعلوم البين المجمع عليه عند أهل التاريخ ، ما بذله السادة العلويون من جهود عظيمة ، وأنشطة مباركة ، في نشر دعوة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وأصقاعها المتباعدة ، وربوعها المتنائية ، منطلقين من بلادهم المباركة تريم ، حاملين لكافة الخلق في طيات قلوبهم الصافية محاسن الطباع ، وكريم المناهج والتعاليم ، ومكارم الخلال والأخلاق ، مستخدمين في ذلك أحسن الوسائل ، وألطف الأساليب ، وشتى أنواع الدلالات الواضحات ،

المستقاة من مشكاة الشرع المصون ، فانفعلت وتفاعلت وتجاوبت معهم المجتمعات الكثيرة الكبيرة في الأقطار المختلفة ، وفي بلدان العالم المتفرقة ، حتى وصلوا بهذه الدعوة العظيمة إلى أماكن تبعد عن موطنهم الأصلي تريم آلاف الأميال ، وعن ذلك يقول السيد المؤرخ العلامة علوي بن طاهر الحداد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " هم سادة حضارم بل بحور خضارم[١] ، على بحور خضارم[٢] ، وأسد قشاعم[٣] من سلالة محمد وهاشم ، فتحوا بالإسلام جزائر الشرق ، ووجهوا أشعة نوره إلى قلوب عشرات الملايين منهم مع قلة العُدَد والعَدَد والمدد ، وبعد المدى وضعف الحول وطول الأمد " .

قلت: ولله در الإمام أبو مدين في قوله في أمثالهم :

لله قوم إذا حلّوا بمنزلة   حل الرضا ويسير الجود إن ساروا

تحيا بهم كل أرض ينزلون بها   كأنهم لبقاع الأرض أمطار

فإذا عرفنا همّة هؤلاء السادة في نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى ، فسنقف على نشاط أحد رجال هذه المدرسة المباركة ألا وهو سيدنا الحبيب الإمام قطب الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي الحداد (١٠٤٤هـ - ١١٣٢هـ)

---

(١) الخضرم: (البحر الغطمطم) ، ونقل عن بعض أنه سمّي به لخضرته. ينظر : ((تاج العروس)) للزبيدي : ١/ ٧٠٠ .

(٢) شبَّه الدعاة من الحضارمة بالبحور المتلاطمة بالعلوم والمعارف المختلفة المعتلية للبحور الحسية والسائرة عليها لإبلاغ الدعوة المحمدية.

(٣) القشعم: الأسد الضخم الداهية كما في ((القاموس)) .

- رَحِمَهُ ٱللَّهُ - هذا الإمام المجتهد المجاهد بقلمه وفكره ووقته ونفسه وماله ، الذي أحدث في العالم الإسلامي نهضة علمية وفكرية وسلوكية أخلاقية .. اهتزت لها القلوب .. وتفاعلت معها الأرواح .. وانجذبت لها الألباب .. وعملت بها أجيال كثيرة ، وأعداد من أهل الإسلام في مراحل الزمان القريبة والبعيدة .. هذا الإمام الذي طارت بصيته وحسن أسلوبه ومنطقة وتآليفه الركبان .. وهرع إليه المتلقون والراغبون من كل مكان ، فنحن لا نستطيع أن نحصر جميع أعماله وأحواله ؛ ولكننا سنستعرض في هذه العجالة لمحات من جهود تلاميذ هذا الإمام في نشر العلم والدعوة في العالم ؛ الذي يعد امتداداً لهمة إمامهم هذا ، الذي غرس في نفوسهم مهمة وهم حمل الديانة والمعرفة ، ونشرها في جميع أقطار العالم ، وسألخص مقاصد هذا البحث في المباحث التالية :

المبحث الأول : الحالة العلمية والاجتماعية في عصر الإمام الحداد .

المبحث الثاني : حالة المجتمعات الإسلامية في القرن الحادي عشر والثاني عشر .

المبحث الثالث :أهمية التلمذة في نقل العلوم وكيف كان يعامل الإمام الحداد تلاميذه .

المبحث الرابع : في التعريف بطبيعة تلاميذ الإمام الحداد وطرق أخذهم وأقسامهم.

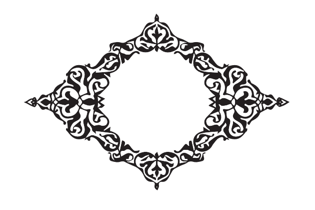
المبحث الخامس : نماذج من تلاميذ الإمام الحداد.

خاتمة المبحث الخامس .

المبحث السادس : نشاط تلاميذ الإمام الحداد في نشر الدعوة إلى الله في الآفاق .

خلاصة البحث ونتائجه .

هذا من الله استمد المعونة والتوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل .



المبحث الأول

الحالة العلمية والاجتماعية في عصر الإمام الحداد

قبل الخوض في إحصاء وتعداد جملة الآخذين للعلم عن الإمام الحداد ؛ سنقف هذه الوقفة البسيطة لنعرف حالة وظروف المجتمعات الإسلامية من حيث الإقبال على العلم .. والحرص على التمسك بأخلاق الإسلام ومنهجيته الحكيمة أو عكسه .. سواء كان داخل القطر الحضرمي اليمني ؛ أو على مستوى العالم الإسلامي العربي والأجنبي .. مع العلم بأننا سنجمل ذلك إجمالاً سريعاً إذ لا مجال للتفصيل والإسهاب .

يقول الدكتور مصطفى حسن البدوي في كتابه «الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر»[١] : " نبأنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن كل قرن من القرون يمر على الأمة يأتي بزيادة ضعف في الدين ، ونقصان في التقوى ، وزيادة حب الدنيا ، وكراهة للموت[٢] . ولذلك نرى كل طبقة من العلماء الصالحين يصفون زمانهم

---

(١) ينظر : صـ ٨٩ .

(٢) فيه إشارة إلى حديث الصحيحين الذي رواه عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « **خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم** – قال عمران : فلا أدري ذكر بعد قرنه قرنين =

بأنه أفسد من الأزمنة ، وأقلها رغبة في الخير والعلم والفضيلة والسلوك "[١] ، وهو في واقع الأمر كذلك بالنسبة لما سبقه من الأزمنة ، ولكنه بالنسبة لما هو آت أصلح فكل زمان أسوأ مما قبله ، وخير مما بعده وزمان الإمام الحداد وخصوصاً في حضرموت كان زمان خير وصلاح[٢] وفيه من المتقين والصالحين العدد الكبير، وفيه من مقومات الحياة الروحية الشيء الكثير، خصوصاً إن قارناه بزماننا هذا ، وسيطرة الماديات عليه ، وانتشار البدع والآراء الغوغائية فيه .

يقول الإمام الحداد واصفاً زمانه[٣] : " إن أهل الزمان نسوا الله بترك حقوقه ، فسلط عليهم ما يشغلهم ، حتى لو دعوا لم يستجب لهم ، وتنكر أصواتهم الملائكة ؛ لأنهم لم يألفوها بسماع ذكر أو غيره من أمور الطاعة كما ورد في حديث: ((**فأنّى يستجاب له**)) "[٤].

وقال الإمام الحداد أيضاً: " وقد انقلب الناس اليوم إلى حال آخر، فلو

= أو ثلاثة – **ثم إن بعدكم قوم يشهدون ويستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن**)) هذا لفظ البخاري (٥/ ٢٦٥١) ومسلم (٤/ ٢١٤ فضائل الصحابة).

(١) نظراً لما رزقهم الله من علو في الهمة التي لم يرزقها الآخرين من المثبطين .

(٢) وهو ما يعرف بالتنفسات التي تحدث في بعض الأزمنة فيكون فيها من الخير والصلاح ما ذكر .

(٣) ((تثبت الفؤاد)) : ١/ ٢٦٢ .

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا** ...)) ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له ؟ رواه مسلم برقم (١٠١٥) في باب الزكاة .

ألقيت إلى أحدهم كلمة أو كلمتين من العلم والنصيحة والتذكير بما يفيده لم يفرح بها ، ولم يتأسف على ما مضى من عمره قبل أن يعرفهما ، ولو سألت عنهما بعد يوم أو يومين رأيته قد نسيهما ولا يهمه ذلك "[١] .

وقال عليه رحمة الله : " والخير في هذا الزمان - أي زمانه - وأهله قليل ، ولكن إذا وجد يرجى أن يدفع الله به عن الناس البلاء ؛ لأن السراج الواحد يضيء في أماكن متعددة ، وقد كان الرجل في الزمان الأول يقرأ الآية من القرآن فيمرض حتى يعاد لعظم ما يظهر له من معانيها ؛ كعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وآخر سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقرأ الطور فكاد قلبه أن ينخلع ؛ لأن قلوبهم وأبدانهم متعلقة بالآخرة (أي الأولون) وهؤلاء (أي) الآخرون وأهل زمانه على العكس قلوبهم وأبدانهم متعلقة بالدنيا .. تركوا قلوبهم مفتوحة للدنيا ، فدخلت فيها وقلدتها (أي أغلقتها) وبقيت من داخلها[٢] .

ويقول الإمام ناقداً أهل زمانه : " أهل هذا الزمن فاتهم كل شيء ، وادعوا كل شيء وسيبوا كل شيء "[٣] .

ويقول[٤] : " أهل هذا الزمان لو خير أحدهم بين المغفرة وبين مائة درهم ،

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٣١٠ .

(٢) ((الإمام الحداد)) للدكتور مصطفى البدوي : صـ ٩١ .

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٩ .

(٤) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٣٢٨ .

لاختاروا المائة درهم على المغفرة ، لفرط غفلتهم عن الدين ورغبتهم في الدنيا "[١].

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عند رحيله للحج : " إن جهتنا تشتمل على صنفين أي من الناس :

الأول : يعرفوننا ويعرفون ما نحن عليه فيزدادون بخروجنا معرفة بالحق ، كمعرفة من غربت عنه الشمس ، ويتعشقون ويتلهفون ، وتتعلق قلوبهم بالعود ، فنعود إن شاء الله .

والثاني : وهم الأكثرون : ندعوهم فلا يستجيبون ، ولا يصغون ، فيضرهم دعاؤنا وإقامتنا بين أظهرهم ، ومع ذلك ربما ينكشف لهم ما ينكشف للأولين "[٢] .

ومع ضعف همم الناس في طلب العلم ، وقلة رغبتهم في حضور مجالسه ، لم ينثنِ الإمام الحداد عن تبليغ الدعوة.. ولم يتأخر عن الدعوة إلى الله ونفع الناس على مرّ الأيام ، كيف وهو القائل في كتابه ((الدعوة التامة والتذكرة العامة))[٣]: " ومن قصر عن الدعاء إلى الله وإلى دينه من المتأهلين له مع التمكن ؛ فإنه داخل تحت عموم الوعيد الوارد في حق من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى ، وفي

(١) لأن حضور مجالس الذكر والعلم من موجبات المغفرة كما هو ثابت في حديث البخاري ومسلم: ((... **أشهدكم أني قد غفرت لهم** ...)) والناس في زمان الإمام الحداد آثروا السعي في جمع الدراهم على طلب العلم ومجالسة أهل الذكر الموجبة للمغفرة، فكيف إذا تأملنا حال أهل زماننا ؟

(٢) ((بهجة الزمان)) : صـ ٣١٧ .

(٣) صـ ١٢ - ١٣ .

ذلك وعيد شديد ، وعذاب وبيل ، وذم من الله بليغ " .

فكان – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – يكلم الناس على قدر عقولهم وأحوالهم .. ويدعو كلاً منهم إلى الله بما يناسب وضعه وعلمه ، ولا يكلف أحداً ما لا يطيق .

ومن شواهد ذلك قوله في « التثبيت » : " خذ مع أهل الزمان بالرفق ما أمكنك ، ولا تشدد عليهم ، فإن حبالهم رامّة[1] ، وما كنت تعلّمه أحدهم في يوم اجعله في ثلاثة أيام ؛ لأن قلوبهم مائلة أو قال منصرفة ، وخصوصاً الصغار، ما معك منهم إلا الترقوة[2] واللطف بهم والرفق ، ومثال أهل الزمان كالبعير الشارد ، فلا تضربه فتزيده شروداً "[3] .

فتأمل بصيرته بزمانه وبأهل زمانه ؛ وكيف كان يتعامل معهم في دعوتهم إلى الله تعالى بالرفق واللين .

وبين – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – سبب اعراض أهل زمانه عن العلم وتحقيقه والتحقق به فقال : " المعاش شَغَلَ الناس عن قراءة العلوم ؛ وعن العمل بها ، وقد قال سفيان الثوري : لو اشتغلت بِبَصلة ، ما فهمت مسألة ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فعسى السكون والصلاح ، فإنه لا تصلح أمور المسلمين حتى تسكن

(١) رامة : أي واهية .

(٢) الترقوة : الترغيب ، يقولون أهل حضرموت فلان يترقى فلان أي يكثر له في الترغيب ، وترقيته ترقاة أي رغبته ترغيباً .

(٣) « تثبيت الفؤاد » : ١/ ٣٥٧ .

ولاتهم "[١] ، وفي النص إشارة واضحة إلى أن الاضطرابات السياسية في مسائل الحكم ، تسهم في تردي أمور المعاش ، وهذا يسهم في قلة الرغبة في تحقيق العلوم وتحصيلها وهذا ما جعله يقول : لا تصلح أمور المسلمين حتى تسكن ولاتهم .

وأشار إلى طريقة تدريسه للعلوم فقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " إنا لا نحبّ أن نحيّر الطالب ، بل نعطيه على قدره ، وترى أقواماً يطيلون على المبتدئين ، ويحيرونهم حتى يملوا ، ونحن قد طَالعنا كثيراً وقرأنا كثيراً ، ونسينا كثيراً ، ولكنا لم تَجْر المذاكرة في مسألة ما إلا ذكرنا لها شاهداً من القرآن والسُّنة ، وإذا عرضت مسألة تَكَلَّمنا فيها ، ولا نراعي حال الحاضرين ، وإنما نراعي الوقت والدماغ ، ونحب مع ذلك أن الحاضرين يُثْبتون بعض ما تكلمنا به ، أو قال بعض المذاكرة ؛ لأن لنا في ذلك شجناً ، وإلى الآن نحب الكتب والمطالعة فيها ، مع إنّا على ذلك من حين كان سِنُّنا نحو خمس عشرة سنة ، حتى إنه يعجبني بعض الكتب التي لم أقف عليها أو وقفت عليها ونَسيْتها "[٢] ، وقد أحتوى هذا النص على بيان طريقته في التدريس ، وحرصه على عدم التشتيت لذهن المتلقي ، وحرصه على التأصيل للمسائل من الكتاب والسنة ، وإقامة المسائل على فقه الدليل ، وهذا المسلك في التدريس هو مسلك الفحول الذين يتخرج بهم الجهابذة من التلاميذ العلماء النجباء .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٦١ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٦ – ٧ .

المبحث الثاني

حالة المجتمعات الإسلامية في القرن الحادي عشر

لا شك أن البلدان الإسلامية على تناظر قريب في الأحوال العلمية وخاصة من حيث قلة الرغبة في العلوم والعزوف عن الأخلاق المرضية والعلوم الشرعية ؛ وما ذلك إلا بسبب الطغيان المادي على جل هذه المجتمعات ، وبسبب الاضطرابات السياسية والاقتصادية والفكرية التي نخرت في صلب الأمة الإسلامية الواحدة من جراء الفكر الصليبي الناقم الحاقد ، الذي بدأ بتطبيق مبادئه الهدامة وصوب سهامه تجاه المجتمع الإسلامي فضعضع حكوماته واقتصاده ومن ثم جميع مقوماته ، ومع هذا ظهر في القرن الحادي عشر في كل الأقطار العربية شيوخ أجلاء وعلماء أكابر يدعون الناس إلى الخير ويبينون لهم سبله وينفون عن مجتمعاتهم تخيلات المتخيلين وأباطيل المبطلين ، سواء كان في مصر أو الشام أو المغرب العربي أو غيرها من الأقطار العربية المباركة .. وكان لهؤلاء العلماء الأثر المحسوس والمشاهد في تقويم مجتمعاتهم والمضي بها قدماً ، مع أنهم يعانون من فتور في طبقات الخلق من ناحية الإقبال على الخير كالذي يعانيه الإمام الحداد ولكن هذه سنة الله في خلقه .

وكانت للإمام الحداد تواصلات مع بعضهم كما تشاهده في ((المكاتبات)) ، وتوطدت علاقته مع بعضهم في رحلة حجه ، وعبر بعض تلاميذه ، وسرت شهرته إلى مصر والمغرب والشام والهند وغيرها عبر مؤلفاته التي تداولها الناس بالنسخ ، وعبر سفريات التلاميذ ورحلاتهم .

وقد ثبت تسامع مفتي بغداد الشيخ محمد الرحبي بمؤلفات الإمام الحداد ، وأرسل أولاده لاستنساخها قبل وفاة الإمام الحداد بنحو ستة أشهر[١] .

وحينما طالع مفتي الشام ومرجعها الأكبر في عصر الإمام الحداد كتاب ((النصائح الدينية)) ، سلم له بأنه أعلم أهل الأرض ، وأمر أهل الشام من طلبة العلم باستنساخ كتاب ((النصائح)) والإمعان في قراءته .

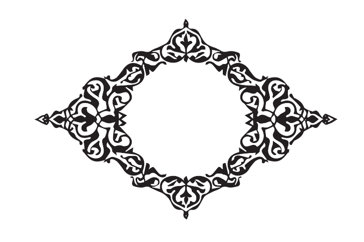
قال العلامة محمد بن زين بن سميط - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ناقلاً عن العلامة عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - قال : " حججت في سنة من السنين ، وحج في تلك السنة مفي الشام ، الذي إليه الرجوع في جهته ، فيخرج أهل مكة في عراضه ، واجتمع الناس إليه بالحرم الشريف ، فجئت إليه في جملتهم ، فأول شيء سمعته منه ، أنه قال : ما على وجه الأرض اليوم أعلم من السيد عبدالله الحداد ؛ وله كتاب ((النصائح)) عظيم القدر ؛ وما من طالب علم في جهتنا إلا وقد حصل منه نسخة "[٢] .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٦٦ .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ٢/ ٧ .

وعلى العموم فعلاقة حضرموت بدول الجزيرة العربية في عصر الإمام الحداد علاقة ودية تربط بينها وشائج الدين والجنس والجوار، وبهذا يشكل الجميع جسداً واحداً إذا أصيب منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، ولا شك أن أي مأساة تحل بقطر من هذه الأقطار تنعكس على الأقطار الأخرى[١].



(١) «حضرموت عبر أربعة عشر قرناً» لسقاف بن علي الكاف : صـ ١٣٣ بتصرف .

المبحث الثالث

أهمية التلمذة في نقل العلوم وكيف كان يعامل الإمام الحداد تلاميذه

قبل الخوض في غمار الحديث عن التلاميذ للمدرسة الحدادية ، يجب أن نعلم أن ركيزة التلاميذ قائمة على جانب كبير من العظمة والأهمية القصوى ؛ بل إن الهدف من حياة الإمام الحداد يتجسد في تربية هولاء التلاميذ بعد قيامه بتربية ذاته وربطها برابط الاستقامة ، فعلى التلمذة يدور مدار نقل علوم وفهوم وأخلاقيات وسلوكيات ومنجزات هذا المجدد العظيم ، والمربي الفاضل ، والمصلح الاجتماعي ، وبثها في العالم ، وكم ضاع تراث إمام كبير بإهمال التلامذة ! وكم ضاعت مذاهب لهذا السبب نفسه .

ولنعلم أن جهود هذا الإمام وأخلاقه وعلومه ومؤلفاته وما إلى ذلك ، كلها صدرت ونتجت عن مدى استيعاب تلاميذ هذا الإمام لمجرى حياة إمامهم العلمي والمعرفي والدعوي والتربوي ، وجميع اتجاهاته الفكرية ، وعلى البواعث الإيمانية واللواعج الروحية التي فاضت في قلوب هؤلاء التلاميذ حتى حملتهم

على الانتشار في مشارق الأرض ومغاربها ، بهمم لا تعرف الكسل أو الملل ، أو التبرم أو الضجر .. نعم فقد انطلق هؤلاء التلاميذ المباركين في فجاج الأرض ، ناقلين علم هذا الإمام وسعة إدراكه ، ومحاسن أوصافه التي تحمل في طياتها أخلاق القرآن .. وأخلاق رسول الإسلام سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .. فاستمروا في جهادهم هذا حتى بعد وفاة إمامهم وسيدهم .. بل ولا زال جهادهم ممتداً إلى وقتنا هذا وقد اندرج هؤلاء التلاميذ المباركين في ألحادهم .. ولكن علومهم ونشاطاتهم نذكرها إلى يومنا هذا ، فنقول : فلان من تلاميذ الإمام الحداد توجه إلى المنطقة الفلانية ، وأحدث فيها نهضة علمية دعوية مباركة ، وانتفع به الناس ، ودخل على يده أناس في الإسلام وهكذا .. فأكرم بهؤلاء الأقوام من رجال تحققوا فعلاً بحقائق معاني رجولة الإسلام والإيمان ، ورجولة رجاحة العقل وصدق الإيقان بالمبدأ ؛ والذب عن صفاء العقيدة الإسلامية ومنهجها الأسمى ، ورضي الله عنهم فقد كانوا فعلاً مثلاً لعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .. وهم بلا شك ولا ريب ولا مدافع ولا مناظر .. رجال الله وأهله وخاصته الذين لم تلههم عنه تجارة ولا نوم .

وأبرز ما قدمه تلاميذ الإمام الحداد لشيخهم التالي :

١. كتابة كتبه ونسخها والحفاظ عليها من التحريف والإقحام ونشرها في العالم .

٢. التحقق بما دعاهم إليه من قيم تتصل بإصلاح الذات والصفات والسير بها

في الوجود ، وإحياء معالم الشريعة والربانية الصادقة .

٣. كتابة تفاصيل حياته في كتب كثيرة لخصت ترجمته وطبيعة حياته العلمية والعملية ، بل وحياة ذلك العصر المباركة قاطبة ، مع الحفاظ على مكاتباته ووصاياه وديوانه ، فكان الإمام الحداد من أكثر الشخصيات الحضرمية ظهوراً من حيث الكتب الخادمة لحياته وما يتصل بها .

أما معاملته لتلاميذ وكيف كانت ؟ فهذا أمر يطول شرحه ، فقد كان - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لهم كالأب الشفيق الرحيم ، يربيهم على التواضع وعلو الهمة ، والتشمير ومحبة العلوم والأعمال ، والرحمة البالغة بالخلق وترك الانتصار للذات ، والقيام بمصالح الخلق والسعي البالغ في ذلك .. ولعله من النافع جدا أن أنور المقام بنقل بعض نصوصه المتعلقة بهذا الباب .

قال العلامة محمد بن زين بن سميط : " وكان - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - كثير الاعتناء بأصحابه ، شديد الاهتمام بما يصلحهم في دينهم ودنياهم ، رؤفاً رحيماً بهم ، مشفقاً عليهم ، له عليهم الغيرة التامة والرحمة العامة ؛ لا يكاد يثني على أحدهم قط ، إلا إذا مات أو غاب أو تحقق فيه الكمال ، بحيث لا يحركه الثناء والمدح ، وإذا اثنى على أحد فغايته الكلمة والكلمتين ، خشية الاغترار ، وخوفا لميله إلى العجب ، وقد قالوا ما معناه : (إن المريد يحمل من الأعمال مثل الجبال بثناء الشيوخ عليه) .

وكا ن – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – يقول : " إن نطوي خصوصية أصحابنا في بشريتهم ؛ ومعناه والله أعلم كما سمعته من سيدي أحمد بن زين الحبشي : أنه ربما يظهر عليهم في ظاهرهم ما يستر ما لهم من الخصوصية والمدد الحاصل لهم منه نفع الله به عن الناظر ؛ بل وعن أنفسهم ايضاً ، فإنهم لا يكادون يشهدون لأنفسهم حالاً ، ولا يدعون مقالاً ، ولا يتحققون من أنفسهم صدقا مع الله في أكثر الأحوال ، كما هو مشاهد منهم نفع الله بهم " .

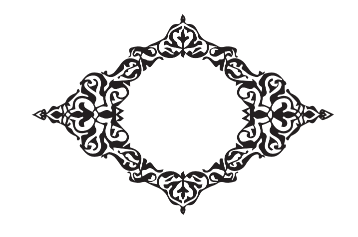
وكان يقول : " إن أصحابنا موسومون يعني بذلك الوسم الذي يعرف به الشيء ، وهو العلامة ، قال سيدنا العلامة أحمد بن عمر الهندوان : أنا أعرف أصحاب سيدي عبدالله وأميزهم من بين الناس ؛ سيماهم في وجوههم من أثر السجود " .

وقال – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – : " لا يخرج أحد من أصحابنا الذين نعول عليهم من عندنا ؛ إلا ويكون خوفنا عليه من التغير خوف الأب على ولده الصغير إذا دخل أجمة فيها السباع والحيات وأنواع المتلفات ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

وكان يقول : " إن من قد عرفناه لا نضيعه ولا نتركه وإن تركنا ، وإن قطع الحبل بيده هكذا ، وأومأ بيده الشريفة " .

وكا ن – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – يقول : " أصحابنا لا تنكشف لهم أحوالهم أو قال : أعمالهم الصالحة إلا في الدار الآخرة ، وهو قريب من قوله فيما تقدم ، إنا نطوي

خصوصيتهم في بشريتهم ، أي لا يظهر لهم وجود خصوصيتهم ، مع ظهور بشريتهم ، فلا يشهد الكمال فيهم ، وفي ذلك سلامتهم وفوزهم وغنيتهم "[١] .



(١) جميع النقول السابقة منقولة من كتاب ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢٢٩ - ٢٣٠ .

المبحث الرابع

في التعريف بطبيعة تلاميذ الإمام الحداد وطرق أخذهم وأقسامهم

يقول تلميذه السيد العلامة جمال الدين محمد بن زين بن علوي بن سميط: " وأما الذين أخذوا عنه والذين صحبوه فخلق لا يحصون بحد، ولا يستقصون بعد، وكان الكثير منهم قد توفي قبله فلم تدون سيرهم ، ولم تنقل مناقبهم إلا بالنزر اليسير، على ألسنة القليل من الناس، وإذا فقدنا الكثير فبالقليل يحصل الإيناس، ولنقتصر على ذكر هؤلاء بحسب المتيسر وبحسب ما جرى به العلم "(١).

وبما أن الإمام الحداد عليه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - حظي بطول عمر، وظهر بالدعوة إلى الله تعالى من أول أمره وشرخ شبابه ؛ كثر طلابه ومريدوه والآخذون عنه من جميع الأقطار، واستوى في الأخذ والتلقي عنه القريب وبعيد الدار من جميع الجهات والأمصار، من أهل الحرمين الشريفين، والحجاز واليمن والشام والعراق ومصر والهند والمغرب وغيرها .

---

(١) ((بهجة الزمان وسلوة الأحزان)) : صـ ٤ .

أما أهل حضرموت فأخذ عنه منهم الجم الغفير ، ولم يتخلّف عنه من أهلها إلا من لا يؤبه له من النزر اليسير، فقد أخذ عنه غالب أهل الجهة الحضرمية كآل العمودي وآل باوزير وآل باجابر وآل باشراحيل وآل باحشوان وآل بانافع وآل باحرمي وآل باغريب وآل باعباد وآل باكثيروآل باحفص وآل بن عفيف ، وغير هؤلاء ممن لا مطمع في تعدادهم على الإجمال فكيف بالتفصيل[١] .

وأمّا السادة الأشراف آل أبي علوي فقد أخذ عنه منهم وقرأ عليه جميع قبائلهم من جميع ذرية سيدنا الفقيه المقدم ، وجميع ذرية عمه الشيخ علوي بن محمد صاحب مرباط ، ولم يتم ذلك لأحد قبله من سلفه أبداً ، مع تعددهم في وقته وتفرقهم في البلدان ، وما ذلك إلا فضل من الله وإحسان ، وعلامة جلية على صدق هذا الإنسان[٢] .

ثم إنّ الآخذين عن الإمام الحداد على قسمين :

القسم الأول : وهم من لازموه وأخذوا عنه أخذاً تاماً ، وتتلمذوا عليه واعتكفوا ببابه ، وحضروا دروسه لسنوات أو أشهرا ؛ ولا زموه في شتى الفنون والعلوم .

القسم الثاني : وهم من أخذوا عنه بالإجازات والمكاتبات والمراسلات ،

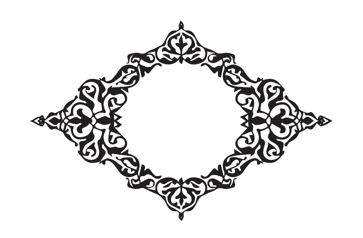
---

(١) كل هذه القبائل تتلمذ منهم أعداد للإمام الحداد يقف على تفاصيل ذلك من قرأ كتاب بهجة الزمان وقد ذكر جملة منهم في خاتمته فانظرها : صـ ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٢٢٨ .

أو من أخذوا عنه أخذ تبرك وإلباس، أو من حضروا له بعض المجالس والمذاكرات العامة ولو في العمر مرة[١] ، وهؤلاء عددهم كثير لا يحصى ثم إن القسم الأول يوجد في أفراده أعداد من التلاميذ ممن قصدوا الإمام الحداد من الخارج .

وإذا علمنا أنّ تلاميذ الإمام الحداد بلغوا من الكثرة الحد الذي لا يحصى ، فسنقف في هذه العجالة على نماذج من أكابر هؤلاء التلاميذ ، متعرضين لبعض أنشطتهم وإصلاحاتهم ومنجزاتهم .



(١) وغالب هؤلاء ممن التقوا به في رحلاته الخاطفة إلى جهة وادي عمد ودوعن ووادي العين .. وفي الشحر وعدن وبلاد الحجاز أثناء وتوجهه لحج بيت الله الحرام . ينظر : ((الإمام الحداد)) للدكتور مصطفى البدوي : صـ ٨٦ – ٨٧ .

المبحث الخامس

نماذج من تلاميذ الإمام الحداد

١) السيد العلامة الإمام أحمد بن زين الحبشي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – **(١٠٦٩ – ١١٤٤هـ)** :

هو من مفاخر الكون وأئمة الشريعة والحقيقة، وأفذاذ الدعاة إلى الهدى وكبار المصلحين الاجتماعيين ، ولد بمدينة الغرفة في أوائل العام (١٠٦٩هـ) وبها تلقى أولويات العلوم على يد والده وحفظ القرآن العظيم وأتقن تلاوته ، وسطعت عليه علائم النجابة من صغره ؛ فما أن شب وقوي عوده إلا وأخذ يتنقل ماشياً إلى شبام وتريس وسيئون وتريم في سبيل تحصيل العلم الشريف ، وأخذ في بداية أمره بالقراءة على السيد العلامة العارف بالله عبد الله بن أحمد بلفقيه (ت ١١١٢هـ) – عليه رحمة الله – فقرأ عليه الكثير من الكتب في فقه الشريعة وعلم السلوك وكان يحبّه ويدنيه جداً ويثني عليه الثناء الجميل[١] .

وبعد ذلك انقطع إلى ملازمة الإمام عبد الله بن علوي الحداد فطرح نفسه له ، وألقى قياده إليه ، وسكن تحت حكمه ، وامتثل أمره في ورده وصدره ، وما التفت إلى أحد سواه بعده إلا على سبيل التبرك ، وكان يحضر دروس السادة

(١) ينظر : ((بهجة الزمان)) صـ ٩٦ وما بعدها.

الأعلام من أهل تريم ، ويجتمع بالكثير منهم ، كالسيد الإمام أحمد بن عمر الهندوان وكان يعظمه ويجله إلى الغاية والنهاية.

وكان السيد أحمد الهندوان يقول للحبيب أحمد بن زين : " إن لله ضنائن من خلقه ، يحييهم في عافية ويميتهم في عافية وأرجو أن تكون منهم "[١] .

ولم يزل الإمام أحمد بن زين الحبشي مجداً ومجتهداً في ملازمة الأخذ عن شيخه العظيم الإمام الحداد حتى بلغت مدة أخذه عنه أربعين عاماً[٢] قرأ عليه في غضونها نيفاً وسبعين مؤلفاً في مختلف العلوم والفنون وكتب السير والتصوف إلى غير ذلك من دواوين العرب والصوفية ؛ حتى أن المنية وافت شيخه وهو يقرأ عليه في « موطأ » الإمام مالك أو في « شرح السنة » للإمام البغوي[٣] .

وكان الحبيب عبد الله بن علوي الحداد يقول : " قراءة السيد أحمد عندنا في الكتب إنما هي للتبرك فقط ، وإلا فليس محتاجاً إليها " سيما في آخر حياة الإمام الحداد[٤] .

محبّة الإمام الحداد له:

مرض السيد الجليل أحمد بن زين الحبشي وهو ببلد الغرفة وبينه وبين تريم

---

(١) « بهجة الزمان » : صـ ٩٨ .

(٢) « تاريخ الشعراء » : ٢/ ٥٩ ، و« بهجة الزمان » : صـ ٩٤ .

(٣) قال السيد محمد بن زين بن سميط في « بهجة الزمان » : ٩٥ : " شككت الآن في أيهما يقرأ " .

(٤) « بهجة الزمان » : صـ ٩٥ .

مرحلة فكتب إليه الإمام الحداد كتاباً قال فيه : " لو تكلفنا العيادة لكم لكان ذلك قليلاً مما يجب من كثير حقكم ، ولكن منع العجز والضعف ، وكثرة تعلق الناس وحركاتهم "(١).

وأثنى عليه في أثناء قصيدة له بقوله:

أمــا الحبيب الســيد البر الذي	أعلى له الــرب الكريــم منارا
وأقامــــه داع إليــــه بقولــــه	وبفعلــه من غــير ما إنــكارا
فــالله يبقيــه ويرفــع قــدره	وينيلــه مــن قربــه أوطــارا
ويزيــده علــماً ومعرفــة بــه	وســعادة لا تنتهــي لِقُصَــارا

نشاطاته العلمية والخيرية:

بعد وفاة شيخه الإمام الحداد أقبل عليه التلاميذ من كل البقاع ، فأظهر لهم ما منَّ الله عليه مِنْ نفائس العلوم والفهوم ، فأبهر العقول وجذبها ، وحير الألباب وأسرها ، وأخذ يدرس هؤلاء المقبلين ويفيدهم في شتى العلوم الشرعية والعربية والصوفية ، وكان مبتدأ ظهوره بالغرفة ، ثم تحول عنها إلى بلدة خلع راشد ، وشاد بها داراً ومسجداً وسكناً يستقبل فيه الوافدين من طلاب العلم وغيرهم ، وبقي في هذه البقعة المباركة علماً يستهدى به ونبراساً يستضاء به ؛ فانتفع به الخاص والعام ، وطار صيته وحسن منطقه حتى بلغ أقصى البلدان ، وكان كثير الخروج للدعوة إلى الله في المناطق المجاورة لبلاده ووادي دوعن

(١) ((بهجة الزمان)) : ٩٤ .

وغيرها من البلدان .

ومن تغلب محبة الخير على مشاعره ، أشاد بضعة عشر مسجداً في نواحي متعددة بحضرموت ، وأول مسجد أنشأه مسجد آل أبي علوي بالغرفة في حياة أبيه عام (١١٠٣هـ)[١] ، وبعض هذه المساجد جوامع تقوم فيها الجمعة وأنفق في عمارتها أموالاً كثيرة وتصدق عليها بصدقات من النخيل والأطيان وافرة ، وكانت له اليد الكبرى في الإصلاح بين الناس والقيام بحاجاتهم ونفعهم من أوجه عديدة .

نشاطه في التأليف:

خلّف الإمام أحمد بن زين الحبشي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - من غرر المؤلفات الشيء الكثير ، انتفعت بها الأجيال المسلمة من بعده ، وحفظ فيها من تاريخ الفترة التي عاشها الشيء الكثير ، فمن مؤلفاته :

١. « السفينة الكبرى » وتقع في عشرين مجلداً .

٢. «رسالة على حديث جبريل » .

٣. «رسالة على حديث « **طهور إناء أحدكم** » » .

٤. «رسالة في الصلاة على خير البشر » .

٥. «رسالة في الصلاة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ » مرتبة على أيام الأسبوع .

---

(١) ينظر : « بهجة الزمان » : صـ ١١٩ ، و« تاريخ الشعراء »: ٢/ ٦١ - ٦٣ بتصرف .

٦. «المقاصد الصالحة في شرح شيء من علوم الفاتحة».

٧. «ترياق القلوب والأسرار في شرح شيء من علوم سيد الاستغفار».

٨. «القول الرائق في الكلام على حكمة الإمام جعفر الصادق».

٩. «الإشارات الصوفية في الأطوار الإنسانية والطهرة عن السبعية».

١٠. «رسالة في الخرقة الصوفية وشرح طريقة السادة العلوية».

١١. «جمع النفائس العلوية في الفتاوى الصوفية».

١٢. «المسلك السوي من المشرع الروي».

١٣. «الرسالة الجامعة في العقيدة والفقه والتصوف».

١٤. «الموارد الهنية في شرح أبيات الوصية».

١٥. «سبيل الرشد والهداية في وصية أهل البداية».

١٦. شرحه المسمّى «النفحات السرّية والنفثات الأمرية في شرح القصيدة العينية».

١٧. «الروض الناضر في شرح الحمد لله الشهيد الحاضر».

١٨. «الجذبات الشوقية إلى المقاصد الصديقية».

١٩. «فتح الحي القيوم في شرح شيء من شراب القوم».

٢٠. له خطب ووصايا ومكاتبات كلّها نفعٌ[١].

٢١. «مختصر تفسير البغوي».

---

(١) جاء ذكر مؤلفاته في «بهجة الزمان»: صـ ١٢٢ - ١٢٣.

ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع مؤلفاته هذه كتبها بإشارة شيخه الإمام عبد الله بن علوي الحداد ومشورته .. فجزى الله هذا الإمام خيراً عن الإسلام والمسلمين وأعاد علينا من بركاته وبركات سائر الصالحين .

وفاتـــه:

بعد حياة حافلة بالعلم والعمل .. والنفع والانتفاع .. والنسك والاستقامة .. قبضت روح سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشي - عليه رحمة الله - في عصر يوم الجمعة ١٩ شعبان عام (١١٤٤هـ) ، فحزنت لفراقه الخلائق ورثي بالمراثي الكثيرة ودفن بمدينة خلع راشد ، وشيعه الخلق من كل حدب وصوب[1] .

❋ ❋ ❋

٢) السيد العلامة شجاع الدين عمر بن عبد الرحمن البار - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - (١٠٩٩ - ١١٥٨هـ):

وهو الإمام المتفق على جلالته ، العالم المتفنن في سائر أنواع العلوم ، المقدَّم في العلم والعمل في جهة بلاد دوعن .

كان مولده بمدينة القرين في ١٥ جماد الأولى سنة (١٠٩٩هـ) ، وتلقى أولويات العلوم في كنف والده ، وكان - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فطناً لبيباً متوقد الذكاء ،

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ١٢٥ ، و((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ٦٣ .

قال الشعر وهو في مقتبل صباه ، ولما توفي والده عام (١١١٦هـ) نهض عزمه إلى الحجاز لتأدية النسكين ، وفي المدينة امتدح الحضرة النبوية بقصيدة عظيمة ، وبعد انقضاء موسم الحج عاد إلى بلده مواصلاً رحلته العلمية ، متردداً على العلامة الشيخ محمد بن أحمد بامشموس بالقرين ، والعلامة السيد علي بن محمد باهارون جمل الليل صاحب الخريبة متفقهاً ومتصوفاً ، والشيخ علي بن عبدالله بارس ، ونظراً لهمته البالغة في تحصيل العلوم رحل إلى تريم لملازمة السيد العلامة قطب الإرشاد عبد الله بن علوي الحداد ، فلازمه زهاء خمسة عشر عاماً وذكر صاحب ((بهجة الفؤاد)) أن وفاة شيخه الحداد حانت وهو يقرأ عليه في كتاب ((عوارف المعارف)) للسهروردي[1] .

نماذج من رحلاته العلمية:

كان السيد الإمام عمر بن عبد الرحمن البار ذا صيت حسن في شتى النواحي والبلدان ، وكانت له الشهرة الفائقة ، متحققة فيه مشيخة دوعن كما كان يسميه بذلك شيخه الإمام الحداد ، وكان امتداداً واضحاً لمشيخة شيخه الإمام الحداد ، وكان مسموع الكلمة في سائر الجهات الدوعنية مقيما للصلح فيما بينهم ، نافعا لهم بعلمه وحسن مساعيه ، وفي رحلته إلى الحج سنة (١١٤٣هـ) مر بزبيد كما روى ذلك عنه تلميذه العلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الله النقشبندي المدني ، فاحتفى به علماء زبيد ، وتتلمذ له الكثير من علمائها ، ولما وصل إلى

(١) ينظر : ((تاريخ الشعراء)) : ٢/١١٦ - ١١٩ بتصرف ، و((بهجة الزمان)) : صـ ١٣٨ .

الحرمين ، احتفل بمقدمه أمير مكة إذ ذاك وهو الشريف عبد الله بن سعيد ، واستمع إلى عظاته المؤثرة ، وتوصيته بالرعية ، في خضوع وخشوع ، وتتلمذ له من علماء الحجاز العدد الكبير .

أما تلاميذه في حضرموت وغيرها فهم لا يحصون ومن أشهرهم : السيد الإمام حامد بن عمر المنفر ، والعلامة السيد محمد بن زين بن سميط[(١)] ، والعلامة السيد علي بن حسن العطاس ، والسيد عبد الله بن جعفر مدهر ، والسيد أبوبكر بن أحمد الجفري صاحب الخريبة[(٢)] .

مؤلفاتـــه:

١. له ((مجموع أوراد وأذكار)) جمعها حفيده السيد عمر بن عبد الرحمن البار الثاني .

٢. ((الرسالة الجامعة في الأذكار النافعة)) .

٣. له ((شعر)) حسن ذكر منه نماذج في ((تاريخ الشعراء))[(٣)] .

---

(١) ينظر : ((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ١١٧ ، و((بهجة الزمان)) : صـ ١٥٢ – ١٥٧ .

(٢) توفي السيد أبوبكر الجفري سنة (١١٥٦هـ) . ينظر : ((بهجة الزمان)) : صـ ١٥٨ .

(٣) ((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ١١٨ – ١٢٦ .

وفاتـــه :

بعد حياة حافلة بالجد والاجتهاد ، والحرص على نفع العباد ، انتقل الحبيب العلامة عمر بن عبد الرحمن البار إلى رحمة الله ، وكانت وفاته في مدينة الخريبة في ٣٠ ربيع الأول عام (١١٥٨هـ) ، ودفن بمقبرة القرين إلى جانب قبر أبيه ، والشيخ محمد بن أحمد بامشموس[١] .

❁ ❁ ❁

٣) السيد العلامة محمد بن زين بن سميط (١١٠٠ - ١١٧٢هـ) - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

ولد الإمام البارع والشيخ المتقن السيد محمد بن سميط بمدينة تريم سنة (١١٠٠هـ) وتربّى بأبيه وأخذ عليه أولويات العلوم ، ثم توجه بكليته لطلب العلم على علماء ومشايخ تريم فظهرت مواهبه المباركة ، وعزيمته الصادقة في الانتهال من مناهل العلم في سن مبكرة ، فقرأ على كبار الأئمة في عصره في الفقه واللغة والأدب والتصوف .

وتسير الأيام والزمان وصاحب الترجمة دائب في اجتهاده ، متوغل إلى حدود شاسعة في مختلف العلوم ، ومع ما هو فيه من النضوج العلمي والتفوق الباهر فقد كان مستديم التلقي على شيوخه ليلاً ونهاراً ، ولاسيما على شيخه قطب الدعوة والإرشاد الإمام عبد الله بن علوي الحداد ، حتى بلغت مقروءاته عليه

---

(١) ينظر : ((بهجة الزمان)) : صـ ١٥٠ .

الحد الذي لا يحصى في كل علم وفن من فقه وتصوف وسير وأشعار وآداب[١] .

سكنى شبام :

كان شيخه الإمام الحداد في متأخر حياته كثيراً ما يرغبه في الانتقال إلى مدينة شبام لتعليم الناس ، ودعوتهم إلى الله ، وتنشيطهم في امتثال أوامره ، وخصوصاً أن الإمام محمد بن زين تجتمع فيه صفات العالم الكامل ، والمرشد الاجتماعي المدرك لأحوال الناس وتغيرات المجتمعات ، لما حباه الله به من سعة الاطلاع ، وصفاء الذهن والقريحة ، والقوة العلمية المتنوعة ، ولكنه كان يسوف ويعتذر لشيخه الإمام الحداد بالرغبة في القرب منه ، والاغتنام لمجالسته ، والأخذ عنه ، وبعدما انتقل الإمام الحداد إلى رحمة الله تعالى أجمع أمره بعد موافقة أبيه[٢] ، وأخيه العلامة السيد عمر بن زين تلميذ الإمام الحداد ايضاً ، على الانتقال معه إلى شبام ممتثلين في ذلك لأمر شيخهم الإمام الحداد ؛ فاستوطنوا بعد ذلك مدينة شبام وذلك في حدود عام (١١٣٥هـ) .

نشاطه العلمي والدعوي والإصلاحي :

ما أن استقر الإمام محمد بن زين بن سميط وأسرته الكريمة في بلاد شبام ، إلا وحصل بهم النفع العظيم ، فأحيى بهم الله البلاد والعباد ، وغدت مساجدها ودورها معمورة بالعلم والعبادة ، وظهر انتعاشها بالإصلاح الاجتماعي وانتشار

---

(١) ينظر : ((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ١٨٢ .

(٢) المتوفى بشبام في ٤ شعبان (١١٤٠هـ) . ينظر في جميع ما تقدم ((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ١٢٧ بتصرف.

الروح العلمية والقيم الأخلاقية والسلوكية الفاضلة.

ملازمته للسيد الإمام أحمد بن زين الحبشي :

بعد وفاة شيخه العلامة عبد الله بن علوي الحداد لازم العلامة السيد أحمد بن زين الحبشي ، وتتلمذ له ، وكان يذهب إليه من شبام في كل يوم اثنين وخميس ، قاصداً خلع راشد ، قارئاً في شتى العلوم وكتب السلوك إلى غير ذلك ؛ حتى استوعبها وتخلق بأخلاقها ، ويروي « عقد اليواقيت » أنه صار خليفة شيخه الإمام الحداد وأحمد بن زين بعد وفاتهما ، ناشراً ما لهما من علوم وآثار، وطرق وإجازات ، وكان ظاهراً في مظاهرهما ناهجاً مسلكهما ، ومما لا شك فيه أنه أصبح إمام عصره في العلم والعمل والدعوة والسلوك والحال والمقال ، وقصد من كل مكان ، وأقبل عليه الخاص والعام ، فكان مدرساً ومرشداً وواعظاً ؛ فكثر المتخرجون عليه والآخذون عنه من كافة الطبقات[1] .

مؤلفاته منها:

الحقيقة أن العلامة محمد بن زين بن سميط - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يعد من أهم تلاميذ الإمام الحداد الذين خلدوا ذكره وأشاعوا مجريات حياته وأخباره ، من خلال ما كتبه من كتب مباركة في هذا المجال ، بل ويعد المؤرخ المعتمد لفترة الإمام الحداد ومن عاصره من علماء وسلاطين ، ولذكر طبيعة الحياة العلمية والمعرفية آنذاك ، ومن حيث التاريخ للتلاميذ والأقران ، وذكر ملامح من حياة

---

(١) ينظر : « تاريخ الشعراء » : ٢/ ١٢٩ .

ذلكم العصر الفريد ، حتى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فبات النظر في كتبه من الواجبات العلمية لا ستخلاص تاريخ تلك المراحل المباركة ، ولنعد إلى ذكر **أشهر مؤلفاته** :

١. غاية القصد والمراد في مناقب شيخه الإمام عبد الله بن علوي الحداد (مجلدين) .

٢. ((بهجة الزمان وسلوة الأحزان)) وهو : ذيل على ((غاية القصد والمراد)) ، جمع فيه أقران الإمام الحداد وتلاميذه .

٣. ((بهجة الفؤاد ولب الألباب مختصر مجمع الأحباب)) .

٤. ((قرة العين في مناقب شيخه العلامة أحمد بن زين)) .

٥. له ((وصايا ومكاتبات)) نافعات .

٦. له ((ديوان شعر))[1] .

وفاتــــه:

بعد حياة حافلة بالعلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى توفي الإمام محمد بن زين بن سميط - عليه رحمة الله - بمدينة شبام ليلة الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول عام (١١٧٢هـ) ودفن بجرب هيصم تربة شبام وقبره مشهور يزار .

❊ ❊ ❊

---

(١) ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الإمام محمد بن زين شاعر متمكن مكثر من الشعر وتظهر هذه الكثرة في النواحي السلوكية ومدائح الشيوخ . ينظر : ((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ١٢٩ .

٤) الإمام الزاهد الوجية عبد الرحمن بن محمد بارقبة باعلوي:

ولد بتريم ، وكان من أولياء الله المقربين ، وعباده الصالحين ،اشتهر بالزهد والورع ، والولع بالقرآن وقيام الليل ، وكان من المتواضعين العاملين المجتهدين الذاكرين لله كثيراً، قال في ترجمته العلامة محمد بن زين بن سميط : " كان عامة ليله ونهاره في عبادة مولاه لا يفتر عنها ، قواماً بالليل ، قانتاً لله ، تالياً لكتابه ، قد فتح الله عليه بالفهم في القرآن ،سيّما في الصلاة ، وكان يقول: إني في الأكثر إذا دخلت الصلاة لا أشعر بالمكان والزمان "[١] .

وكان يطيل القيام بالليل ، قلَّ أن يأتي عليه الثلث الأخير منه ، إلا وهو مستيقظ ، وكان يقرأ في الصلاة ثلث القرآن ، أو ربعه أو نحو ذلك .

وكان يتمايل في صلاته تمايل السعفة في وقت الريح ، لما يجده من الوجد بالتلاوة ، ولذة المناجاة مع ربه ، وكان الغالب عليه المحبة والشوق[٢] .

وهو - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يعد نموذجا من العباد الزهاد الذين صنعهم الإمام الحداد ، فقد تنوع تلاميذ هذا الإمام ، فكان منهم العلماء العباد ، وكان منهم الزهاد الخلص ، والعباد الكمل ، والكل تحتاجهم أمة الإسلام ، ولهذا كان يقول العلامة أحمد بن زين الحبشي عن السيد عبدالرحمن : " إن ((إحياء علوم الدين))

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق : صـ ١٦٠ .

في زاوية من زوايا قلب عبدالرحمن بارقبة "[١] وفي هذا إفصاح بحاله السامق في التزكية والتربية ، والمعرفة بالله وتصفية النفس وتزكيتها ، وتنويرها والسمو بها في آفاق المعرفة بالله ، ولا شك أن حاله هذا تربى به أقوام وانتفعت منه الأنام .

نموذج من صلته بالإمام الحداد :

كان عظيم الملازمة للإمام الحداد عظيم المحبة له منقطعا إليه ، وكان يقول له إذا صافحه : " ما والله كما عبد الرحمن " فرحاً به وتنويها بشأنه[٢] .

وفاتـــه :

بعد حياة حافلة بالتمسك بمنهج الله ، والعكوف على باب الرب الكريم ، انتقل هذا العارف المتواضع إلى جوار مولاه في ليلة الاثنين ٤ ربيع الأول سنة (١١٥٣هـ)[٣] .

❊ ❊ ❊

٥) علامة الدنيا وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه (١٠٨٩هـ - ١١٦٢هـ) - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

هو محدِّث اليمن ومسنده المؤتمن ، وعلامة الدنيا ، ومقدم القادة ، ونموذج

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق : صـ : ١٦٥ .

الثقافة العالية ، ومظهر السعة العلمية ، وأحد دعاة الإسلام المجتهدين في نفع العباد ، والذب عن منهج الحق والسداد . كان مولده بمدينة تريم عام (١٠٨٩هـ) ، وفي صغره لازم والده السيد العلامة عبد الله بلفقيه ملازمة تامة ، وأخذ عليه في سائر العلوم ومقدماتها ، ثم أخذ بعد ذلك عن جده لأمه السيد الإمام محمد بن عبد الرحمن العيدروس ، وأخذ كذلك عن خاله السيد الإمام عبد الرحمن بن محمد العيدروس ، كما أخذ عن سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد ، وكانت له منه العناية الخاصة ، والمحبة الخالصة ، ولقنه الذكر مراراً عديدة ، وكتب له الإجازة بما تجوز له روايته ، وحثه على ملازمة التدريس ونشر العلم في حياته ، ولم يزل ملازماً له متردداً عليه إلى أن توفي عليه رحمة الله تعالى [١] .

رحلاته العلمية :

في أثناء رحلته إلى الحج مر ببلدان عديدة ، وحصل به الانتفاع ، وأخذ عنه الكثير من أهل العلم بها ، ولما وصل إلى زبيد احتفى به العلماء هناك ، واعترفوا بمكانته العلمية ، وتغانموا أيام مقامه ببلادهم ، ويتحدث الإمام العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه عن نفسه فيقول : " وأما اليمانيون فقد اجتمعت بزبيد في سفري إلى الحج بجماعة من علمائها :

كالسيد يحيى بن عمر الأهدل ، والسيد أبي بكر بن علي الناشري ، والشيخ

---

(١) ينظر : ((عقد اليواقيت)) : ٢/ ٦٤ - ٦٦ ، و((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ٨٥ بتصرف ، و((فهرس الفهارس)) للكتاني : ١/ ٤٤٦ .

الزين بن محمد المزجاجي ، والشيخ علاء الدين أخيه ، وابن جعمان ، وغيرهم ، وكلهم طلب مني الإجازة فأجزتهم وأجازوني إجازة عامة لفظاً .

ولم أزل مدة إقامتي بزبيد وهم يجتمعون عندي كل يوم لاقتباس الفوائد والتماس الفرائد ، وبهم اتصلتْ سلسلتي بالأسانيد اليمنية والسلاسل العالية السنية ، ونفع الله بهم أجمعين .

وقال – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – : " وأما أهل الحرمين فقد ألبسني الخرقة : الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي المدني ، وأجازني بإجازة خاصة وعامة ، وكتَبَ لي بخطه وكذلك الشيخ عبد الله بن سالم البصري أجازني إجازة خاصة وعامة وكتب لي بخطه ، وسمعت من الأخير والنخلي حديث الأولية ساعة اجتمعت بهما في مكة ، وما زالا مدة إقامتي بها يترددان إليَّ كل يوم ، واستفدت منهما فوائد في جميع العلوم ، وأخذت عن غيرهم من أهل الحرمين ممن يكثر عددهم ويشق سردهم " .

أسانيده إلى علماء الشام[1] :

قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : " وأجازني من علماء الشام ، السيد العلامة الجليل إبراهيم بن محمد بن حمزة الحسيني بالمدينة الشريفة ، وطلب مني الإجازة فأجزته ، وطلبت منه الإجازة فكتب لي إجازة خاصة وعامة بخطه ، وتوسط لي في الإجازة

(١) « عقد اليواقيت » النسخة القديمة؛ وليست المحققة : ٢/ ٦٥ .

من الشيخ أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي نفع الله بهم " .

حرصه على طلب العلو في الإسناد:

قال – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ –(١) : " أخذت عن هؤلاء المشايخ العارفين ، ورثة سيد المرسلين ، بأنواع الأخذ من العرض وهو القراءة على الشيخ ، والتحديث بقراءة الشيخ ، وهو أعلى من العرض ، والاستماع بقراءة غيري وأنا أسمع ، والإجازة الخاصة والعامة ، والوجادة بخطوطهم وبخط غيرهم منسوب إليهم ؛ مع الإذن منهم لي في نقل ذلك عنهم وروايته ، والمناولة منهم لكتب شهيرة في مواصلات كثيرة ، وذلك في جميع العلوم ، من : فقه الشافعي ، والحنفي ، والمالكي ، والحنبلي ، والأصلين أصول الدين (أي العقائد) ، وأصول الفقه ، والتفسير ، وعلوم الحديث بأنواعها التي تنيف على سبعين نوعاً ، وغير ذلك ، من علوم الآلات ، وطرائق الصوفية ، ولي مع ذلك اتصالات في أمالي وأسانيد عوالي ، إلى كل عالم فيما أعلم ، وإلى كل كتاب فيما أظن وأفهم ، قال في كتابه ((رفع الأستار)) :

بيني وبين الحافظين ثلاثة   واثنان بالفقهاء كان وصال

أي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من علينا بالاتصال بالأسانيد العالية الشهيرة ؛ فبيني وبين الحافظين ، بالجمع كالشيخ جلال الدين السيوطي ، والحافظ عثمان الريمي ، والحافظ نور الدين علي الهيتمي ، والحافظ محمد عبد الرحمن السخاوي ،

(١) ((عقد اليواقيت)) النسخة القديمة؛ وليست المحققة : ٢/ ٦٥ .

والحافظ عبد الرحمن ابن الديبع اليمني ، ثلاثة من الوسائط ، فإنني أخذت عن والدي[١] ، وعن الشيخ إبراهيم الكردي ، وعن الشيخ حسن العجمي ، وعن الشيخ أحمد النخلي ، وهم أخذوا عن الشيخ أحمد القشاشي المدني ، وعن الشيخ عبد العزيز الزمزمي ، وعن الشيخ محمد بن العجل اليمني ، بأخذ هؤلاء الثلاثة واتصالهم بالسماع والإجازة ، من الشيخ محمد بن أحمد الرملي ، والشيخ أحمد بن محمد بن حجر المكي ، والشمس الخطيب الشربيني ، والشيخ بدر الدين العربي ، والشيخ عبد الرحمن بن زياد اليمني ، وهؤلاء الفقهاء المشاهير اتصلوا بالإجازة والسماع من الحفاظ المتقدم ذكرهم وتعداد شيوخهم وطرقهم واتصالاتهم لا يسعه هذا المسطور وهو في الفهارس معلوم مشهور .

ذكر سنده بالقرآن الكريم:

قال - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -[٢] : " وقرأت القرآن من أوله إلى سورة آل عمران بالقراءات العشر جمعاً وإفراداً على الشيخ عبد الرحمن أبي الغيث ، والشيخ إبراهيم بن محمد المصري ، وأجازاني بما فيه في جميع ما يجوز لهما روايته ، وكتبا لي بخطهما ذلك ، وقد أخذ عن الشيخ أحمد البنا صاحب كتاب ((إتحاف البشر في القراءات الأربعة عشر)) .

وهذا النوع من تلاميذ الإمام الحداد ظهر بمظهر : السعة العلمية ، والورع

---

(١) توفي سنة (١١١٢هـ) في شهر شعبان .

(٢) ينظر في هذا وفي جميع ما تقدم إلى ((عقد اليواقيت)) : ٢/ ٦٥ .

والإخلاص، والعبادة والزهادة، وتصدر للتدريس، والإفتاء، والإفادة حتى لخارج قطره، والتأليف، والإصلاح والدعوة إلى الله تعالى، وهذا أوسع مظاهر النفع.

مؤلفاتــــه:

له مؤلفات كثيرة منها:

١. «الرشفات».

٢. «مفاتيح الأسرار» (منظومة) وشرحها «رفع الأستار».

٣. و «منظومة» في التوحيد وشرحها.

٤. «عقد الميثاق في محاسن الأخلاق» وشرحها.

٥. «رسالة» في طريقة السادة العلوية.

٦. له «شعر» حسن.

٧. «أربعين حديث في فضائل القرآن الكريم».

إلى غير ذلك من المؤلفات والرسائل والوصايا النافعة[1].

وفاتــــه:

توفي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ليلة الأربعاء السادس والعشرين من جماد الآخر سنة (١١٦٢هـ)، والحقيقة أنه يقل أن يوجد من يماثله في زمنه في جمعيته للعلوم، يحكى عنه أنه كان يقول: " إن الله منحني ثلاثين علماً وجدت الناس جميعاً اليوم

(١) وقد طبعت رسائله وأبحاثه في مجلدين بعناية حفيده السيد النابه علي بن حسن بلفقيه.

يتعاطون في أربعة عشر علماً وستة عشر ما سئلت عنها " .

❋ ❋ ❋

٦) **الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن يس باقيس :**

هو الإمام الظاهر بالدعوة إلى مرضاة مولاه ، الحريص على النفع وإنقاذ الناس ، جمال الدين محمد بن يس باقيس ، أخذ في بدايته عن السيد الإمام عبد الرحمن بن محمد البار ، قرأ عليه وتربى به ، وتخرج أيضاً بالشيخ محمد بن أحمد بامشموس ، فلازمهما إلى أن توفيا ، ورحل في حياتهما إلى قطب الدعوة والإرشاد الإمام عبد الله بن علوي الحداد .

ولم يزل يتردد عليه ويأخذ عنه قراءة واستماعاً إلى أن توفي الإمام الحداد عليه رحمة الله ، ثم انتصب لنفع العباد والدعوة إلى سبيل الرشاد ، فانتفعت به الخلائق ، وأخذ عنه خلق كثيرون ، منهم : الحبيب سقاف بن محمد السقاف ، والحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير ، وعمه الحسن بن عمر البار ، والشيخ عبد الله بن أحمد بن فارس باقيس وغيرهم .

وفاتـــه:

توفي الشيخ محمد - عليه رحمة الله - يوم السبت منتصف شهر شوال سنة (١١٨٣هـ)[١] .

---

(١) ((عقد اليواقيت)) : ٢/ ٨٦٤ ، و((الشامل)) : ١٥٢ .

٧) أبناء الإمام الحداد :

كان للإمام الحداد من الأبناء : محمد وسالم[١] وعلوي[٢] والحسن[٣] والحسين[٤] وزين العابدين[٥] ، وكلهم أولياء صالحون وعلماء عاملون ، أفردت في ذكر كريم أعمالهم وعلومهم مؤلفات ، أما السيد محمد فتوفي بذمار[٦] باليمن ، وأما السيد علوي توفي بمكة ودفن بالمعلاه ، والسيد زين العابدين توفي بعمان وله ضريح يزار ، وأما الباقون في تريم الغناء.

وجميعهم أسهموا في نفع المجتمعات بالعلم والدعوة والإصلاح[٧] وعليهم ينطبق قول القائل:

مَـنْ تلقَى منهـم تقـولُ لاقيتُ سـيِّدهم
مثـل النجـوم التـي يـسري بها السـاري

---

(١) سالم كانت وفاته سنة (١١٦٥هـ) ، كما في ((بهجة الزمان)) : صـ ١٣٤ .

(٢) أما علوي فكانت وفاته بمكة سنة (١١٥٣هـ) ، كما في ((المواهب والمنن)) : صـ ٣٨٩ .

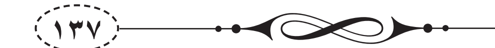
(٣) كانت وفاة العلامة الحسن سنة (١١٨٨هـ) ، وقد أفرده حفيده علوي بترجمة حافلة تعرف بـ ((المواهب والمنن)) مطبوعة .

(٤) توفي سنة (١١٣٩هـ) .

(٥) وكانت وفاته سنة (١١٥٧هـ) .

(٦) ذكرتْ بعض المصادر أنّ وفاته بالمخا ، والصحيح ما أثبتناه اعتماداً على ((الشجرة العلوية)) .

(٧) لتقف على أخبارهم بشيء من التفصيل راجع : ((بهجة الزمان)) : صـ ١٣٣ ، و ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٨٩ - ٩٠ ، ومواطن من ((المواهب والمنن)) .



٨) الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأحسائي[١] :

هاجر من الأحساء ، ولازم الإمام الحداد سبعة عشر سنة ، كان لا يفارق فيها مجلسه ، ويكتب كل ما يتكلم به في حضوره ، وكان عليه مدة إقامته عند الإمام الحداد وظيفة الأذان وحمل السجادة والحبوة ، وكان له عناية بمكتبة الإمام الحداد وتعهدها والإشراف عليها ، سافر إلى الحرمين بعد وفاة الإمام الحداد ، ثم إلى الأحساء وتوفي بها ، وأحدث بها نشاطاً ، وتتلمذ على يديه طلاباً ، ومن أروع آثاره المكتوبة كتاب ((تثبيت الفؤاد)) جمع فيه خلاصات وغرر وفوائد ودرر ما جادت به أنفاس شيخه الإمام الحداد ، وكان ذا حفظ للعلم وإتقان ، والحقيقة أن ((التثبيت)) هو : ما لخصه العلامة أحمد بن حسن الحداد من مجموع ما جمعه الشجار وإلا فالأصل أكبر من ذلك عجل الله بطبعه .

وأفادت نصوص ((تثبيت الفؤاد)) أن هناك من شاركه في الأخذ عن الإمام الحداد من أهل الإحساء ، ومن ذلك قوله : " ورثاه – أي الإمام الحداد – جماعة من أهل حضرموت وأهل الحساء " . وذكر أيضاً أنّ ممن وفد عليه من الحساء أخوين من آل شبانة ، أحدهم يسمّى محمد شبانة ، فلعل بعضهم أخذ عنه بالمكاتبة ، والبعض الآخر حين حجّ ، وبعضهم وفد عليه[٢] .

وكان له تواصل بعد وفاة الإمام الحداد مع أولاده ، واصلهم بحضرموت

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٩٤ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٣٥٤ .

والصير وعند إقامة السيد زين بالشام ، وكانت بينهم المكاتبات والرسائل ، تجد ذلك مفصلاً في ((تثبيت الفؤاد))[١] .

❊ ❊ ❊

٩) السيد العلامة شيخ بن مصطفى العيدروس[٢] :

ولد بمدينة تريم في أجواء عام (١٠٩٠هـ) ، وتلقى الفقه وغيره من العلوم على العلماء البارزين ، منهم : والده ، والسيد العلامة شيخ المشايخ عبد الله بلفقيه ، والسيد الجليل أحمد بن عمر الهندوان ، ولازم الإمام قطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كثير من دروسه ، وشرب من صافي كؤوسه ، وقرأ عليه كتباً جليلة .. وأخذ بجهة الهند عن : السيد جعفر الصادق ، وعدد من مشايخ الهند ، ومرت عليه السنين وهو في هذا الوسط العلمي من كبار العلماء المتبحرين ، في الفقه والتفسير والحديث والعقائد والعربية والتصوف وغيرها من العلوم . على أن الأقدار ذهبت به إلى الديار الهندية ، وبها أجرى الله على يديه النفع العلمي والدعوي لأهل ذاكم القطر، فتخرج به الكثير من العلماء والصوفية آل العيدروس وغيرهم كما تجده في ((مرآة الشموس)) .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢٣٩ .

(٢) ينظر ترجمته في ((عقد اليواقيت)) : ٢/ ١٠٤ - ١٠٥ ، و((تاريخ الشعراء)) : ٢ - ٩١ بتصرف ، و((بهجة الزمان)) : صـ ٢١٣ .

قال العلامة محمد بن زين بن سميط : " سمعت قراءته على الإمام الحداد في كتاب « معراج الهداية » للشيخ علي بن أبي بكر السكران ، وقراءته لكتاب « المواهب اللدنية » للقسطلاني ، وغير ذلك من العلوم النافعة ، في درس الإثنين والخميس ، وكان هذا السيد منور القلب ، سليم الصدر ، ذا سخاء ومروة ، وحياء وفتوة " .

ومن المعلوم أنه قد حمل عنه العلوم الدينية وغيرها جموع موفورة بحضرموت وغيرها ، ومن أبرزهم حفيده العلامة المسند المحدِّث الرحالة عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس ، الذي سارت بذكره الركبان ، وانتفع بدعوته الخلائق في شتى الأمصار والبلدان ، إلى أن توفاه الله بمصر سنة (١١٩٢هـ) .

وفاتــه :

وافاه الحمام ليلة الاثنين ١٣ رمضان عام (١١٥٧هـ) ودفن بمقبرة زنبل حيث ضرائح آل العيدورس ، مرثياً بمراثي كثيرة أظهرها مرثية العلامة السيد شيخ بن محمد بن شهاب الدين ، ومرثية السيد العلامة عبد الرحمن باهارون .

❊ ❊ ❊

١٠) السيد العلامة مصطفى بن شيخ العيدروس[١] :

هو ابن المترجم له قبله ، ولد بمدينة تريم في أجواء عام (١١١١هـ) ، وشبّ في أيامه الأولى تحت رعاية أبيه ، وما كادت الطفولة تنقشع سحابتها حتى كان

(١) ينظر في ترجمته « عقد اليواقيت » : ٢/ ١٠٤ – ١٠٥ ، و« تاريخ الشعراء » : ٢/ ١٤١ .

متشبعاً بروح الفضائل ، مغموراً في الوسط العلمي ، يتثقف على أبيه وجموع غفيرة من صدور تريم وغيرها ، ومن أبرزهم قطب الدعوة والإرشاد السيد عبد الله بن علوي الحداد عليه رحمة الله تعالى والعلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه .

فأخذ عن الإمام الحداد ، وقرأ عليه جميع ما له من المؤلفات ، وأخذ كذلك عن السيد أحمد بن زين الحبشي ، وقرأ عليه في العلوم النافعة ، وطالما حضر دروسه الجامعة ، وأخذ عن السيد مصطفى بن عمر العيدروس ، وغيره من العلماء .

رحلاته إلى الهند :

ونشاهد على أضواء ((مرآة الشموس))[١] ارتحاله المتكرر إلى الهند في إحدى السفن الشراعية ، عن طريق الشحر ، وفي أيامه بالهند ، كان يلازم خاله العلامة السيد علي زين العابدين بن محمد العيدروس ، شيخ السجادة العيدروسية بمدينة سورت متتلمذاً، كما له أخذٌ عن السيد العلامة عبد الله بن جعفر مدهر وغيرهما ، وقد لقي في الهند إكراماً وإجلالاً ما له من نظير ، ورافقه في بعض رحلاته تلك ابنه العلامة عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس .

تلاميذه:

أما الذين أخذوا عنه العلم والتصوف فجموع وفيرة من كافة الطوائف والطبقات ، وفي عديدهم ابناه العلامة السيد عبد الرحمن ، والسيد الفقيه عبد الله

---

(١) ينظر : ١/ ٣ – ٣١ (مخطوط في مجلدين) .

بن مصطفى أخوه ، واشتهر العلامة مصطفى بن شيخ بالإضافة إلى علمه وورعه وزهده ، بكرم النفس ، وسخاء اليد ، وطيب الأخلاق ، والإباء والشمم ، وعلوّ الهمة .

وفاتـــه :

مرت حياته في أجمل ممر وأطيب مظهر ، مملوءة بالعلم والعمل الصالح ، والمظاهر الصوفية ، إلى أن اخترمته المنية بمدينة تريم سنة (١١٦٤هـ) ، ودفن بمقبرة زنبل ، في بقعة ضرائح آل العيدروس ، وفي ((تنميق الأسفار)) لابنه السيد عبد الرحمن مراثي لبعض العلماء والشعراء مختومة بحفظ تاريخ الوفاة بحروف الجمل .

❊ ❊ ❊

١١) الشيخ الرحالة حسين بن محمد بافضل:

هو حضرمي الأصل ، مكي الجوار ، وصفه السيد محمد بن زين بن سميط في كتابه ((بهجة الزمان))[1] فقال : " الشيخ الجامع الصوفي بدر الدين الحسين بن محمد بافضل المكي ، من الآخذين عن سيدنا ، والمجتمعين بظاهرهم وباطنهم عليه ، وكان شديد التعظيم والاحترام والتبجيل والإكرام له ، ويتشرف بخدمته بحاله وماله " .

ولد سنة (١٠١٩هـ) ببندر الشحر ، ونشأ به وقرأ به القرآن والفقه والنحو ،

(١) ينظر : صـ ٨٠ – ٨١ .

ثم رحل إلى اليمن ، ودخل عدن وزبيد ، ورحل إلى الحرمين وأخذ في هذه البلدان عن جماعة كثيرين ، وبرع في علم التصوف ، واعتنى بكتب الحقائق ، ثم عاد إلى الشحر وصحب بها الشيخ أحمد بن ناصر ابن الشيخ أبوبكر ، والسيد العلامة حسن باعمر، ورحل إلى الهند وأخذ عن السيد جعفر الصادق بن زين العابدين العيدروس ، وعن جماعة ثم عاد إلى مكة ، وحج وأخذ عن ابن عم أبيه الشيخ سالم بافضل ، والسيد سالم بن أحمد بن شيخان باعلوي ، ولما حج سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد قام بخدمته وإكرامه إكراماً عظيماً ، وأنزله في داره ، وقام بنفقته ونفقة من معه ، وزار معه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

تجرّده للعبادة :

في آخر أيام حياته تجرد للعبادة ، ولزم الكتب الشرعية والسنن النبوية ، ولازم التلاوة والذكر ، وله نظم حسن ، ونثر مستحسن ، صاحب ذوق وتفهم عظيم ، وله تعلق بالأدب انتفع به جمع كثيرون .

وفاتـــه :

قال العلامة محمد بن أبي بكر الشلّي باعلوي في كتابه ((عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر)) : " وفي يوم الاثنين آخر شهر ذي القعدة سنة (١٠٨٧هـ)، توفي الشيخ حسين بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الشهيد بن الفقيه عبد الله بالحاج بافضل ، بمكة المشرفة ، ودفن بمقبرة الشبيكة بالغرب من سيدي عبد الله صاحب الشبيكة " .

١٢) الشيخ عبد الله بن عمر باشراحيل[١] :

من علماء حضرموت وصلحائها تتلمذ للإمام الحداد ولازمه ملازمة تامة ، توفي عليه رحمة الله بعد سنة (١١٥٠هـ) ، من آثاره مؤلف ترجم فيه لشيخه الإمام الحداد واسمه ((مواهب العطايا والإمداد في مناقب الشيخ عبد الله الحداد)) ، وهو مخطوط بمكتبة آية الله النجفي ، قال في ((بهجة الزمان)) : " وكان فيه نفع خاص وعام ، دينا ودنيا ، وكان له حشمة وجاه عند ولاة الأمر .

وكان يكاتبه ويسأله عن مسائل في الطريقة ، وكان يسدنا يفخمه ويحترمه ، ويجيبه بأحسن جواب ، ويثني عليه ويقول أنه صوفي عابد " .

❊ ❊ ❊

١٣) الشيخ أحمد بن محمد بن عمر بن عباس باعباد[٢] :

أخذ عن الإمام الحداد وعلى غيره من علماء حضرموت ونبغ في العلم توفي بعد سنة (١١٤٤هـ) .

من مؤلفاته:

((تاريخ باعباد مرتّب على السنين)) انتهى منه إلى حوادث سنة (١١٤٤هـ)

---

(١) ينظر ترجمته في ((مصادر الفكر للحبشي)) : صـ ٤٩٥ ، وينظر ترجمته وتراجم مشايخ آل باشراحيل في ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٧٢ .

(٢) ينظر : ((مصادر الفكر)) : صـ ٤٩٤ .

وهو مخطوط بمكتبة بن سميط بشبام حضرموت .

❁ ❁ ❁

١٤) السيد العلامة محمد فقيه بن عبد الرحمن بن علي البصري[١] :

هو حفيد الإمام الحداد ، وابن ابنته مريم ، التي زوجها لتلميذه النجيب اللوذعي الأديب الوجيه عبد الرحمن بن السيد علي بن عمر بن حسين بن فقيه بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي ابن الشيخ أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف .

وكان المذكور من خواص أصحاب سيدنا عبد الله بن علوي الحداد ، ومن أكبر الآخذين عنه الطريقة والعلوم النافعة ، وكان كثير الحب له والانقطاع إليه ، وملازمة دروسه ، وكان مصدراً في مجالسه ؛ له التقديم والقوة البالغة على قراءة الكتب ، وكان الإمام الحداد يثني عليه ، ومقبلاً عليه ، يلاحظه ويشير إليه ، قال السيد محمد بن زين بن سميط : " وسمعت أنه – أي شيخنا الإمام الحداد – قد أشار إليه أن يدرس بحضوره ، فمنعه من ذلك الأدب " .

وتزوج بابنة سيدنا عبد الله بن علوي الحداد مريم، وأولدها ابنه فقيه صاحب الترجمة ، وتوفي حول مدينة تعز وهو قافلاً من الحج سنة (١١١٤هـ) ، وله من العمر فوق الثلاثين سنة ودون الأربعين ، وكان سبب وفاته الإسهال الذي استمر به عشرين ليلة ، قال بن سميط : " ولما بلغ سيدي عبد الله خبر وفاته

(١) ينظر : ((بهجة الزمان)) : صـ ١٨٦ ، و((المواهب والمنن)) : صـ ٢٣٦ و: ٢٣٨ .

تعب من أجله أخبرني بعض الصالحين قال: ما سمعت صوت سيدي ارتفع بالبكاء على أحد إلا لما بلغه موت السيد عبد الرحمن المذكور "[١] .

أما ابنه النجيب السيد : فقيه فقد رباه جده الشيخ عبد الله في حجره ولحظه بعين عنايته ، وكان محمد فقيه يطلع عليه من غير استئذان ، ويقرأ له الكتب في غالب الأحيان ، ثم سافر بعد موت جده الإمام الحداد إلى أرض العراق وطلب بها العلم وبرع ، ثم مات بالبصرة عليه رحمة الله تعالى ، وبإقامته بالبصرة شكل امتدادا وجسرا لعبور علم الإمام الحداد ومصنفاته إلى تلك الجهات وما قرب منها ، وقد زاره خاله زين العابدين عند رحلته إلى العراق .

❊ ❊ ❊

١٥) السيد الداعية العلامة جعفر بن حسين بن مشيخ باعلوي[٢] :

هو علامة صوفي وفقيه محقق ، قال عنه السيد محمد بن زين بن سميط عنه: " كان السيد جعفر هذا ممن أخذ عن السيد عبد الله وانقطع إليه ولازمه ، وقرأ عليه وأكمل قراءة ((الإحياء)) عليه ، وقرأ أيضاً عليه ((قوت القلوب)) ولم يكمله ، وكان له في شيخنا انطواء كلي واعتقاد تام ، وله قصيدة فيه في غاية الملاحة منها: (قل يا جعيفر أنت منا لا تخف ..) إلخ ، طلب العلم بتريم ، وانتفع

---

(١) ينظر في جميع ما تقدم : ((بهجة الزمان)) : صـ ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) ينظر : ((بهجة الزمان)) : صـ ١٩١ - ١٩٢ ، و((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٣٥٠ .

ونفع ، وتزوج ابنة السيد أحمد صاحب الوهط ، وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثاقب الفهم حسن السيرة " وقد تفقه السيد جعفر بالعلامة علوي باحسن الشحري ، والسيد الأكمل عبدالله بن أحمد بلفقيه .

وفاتـــه:

توفي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – بأرض الحبشة أو مليباروفي قول بزيلع داعياً إلى الله ودالاً عليه ، وأفاد في ((بهجة الزمان)) أن المنية أخترمته في سن الشباب .

❊ ❊ ❊

١٦) الشيخ الفاضل الأديب أحمد بن القاسم الخلي الحديدي[1] :

كان من المرتبطين بالإمام الحداد أتمّ الارتباط المعظّمين له والمحبّين ، أثنى على الإمام الحداد كثيراً نظماً ونثراً ، وكان قد اجتمع به وأخذ عنه ، ولما حج الإمام الحداد قال السيد محمد بن زين قال بعض الصالحين قلت لسيدي عبد الله يوماً: إن الشيخ أحمد الخلي كان عظيم المشهد فيكم فصاح سيدي قائلاً: المدد في المشهد (ثلاث مرات) وقال : يكفيه أنه ثالث المداح في النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عبد الله بن جعفر وعبد الكريم وهو، وكان كثير المدح لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأخذ المترجم له عن سيدنا أحمد الهندوان ومدحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وكانت للخلّي قصائد

---

(١) ينظر: ((بهجة الزمان)) : ٧٦ – ٧٧ ؛ إلا أنه قال عبدالرحمن الخلي والضبط جاء من تثبيت الفؤاد فتأمله وتأمل ((غاية القصد والمراد)) : ٢/ ٢٢ .

رائقة تُنشد في مجلس الإمام الحداد كما في ((تثبيت الفؤاد))[1] ومنها قصيدة : (قفي بالمطي على الحمى ياحادي) .

❊ ❊ ❊

١٧) الشيخ الصالح محمد الكردي[2] :

يصف الشيخ محمد بداية أمره فيقول : " حصل لي لوعة الإرادة وأنا ببلادي ، ولم أجد من يدلني على الله ، فخرجت من بلادي أسيح في الأرض أتطلب الدالين على الله ، والداعين إلى سبيله ، فكلما سمعت بمشهور في بلدة قصدته ، فلم أجد بغيتي ، ودخلت مصر ، ثم دخلت إلى الحرمين ، وسمعت بذكر سيدي عبد الله وأنا بمدينة الرسول ؛ ثم جئت إلى مكة المشرفة وسألت عمن يعرفه فيعرفني به ، فدللت على السيد الولي عبد الرحمن بن علي باعلوي[3] من تلامذة سيدي ، فقيل أنه بمنى ، فخرجت فدخلت عليه الخيمة ، فلما جلست عنده سألت عن سيدي وعن حاله فمد يده إلى كتاب كان عنده وناولني إياه وقال : انظرهذا من تصانيفه ، فلما نظرت فيه حصل عندي الانزعاج والشوق إلى لقائه ، فلما كان بعد الحج سافرت إلى اليمن وإلى حضرموت ، فلما وقع نظري عليه ، عرفت قطعاً ويقيناً أنه من أرباب المشاهدة ، وحصل لي مرادي ، وعقدت

(١) ٢/ ٤١ .

(٢) ينظر : ((بهجة الزمان)) : ٢٩٢ – ٢٩٤ .

(٣) كان هذا السيد سفيرا للإمام الحداد بمكة وعريفا له هناك . ينظر ترجمته في ((بهجة الزمان)) : صـ : ٢٣٦ .

على نفسي أن لا أفارقه إلى الممات.

قال العلامة محمد بن زين بن سميط : " وصل الشيخ المذكور إلى جناب سيدي السيد عبد الله بن علوي الحداد قبل وفاته بنحو سنتين، واتصل به وانقطع إليه ، وبنى له زاوية بمكانه الحاوي ، وجلس بها بقية عمر سيدي ، وهو في العبادة من قيام الليل وتلاوة القرآن في أكثر الأوقات ، وكان حسن القراءة جداً ، وكان إذا تلا يقف المار في الطريق من حسن صوته وجودة قراءته وخشوعه ، ثم إنه سافر بعد وفاة سيدي الإمام الحداد عليه رحمة الله ، وكان بيننا وبينه صحبة و مودة ومجالسة ومؤانسة قال لي يوماً: إني أحبك في الله ، فقلت له : أحبك الله الذي أحببتني لأجله كما ورد ذلك في الحديث "[١].

❁ ❁ ❁

١٨) السيد العلامة محمد بن علوي مساوى السقاف[٢] من أهل وادي عمد :

كان عبداً صالحاً عابداً سالكاً ناسكاً ، أخذ عن الإمام الحداد من صغره ، ولازمه في كبره حتى توفي الإمام الحداد ، وكان على سيرة سديدة ، وتعلق واقتداء بالسلف الصالح ، وقنوع وخشوع وتواضع وخضوع .

ولد ببلدة عمد ، ولازم الإمام أحمد بن زين الحبشي بعد وفاة الإمام الحداد .

---

(١) أخرج هذا الدعاء الإمام أحمد في ((مسنده)) ، مسند أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإسناد صحيح .

(٢) ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٥٣ .

وكان والده علوي المساوى من أهل العلم والصلاح ، وكان على سيرة مرضية ، تزوج بابنة السيد العارف عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وأولدها ولده محمد وأخوته ، وكان السيد علوي من جملة الآخذين عن الإمام الحداد المكثرين من التردد عليه .

وفاتــه :

توفي السيد العلامة محمد بن علوي مساوى السقاف بعمد في آخر شهور سنة (١١٦٢هـ) في أيام التشريق ، وكانت له بصمات رائعة في نشر العلم والدعوة والإصلاح في ذلك الوادي الذي تفشى به الجهل .

❊ ❊ ❊

١٩) السيد المنوّر العابد الناسك محمد أبو الوفا المصري[1] :

وكان من المجدين في العبادة ، الصابرين على المكابدة والمجاهدة ، صحب الإمام الحداد وانقطع إليه بكليته ، ولازمه بقية عمره ، وخرج من مصر ولم يعد إليها ، وتوطّن تريم إلى أن مات شيخه الإمام الحداد ، فبعدها رحل إلى بور[2] وجاور السيد عبد الله بن علوي العيدروس إلى أن توفي بها.

❊ ❊ ❊

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ٢٤٨ .

(٢) بلدة قريبة من مدينة تريم .

٢٠) السيد الفاضل يوسف بن عابد بن عبد الله الفاسي الحسني[١] :

كان هذا السيد على قدم من الزهد والورع والتوكل ، والتفقه وقوة الإيمان ، مع كمال الاستقامة وحسن الهدي والسيرة ، ووفور العقل ، وكان من الآخذين عن سيدنا الإمام الحداد ، ثم بعد وفاته انقطع إلى السيد العلامة أحمد بن زين الحبشي ، وانتهى إليه ولازمه وقرأ عليه إلى أن توفي ، وكان السيد يوسف قد سبقت له قراءة وأخذ عن بعض أهل الهند وحضرموت ، واكتسب من العلم قدراً صالحاً ، كان إذا كان ببلده يكاتب سيدنا الإمام الحداد ويسأله عن كل ما يهمه وما يشكل عليه من العلوم ، فانظرها في مدونة مكاتبات الإمام الحداد عليه رحمة الله .

❊ ❊ ❊

٢١) السيد العلامة الرحالة عبد الرحمن بن عبد الله بن حامد البيتي[٢] - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

أخذ عن سيدنا الإمام الحداد ، ولازمه من صغره وقرأ عليه ، وكان سيدنا عبد الله يحبه ويثني عليه ويؤنسه ويدنيه ، وكان مكفوف البصر ، وكان مجداً في طلب العلم ، مجتهداً في تحصيله ، قرأ جملة من العلوم على السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وحفظ عليه في ((الإرشاد)) وحل ألفاظه عليه ،

---

(١) وهو من سلالة يوسف بن عابد الأول الذي تتلمذ على الشيخ أبي بكر بن سالم . ينظر ترجمته في ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) ينظر ترجمته في ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٢١ - ٢٢٢ بتصرف .

وسافر إلى الحرمين وحج وزار، وسافر إلى مصر وأقام بها سنتين ، ولاشك أنه أسهم في مد العلوم والمؤلفات الحدادية هناك في تلك الحقبة ، فإن التلميذ النابه لا بد أن يحمل معه بعض مؤلفات مشايخه ، ثم خرج إلى المدينة الشريفة وأقام بها إلى أن مات ، فعليه رحمة الله تعالى .

صلته بالعلوم :

نبغ هذا السيد في العلوم ، فقد كان مهتماً بمطالعة الكتب الفقهية والنحوية ، حصلها ودرسها على الشيخ العلامة سالم بن عمر بافضل في زواية مسجد الجبانة بتريم ، وفي مصلى الشيخ الحسين بافضل .

وأمره الإمام الحداد بحفظ (همزية البوصيري) وقصيدة ابن الفارض (أرج النسيم سرا من الزوراء) ، قلت فعله من أرباب الأصوات الحسنة والحدو والانشاد .

❊ ❊ ❊

٢٢) السيد العلامة المتفنن الرحالة عبد الله بن جعفر مدهر[1] (١٠٩٣ - ١١٦٠هـ) :

هو العلامة المتبحر في العلوم ولد بمدينة الشحر سنة (١٠٩٣هـ) ، وشب بقرية الغيل الوزيري عند أخواله ، متردداً إلى الشحر في كنف أبيه، وبهما تلقى

(١) ينظر ترجمته في ((بهجة الزمان)) : صـ ٢١٨ - ٢١٩ ، و((تاريخ الشعراء)) : ٢/ ١٠٨ .

أولويات علومه ، وسافر إلى الحجاز ثم الهند ، وأقام بالهند عشرين عاماً ، وفي الهند عم به النفع وسطع نجم مشيخته ، وانتفع بها الخلائق ، وبعدها عاد إلى مكة واتخذها دار مقامة له ، واستدام بها مظهراً من مظاهر العلم والورع والزهادة .

صلته بالإمام الحداد :

كان قد اتصل بالإمام الحداد وأخذ عنه الأخذ التام بالمكاتبة والمراسلة ، وقوة التعلّق والرابطة والاعتقاد والمحبة ، في غير اجتماع بالأجساد ، وكان المترجم له عظيم الانطواء في الإمام الحداد ، مطلق اللسان بالثناء عليه بالتعظيم والمدح نثراً ونظماً.

صلته بالإمام أحمد بن زين والسيد عمر البار:

وكان له اتصال بالإمام أحمد بن زين بالمكاتبة ، وقد زار المترجم له حضرموت بعد وفاة الإمامين ، واجتمع بالسيد العلامة محمد بن زين بن سميط بشبام ، ثم سافر إلى دوعن واجتمع بالسيد العارف عمر بن عبد الرحمن البار وتزوج بابنته ، وأقام بدوعن ليالي وأيام ، ثم سافر بزوجته إلى الحرمين الشريفين ، وتوفي بمكة سنة (١١٦٠هـ) ، ودفن بمقبرة المعلاة الشهيرة .

مؤلفاتــــه:

١. «كشف أسرار علوم المقربين» .
٢. و«اللآلئ الجوهرية على نظم العقائد البنوفرية» .

٣. «العروش السنية في نظم العقيدة السنية».

٤. «شرح ديوان السيد شيخ بن إسماعيل العلوي الشحري».

٥. «لمع النور بشرح «الله يتم السرور»».

٦. «أشرف النور وسناه من سر معنى «الله لا تشهد سواه»».

٧. «النفحة المهداة بأنفاس العيدروس ابن عبد الله».

٨. «الإخاء والوفاء بترجمة العيدروس جعفر بن مصطفى».

٩. «رسالة في مناقب الفقيه الصوفي السيد زين بن عبد الله بن علوي الحداد».

١٠. وله «منظومة» في أنساب بعض السادة العلويين[١] .

١١. وله «ديوان ورسائل ووصايا نافعة».

❊ ❊ ❊

٢٣) أخذ بعض علماء الزيدية عن الإمام الحداد :

قال الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في «تثبيت الفؤاد» : " ينبغي للإنسان أن لا يتعمّق في مطالعة الكتب التي فيها ذكر ما وقع لسيدنا علي من الحروب كالجمل وصفّين وغير ذلك ، لأنها توغر الصدور ، ولا بد ما يمر عليه القليل منها في

---

(١) شرحت في كتاب «الروض المزهر» من قبل العلامة أحمد بن علي باهارون الجنيد وباسودان، وهي تحت الطبع.

شيء من الكتب ، وإن يُلِي العالِم بذلك واحتاج إلى النظر فيها ذكر ، فليتوسط ولا يمعن ، وإنما نظرنا فيه حين وصلت الزيدية إلى هذه الجهة ، وسألونا عن أشياء فأجبناهم عنها ، وكان في السائل منهم إنصاف[1] ، حتى إنه مال إلى ما قلناه ، وَوَدَّ الإقامة عندنا ، وكان من الزِّيَدَية بمكان ، وكان متجرداً للأمر والنهي ، وقالوا لنا : لأي شيء قَدَّمْتُم عَلَى أبيكم علي بن أبي طالب غيرَه ، فقلنا لهم : هو الذي قدّم غيره وفَضَّله على نفسه ، فقدّمناه نحن أيضاً وفضلناه لتقديمه له وتفضيله اقتداء به ، فقالوا: إنما ذلك تقية ، فقلنا : إنّا لسنا مثله في قوته وشجاعته وصولته ، فإذا فعل ذلك للتقية ، فمَنْ أقوى منه أو مثله في الشجاعة والقوة ؟ فالتّقية التي وسعته هو ، تسعنا نحن أيضاً "[2] .

❁ ❁ ❁

٢٤) الشيخ الصالح عبدالله بن فلاح الخولاني (ت: **١١٣٣هـ**) رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

كان في بداية أمره من حملة السلاح بدوعن ، ثم جاء وصافح الإمام الحداد ومعه سلاحه ، فقال له : ما سمك ؟ قال : فلاح ، فقال : اطرح السلاح .. فمن حيئذ قذف فيه حب العلم والرغبة فيه ، ولازم الإمام الحداد هو وأولاده مدة حياته ، وانتفع به ، وقد أصهر إليه الإمام كما في ((بهجة الزمان)) ، قال في

(١) جاء في كتاب ((النفائس العلوية في المسائل الصوفية)) أن اسم السائل : أحمد بن محمد الغشم الزيدي . ينظر : صـ ١١٨ . وهناك نماذج من مناظراته مع هذا العالم الزيدي فانظرها .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢٢٦ .

((البهجة)) : وكان طويل القيام بالليل ، كثير التهجد والذكر ؛ لا يفتر عنه ، ويصوم الأيام الكثيرة ، وقد جاور بالطائف مدة ، وبمكة مدة ، ثم خرج وانقطع للإمام الحداد ، وكانت وظيفته العناية بطهوره أن يأتي به من البئر ، ويؤذنه بأوقات الصلاة(١) .

وكان فطناً يسأل عن المشكلات في السير إلى الله فمن ذلك قوله للإمام الحداد : " ما السبب في أن الإنسان في بعض الأوقات يحس في نفسه نشاطاً للطاعة وداعية إليها ، وفي بعض الأوقات خلاف ذلك ، يكسل عنها ، وتميل نفسه منها ؟

فأجابه بقوله : إن كان الباعث على فعل الخير من جانب الحق بأن شاهد في نفسه أمراً من جانب الحق تعالى ، فذلك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا مدخل للعبد فيه ، وإلا فهو رجل دنياوي ، لا قَدْرَ له ، بأن كان إذا تيسرت له أمور الدنيا وتوتّت له ، نشط للعبادة ، ورغب فيها ، وإذا تعسرت عليه وانقبضت عنه أمور معيشته ، كسل واشمأز من الطاعة ، فإن باعثه ذلك باعث دنياوي ، وهو خسيس الهمة ، لكن النشاط في الطاعة مليح ، وخذ نفسك بالتي ، كالغريم الظالم ، خذ منه كل ما سمح واتفق ، والنفس إلا غريم ظالم "(٢) .

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٥٨ ، و((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٣٧٢ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٥٨ .

وفاتـــه :

كانت وفاته حدود سنة (١١٣٣هـ) ، قال في ((غاية القصد والمراد)) : " توفي بعد الإمام الحداد ، تمرض سنة ثم مات ، وهو أول أصحابه لحوقا به ودفن قريبا منه "[١] .

❋ ❋ ❋

٢٥) الشيخ محمد المغربي (ت ١١٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

كان ينزح[٢] الماء على بير زمزم ، ثم جاء إلى حَضْرموت ومَكَث عند الإمام الحداد مدة وأخذ عنه وتزوج بحضرموت بإشارة منه ، وأنجبت زوجته الحضرمية ولدا اسماه إبراهيم ، ثم استأذن الأمام الحداد في العودة إلى مكة فأذن له ، ولما بلغ ابنه إبراهيم سن الرشد حج سنة (١١١٨هـ) صحبة العلامة الحسين ابن الإمام عبد الله بن علوي الحداد ، وحج مرة أخرى سنة (١١٢٨هـ) وشهد وفاة والده بهذا العام[٣] .



(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٣٧٣ .

(٢) النزح هو : رفع الماء من عمق البئر بواسطة الدلو .

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١٢٧ .

٢٦) الشيخ عمر بن عبدا لله المغربي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – :

قال العلامة عمر بن حسن الحداد (ت ١٣٠٨هـ) : أن هذا الشيخ كان يكاتب الإمام عبد الله بن علوي الحداد من المغرب ، ثم وصل إلى حضرموت وتزوج بها ، وأن قبيلة آل باسالم الموجودة بتريم من ذريته[١] .

❁ ❁ ❁

٢٧) أولاد مفتي بغداد الشيخ محمد الرحبي :

وفدوا على الإمام الحداد في سنة وفاته سنة (١١٣٢هـ) وأخذوا عنه ، وطلبوا تدوين بعض مصنفاته فأذن لهم شريطة التحري في النقل وحسن المقابلة لما ينسخ بعد ذلك .

وقد اسهموا في نشر كتب الإمام الحداد في حاضرة العراق وما ولاها ، فكانوا عليهم الرحمة جسراً لعبور الكتب والعلوم الحدادية إلى جهاتهم[٢] .

❁ ❁ ❁

---

(١) السقاف ، عبد الرحمن ابن عبيد الله ((إدام القوت)) : صـ ٥٣٤ ؛ تحقيق : إبراهيم المقحفي ، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١٦٦ – ١٦٧ .

٢٨) العلامة الفقيه أحمد بن أبي بكر باشعبان بافضل[١] :

نشأ هذا الإمام – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – بمدينة تريم وصحب بها إمام زمانه الإمام العظيم السيد عبدالله بن علوي الحداد – عليه رحمة الله تعالى – وبرع في سائر العلوم وملك زمامها ، ورحل إلى الديار الهندية وأقام بها لنشر العلوم الشرعية وانتفع به من الخلائق كثيرون ، وبينه وبين الإمام الحداد مكاتبات تشمل على مباحثات علمية ومسائل مرضية تدل على سعة علمه وقوة فهمه ، وقد ذكر بعضها في ((صلة الأهل)) فراجعها ، ولم يزل هذا الإمام باذلاً نفسه للنفع والتعليم والدعوة والإرشاد إلى أن فاجأته المنية ببلدة (بلقام) الهندية .

مؤلفاتــه :

له من المؤلفات كتاب ((المنتقى)) مختصر في الفقه الشافعي ، أجاد فيه غاية الإجادة ، وهو على صغر حجمه عظيم الفائدة يحتوي على بيان المهمات الدينية والعقائد الإيمانية وجملة من الأخلاق النبوية والآداب المرضية ، وكان فراغه من تأليفه سنة (١٠٧٩هـ) وفي ((الموسوعة اليمنية)) لمؤسسة العفيف جعل السنة المذكورة سنة وفاته وهي في الحقيقة سنة فراغه من تأليف كتاب المنتقى فتنبه.

وفاتــه :

لم يذكر في ((صلة الأهل)) تاريخ وفاته ؛ إلا أنه بلا شك في أواخر القرن الحادي عشر .

---

(١) ((صلة الأهل)) : صـ ٢٤٤ ، و((الموسوعة اليمنية)) : ١/ ٤٥٠ .

٢٩) العلامة الفقيه عبدون بن محمد بن قطنة - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -[(١)] :

هو من خيرة تلاميذ الإمام الحداد الذين انتفعوا به غاية الانتفاع ، اشتهر بعلم الفقه ، وتفقه عليه جملة من أولاد الإمام الحداد ، كما في ((المواهب والمنن)) ، قال العلامة محمد بن زين بن سميط : " ومنهم الفقيه العالم العامل التقي الورع عبدون بن محمد بن قطنة ، كان من الآخذين عن سيدنا الشيخ عبد الله المنتسبين إليه ، لبس منه الخرقة الشريفة ، وتلقن منه الذكر ، وأخذ المصافحة فيما أظن وكان لزيماً له ملقياً إليه قياده في سائر أحواله ، مندرجاً تحت إشارته ، تاركاً علمه ورأيه وراءه ، تفقه في العلم وتضلع منه ودرس في حياة شيخه " وذكر في ((المواهب والمنن)) أنه له ولد يعرف بسالم .

مؤلفاتــــه:

١. القول الواضح الأظهر في تحريم أخذ العشرة بأحد عشر .
٢. ونبذة في رؤية الشهر .
٣. وله شعر تجد نماذج منه في ((المواهب والمنن)) .

وفاتــــه :

الأرجح أنه توفي بعد سنة (١١٤٠هـ) لإدراكه مشيخة الحسن بن الإمام الحداد وهو معدود في تلاميذه .

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٤٣ ، و((المواهب والمنن)) : صـ ٤٤ - ٤٥ ، و: ٣٦٣ .

٢٩) الفقيه الأديب عبدالرحمن بن أحمد باكثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -[١]:

من مشاهير تلاميذ الإمام الحداد ، فقيه عالم ، وزاهد صالح ، يقول الشعر ، وهو من قرناء ابن قطنة السابق ، مذكور في مكاتبات الإمام الحداد ، وله اشتغال بالأدب وقد حفظ (مقامات الحريري) ، والغالب أن إقامته كانت بالشحر كما يستفاد من ((المكاتبات)) الحدادية .

مؤلفاتــه :

١. ((شرح منظومة في دماء الحاج)) .

وفاتـــه :

توفي على الأرجح بعد سنة (١١٢٣هـ) يستفاد هذا من آخر مكاتباته لشيخه الإمام الحداد .

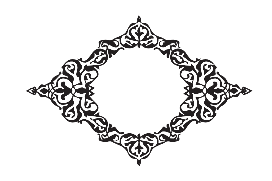
❁ ❁ ❁

(١) ((مصادر الفكر)) للحبشي : صـ ٢٥١ و: ٥٨٤ ، و((البنان المشير)) : صـ ٥٧ ، و((مكاتبات الإمام الحداد)) : ١/ ٤٨٢ - ٤٨٦ ، المكاتبة رقم (١٤٧) وما بعدها .

خاتمة المبحث الخامس

لعلك سئمتَ من الطول في تعداد هذا العدد اليسير من تلاميذ الإمام الحداد ، ولكن ليس في هذا من طول بالنسبة إلى مجموع تلاميذ الإمام الحداد الذين لا تحصى أعدادهم بالأرقام ، ولكن ما أوقفناك عليه ليس إلا نماذج من هؤلاء التلاميذ النجباء ، كي تتكون لديك فكرة بسيطة عن مستوى التربية التي كان يربي عليها الإمام الحداد تلاميذه ، وعن مستوى الهمة التي انطلق بها هؤلاء التلاميذ في نشر العلم والدعوة إلى الله ونفع الناس في شتى الأقطار والأمصار ، حريصين في جميع ذلك على أن نبرز من كان له نشاط دعوي أو علمي في الخارج ، ذاكرين نخبة من التلاميذ الوافدين للتلقي والأخذ والتربية والسلوك على يد هذا الإمام المبارك من الأقطار المختلفة والأمصار المتباعدة ، جامعين في كل ذلك بين التميز في المظهرين معا ، مظهر العلم ومظهر العبادة ، وإحياء الشريعة والحقيقة ، وعلى كلٍّ في خاتمة هذا المبحث نقول ما قاله الإمام الحداد – عليه رحمة الله – :

ولأقبضــنّ عنان قــولي هاهنا　　　حســبي وفي تعدادهم لم أطمعِ



المبحث السادس

نشاط تلاميذ الإمام الحداد في نشر الدعوة إلى الله في الآفاق

لكي لا يطول بنا الحديث في هذا المحور سنحاول أن نلخص أنشطة تلاميذ الإمام الحداد في هذه النقاط :

١. وفر الإمام الحداد عدداً كبيراً من الدعاة العلماء المصلحين العاملين ، ووزعهم في أصقاع الوادي الحضرمي بشكل عام ، فحفظت ببركة تعليمهم وتوجيهاتهم وإرشادهم تلك البلدان والوديان والبوادي ، من ظلمات الجهالة القبلية ، والتنازعات العشائرية ، ويظهر ذلك جلياً من خلال تلاميذه الذين أقامهم في محراب الدعوة والإرشاد والإصلاح الاجتماعي في وادي عمد ووادي دوعن ووادي العين وما جاورها من البلدان[1] ، بالإضافة إلى بلدان الساحل وغيرها .

٢. إحياء التلقي السلفي المسند في شتى فنون العلم الشرعي واللغوي والسلوكي ؛ حتى انتشر في القطر الحضرمي عدد كبير من المحدثين والمسندين للعلوم

(١) ينظر الصفحات الأخيرة من كتاب : ((بهجة الزمان)) .

الشرعية وغيرها ، كالإمام عبد الرحمن بلفقيه علامة الدنيا وغيره من مشاهير تلاميذ الإمام الحداد الذين عجت بهم كتب الإسناد وفهارس المشيخات كـ ((عقد اليواقيت)) و ((فهرس الفهارس)) .

٣. إحياء معالم التصوف النزيه ، المقيد بالكتاب والسنة من غير إخلال بآداب الشريعة ، مع الحفاظ على تلقي العلوم الشرعية والفقهية ومطالعة كتبها وتحقيقها .

٤. استثمار المحيط الحضرمي والتريمي في تلك الفترة في مدارسة العلوم ، والتحقق بأخلاق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، والسعي المتواصل في التشبه بالسابقين الأوائل في الأحوال والأعمال والأقوال ؛ حتى ساد هذا الوصف على غالب الأقطار الحضرمية وخصوصاً المقاربة لتريم .

٥. الإشارة على الكثير من الطلاب بالهجرة إلى البلدان الشهيرة بأهل العلم للاستزادة من العلوم المسندة والتمرس فيها كما ستلاحظ في تراجم الكثير من تلاميذه .

٦. ملازمة وظيفة الدعوة إلى الله تعالى في الحط والترحال ، وهذه سمة مميزة لتلاميذ الإمام الحداد ، وشيوخ المدرسة العلوية بشكل عام ، فهم دعاة إلى الله في بلدانهم وفي سفرياتهم ورحلاتهم وفي سائر شؤونهم ومختلف أحوالهم .

٧. انفتاح وشيوع حركة التأليف العلمي في مختلف علوم الشريعة التي لتلاميذ

الإمام الحداد الحظ الوافر والنصيب العظيم في تنشيطها وإحيائها في هذا القرن .

٨. إخراج وإبراز الصفات والأخلاق الفاضلة من بطون كتب السيرة والتراجم ، وإحلالها في قوالب وقلوب أشخاص تحققوا بها من تلاميذ الإمام الحداد ، الذين يضرب بهم المثل في التقوى والاستقامة والعلم والزهادة والتقوى والورع .

٩. الاهتمام بممارسة وظيفة الدعوة إلى الله الخارجية بالحجاز ومصر وقبرص والشام واصطنبول وجاوه والهند ، ومن رواد ذلك تلميذ تلاميذ الإمام الحداد الإمام عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس.

١٠. إدخال أعداد كبيرة من نصارى الهند وكفارها وكفار الأقطار المختلفة إلى حظيرة الإسلام ، وذلك مما لا شك فيه ، وخصوصاً أن السادة العلويين من تلاميذ الإمام الحداد وتلاميذهم كانت لهم الكلمة المسموعة في الأوساط الاجتماعية الهندية والجاوية والإفريقية ؛ بسبب دماثة أخلاقهم وعلمهم وصلاحهم الذي يظهر لجميع الخلق فلا يجدون سبيلاً عن الانخراط في حظيرة الإسلام[1] .

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر إلى ترجمة السيد محمد بن عوض الضعيف السقاف في ((بهجة الزمان)) : صـ ٨٣ – ٨٤ ، وكذلك : صـ ٣٠٢ ما بعدها ، وترجمة السيد محمد بن عمر حامد في ((الروض المزهر)) من : صـ ١٢٧ – ١٢٩ ، والسيد شيخ الجفري الذي يعد من تلاميذ الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد. ينظر ترجمته في ((تاريخ الشعراء)) و((الروض المزهر)) : صـ ١٤٦ ، وينظر تراجم السادة آل العيدروس من تلاميذ الإمام الحداد بالهند في ((مرآة الشموس)) وغيرها.

خلاصة البحث ونتائجه:

١. الذين صحبوا الإمام الحداد خلق لا يحصون بحد ولا يستقصون بعد ، وكان الكثير منهم قد توفي قبله فلم تدوّن سيرهم ولم تنقل مناقبهم إلا النزر اليسير على ألسنة القليل من الناس ، وقد أحصى الباحث منهم بالتتبع والعناية نحو من (٢٥٠) تلميذاً ممن صرحت بهم عبارات المصادر المتحدثة عن الإمام الحداد .

٢. الآخذين عن الإمام الحداد استوعبوا جميع شرائح المجتمع المختلفة ، فقد أخذ عنه غالب أهل الجهة الحضرمية ، وشاركهم غيرهم من داخل اليمن وخارجه .

٣. ينقسم تلاميذ الإمام الحداد إلى قسمين :

القسم الأول : وهم من لازمه ملازمة تامة واعتكف إليه سنين طويلة.

القسم الثاني: وهم من أخذوا عنه واجتمعوا به أياماً قليلة وذلك خلال رحلاته في وادي حضرموت وخلال رحلة الحج الكبرى التي التقى به وأقبل عليه فيها الكثير من الناس من شتّى الأقطار والأمصار.

٤. لعلّ السبب الأول بعد توفيق الله وإخلاص هذا الإمام في اتساع دائرة الآخذين عنه يعود إلى طول عمره حيث أنه عمر فترة ليست بالقصيرة قاربت التسعين سنة كما أنه تصدر للمشيخة في وقت مبكر من شبابه .

٥. غالب تلاميذ الإمام الحداد كانوا على نصيب وافر من التحقيق العلمي ،

وعلى مستوى عالي من الصلاح والتقوى والورع والزهادة ، ولذلك عسر علينا التفريق فيما بينهم ، وكلهم أو جلهم مارسوا الدعوة إلى الله تعالى والتعليم والإصلاح الاجتماعي .

٦. النماذج الثلاثين التي ذكرناها في هذا البحث ليست إلا أمثلة على شخصيات علمية بارزة ، وإلا فهناك شخصيات أخرى لها ميزات خاصة بها لم نذكرها إيثاراً للاختصار.

٧. من ذكرناهم من النماذج يعدون من أكابر تلاميذ الإمام الحداد وخاصة الإمام أحمد بن زين الحبشي وعمر بن عبد الرحمن البار والسيد العلامة المؤرخ محمد بن زين بن سميط والسيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه.

٨. عدد الشخصيات التي تحدّثنا عنها في هذا البحث (٣٠) شخصية ، حرصنا على أن نجمع فيها بين من تلقى عن الإمام الحداد من الداخل ، أو من وفد عليه من الخارج ، ومن أشتهر منهم بالعلم ومهر فيه ، ومن جمع بين العلم والزهد والإكثار من التعبد .

٩. ذكرنا في مقدمة البحث مقدمات هامة فيها إشارة إلى نشاط السادة العلويين في الدعوة إلى الله تعالى في بلدان العالم من المحيط إلى المحيط ، والثانية ذكرنا فيها حالة الوسط الاجتماعي السائد في عصر الإمام الحداد ، مع ذكر كيفية عناية الإمام الحداد بوظيفة التربية والتعليم ، وعنايته بتربية المريدين .

١٠. نشاط تلاميذ الإمام الحداد يتمثل في إنعاش حركة الدعوة إلى الله من حيث

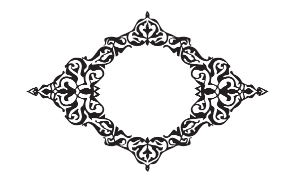
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس مسائل الشرع والدين ، ومن حيث إصلاح القبائل والعشائر المختلفة في وادي حضرموت.

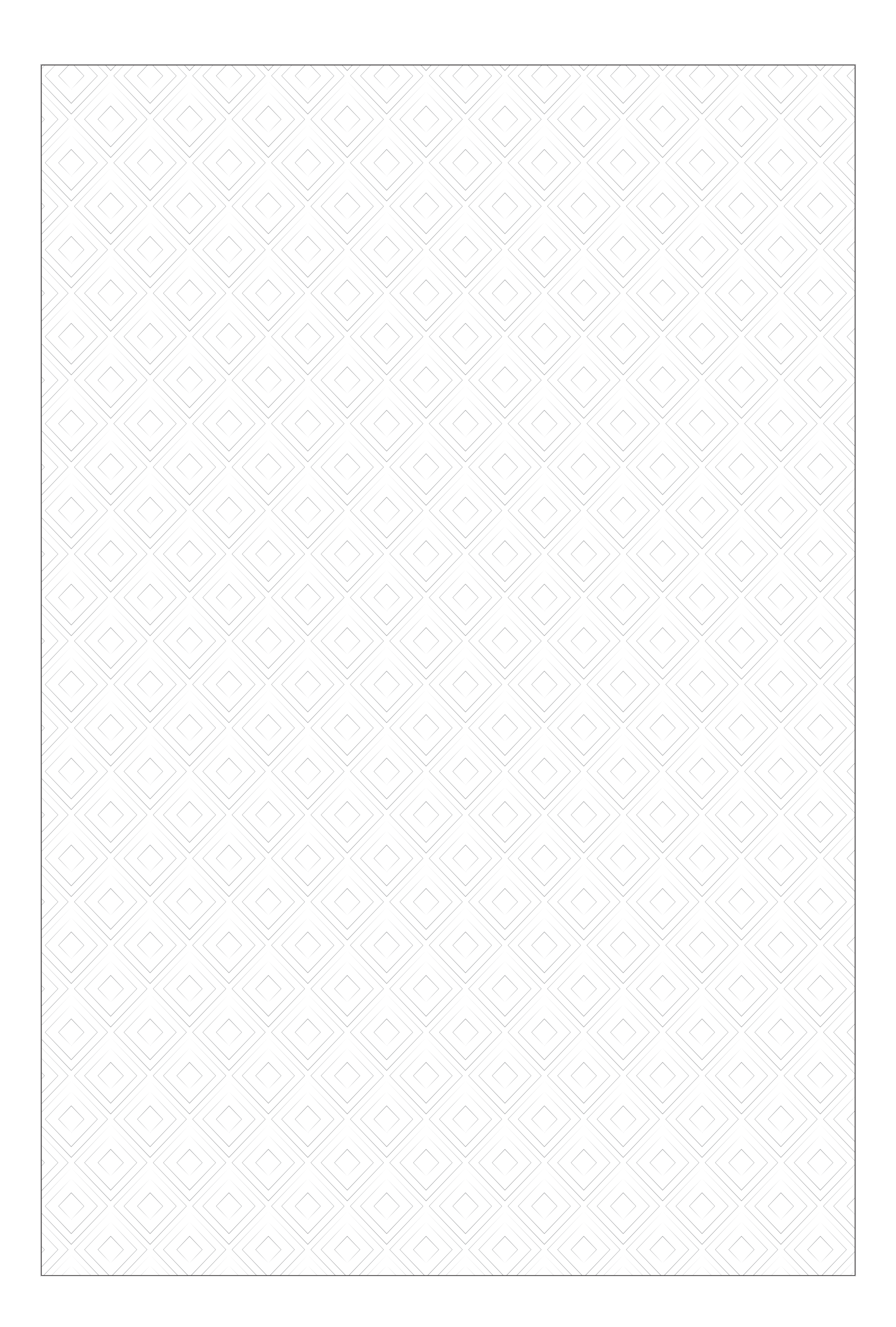
١١ . إنعاش حركة الدعوة إلى الله في العالم من خلال البعوث التي هاجرت إلى الجهات المختلفة بحثاً عن الرزق ونشر الإسلام في نفس الوقت.

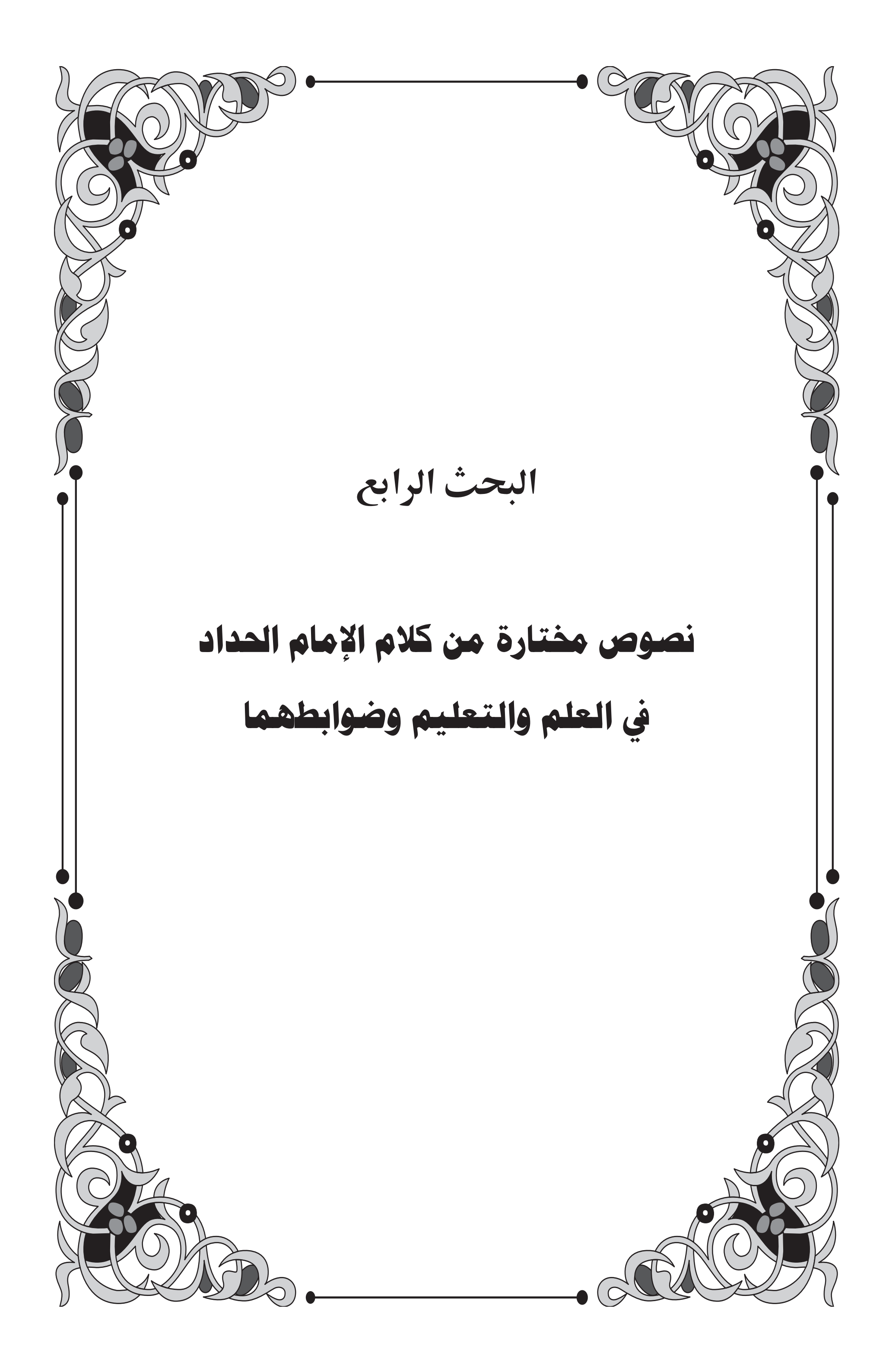
١٢ . انتشار حركة التأليف والتصنيف في المسائل العلمية التي يحتاج إليها في ذلك الزمن ؛ بالإضافة إلى الحرص على اقتناء الكتب النادرة والمختلفة في شتّى الفنون ، واستنساخها وتعميم النفع بها ، مع أن السادة العلويين آثروا جانب العمل ولم يرغبو في التأليف إلا للحاجة .

١٣ . إحياء التلقي السلفي المعتمد على الإسناد في الميدان العلمي الشرعي واللغوي والأدبي ، والحرص على علو الإسناد في العلوم الحديثية وغيرها ، كما تلاحظ ذلك من ترجمة السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وغيره.

١٤ . تلاميذ الإمام الحداد عمل يحتاج إلى جهد وتتبع ، ومن خلالهم سنبرز تراجم مشاهير القرن الثاني عشر الهجري من عباد وعلماء ومصلحين ، وختاماً أسأل الله تعالى القبول لهذا الجهد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

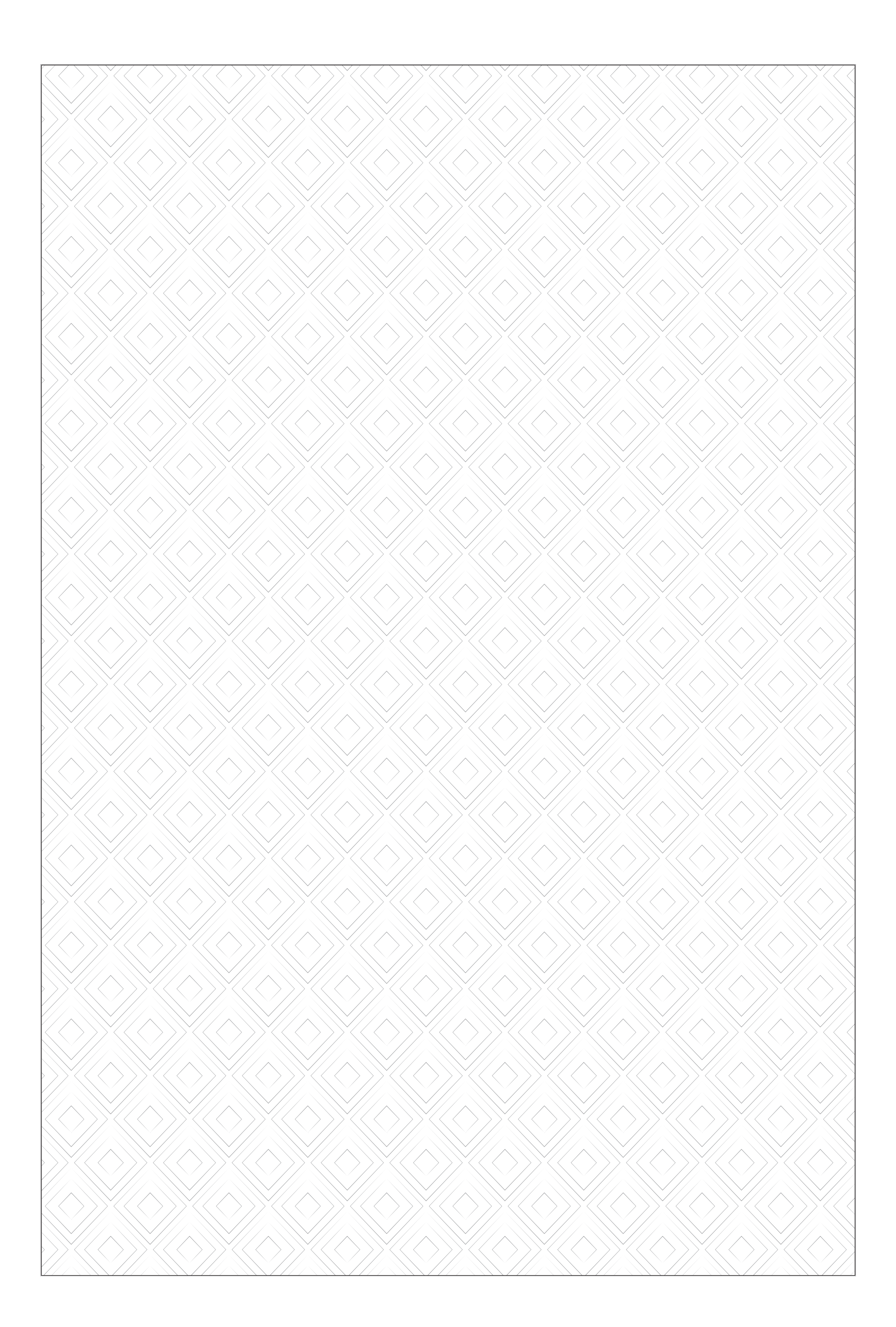






البحث الرابع

نصوص مختارة من كلام الإمام الحداد
في العلم والتعليم وضوابطهما



مطلع البحث

قال الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – :

كِتَابٌ حَـوَى الْعِلْمَ الذِى هُوَ نَافِعٌ   وَمَا قَالَـه أَوَّاهُنَـــا وَمُنِيبُـنَا

مقدمة البحث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

إن العلامة الحضرمي اليمني السيد الإمام عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤ - ١١٣٢هـ) ليعد بحق مفخرة من مفاخر العطاء العلمي الحضرمي ؛ الذي لا ينضب معين علمه وعطائه الفكري المتجدد على تعاقب الأزمنة والدهور.. فهو يستحق بجدارة أن يحمل رأية التجديد في زمانه ، وما ذاك إلا لما توج به جبين الدهر من إثراء الفكر الإسلامي بالعديد من الرؤى العلمية العميقة ، في جميع ميادين المعارف ، على الصعيد الإقليمي والعالمي ، مما يؤكد شمولية فكره وعالميته .. وسلامة تجربته وخبرته.. وقد اضطلع هو وتلاميذه برصد هذه المعارف في بطون الأوراق ؛ لينهل منها الواردون علما غضا طريا في كل زمان ومكان ، وليستدلوا من خلالها على منهجيته الفذة في التعامل مع جميع العلوم ، وكيفية ربطها بالواقع وإنزالها عليه ، مع المراعاة للضوابط والقواعد والأحوال والأشخاص .. سواء فيما يخص العلم بعمومه ، أو العلوم بمفردها في الأصول والفروع .. والسلوك والدعوة .. والاجتماع والتاريخ ..

ومن فتر ة إلى أخرى أحس برغبة عارمة تجاه الكتابة عن منهجية الإمام الحداد ونظرته إلى العلوم ؛ لأنني لمست أن له لغة خاصة ونظرة مجددة في كل علم من العلوم ، يطرحها بثوب جديد ولسان خاص ومنهج فريد .. و من تعمق في القراءة سيشعر بما شعرت به ويلمس ما صرحت به ؛ وصرح به عدد ليس بالقليل قبلي من أكابر العلماء ..

فهو إن تكلم عن العلم وطريقة تعليمه ، أتى بمنهجية فذة في ذلك ، يعيها العقل ، ويقبلها المنطق ، ويتفاعل معها الواقع والحياة ..

وإن تكلم عن علوم القرآن : أتى بما لم يسبقه إليه غيره ، من دقيق الفهم ، وعميق الفكر والإدراك لمكنونات القرآن ؛ الراقية بالإنسان إلى أفق عالية في مراقي معاني وحقائق الإيمان والإحسان ، والعيش الهني في هذه الحياة ..

وإن تكلم في علم العقيدة : أتى بالزبدة والخلاصة ؛ من أن الإيمان طريقه التسليم وعدم الإقحام للعقل فيما يعجز عنه مما يفسده ، ولا يوصله للغاية المنشودة من معرفة الله .. التي طريقها الأقصر بالتعرف إليه من طريق التقوى له ، والدينونة الخاضعة ، والعبادة الخاشعة ، التي يصارح من خلالها المؤمن الصادق المستقيم بصريح الإيمان ، فيقال له كما قيل لحارثة : (عرفت فالزم) ..

وإن تكلم في علوم الحديث : أبان أنها علوم استنباط وعمل ؛ لا علوم مكاثرة ومكابرة وجدل .. وأن الخير في معانقة السنة عملاً واتباعاً ؛ والشر في

مخالفتها إعراضاً وابتداعاً .

أما منهجيته في الفقه وقواعده : فهي الرجوع إلى الدليل ؛ والتأسيس عليه ، والنظر في المصالح .. وإنزال الفروع على الأصول ؛ من غير جمود على تفريع ضعيف ، ولا تشدد عنيف ، مع مراعاة الأحوط في مسائل لا يسعها إلا الأحتياط ، والرفق بالعامي في مسائل الخلاف..

أما حديثه في علم السلوك والتصوف : فهو حديث المتخصص الذائق ، والمحقق في مسائله عويص الدقائق .. في أسلوب رصين ، ورسوخ وتمكين ، من غير شطح مضر ، ولا تفلسف خطر ؛ بل التربية بحال الرسول في سيرته ، والصحابة في فهم مهيع الإحسان وطريقته ، وإرث الوراث من السلف العُبَّاد المتفرع عن ذلك ..

وفي علوم التاريخ : له لسان صائب ، و نصيب تستلهم منه قواعد الحق ، وتعرف من خلاله منازل الخلق ؛ بأنصاف في القول .. وإيكال للعواقب إلى من له القوة والحول .

أما أدبه : فأدب المحب المستهام ، والناصح الذي كشف عن حقيقة دار الحطام ؛ في قوالب اللغة المتوهجة بلواعج صدق العرفان ، الدالة على عالي مراقي مقامات الإسلام والإيمان والإحسان ؛ المستكنة في سر هذا الإنسان ..

رصدت ذلك كله بمجهر البحث والبرهان ؛ وحدثتك عنه بعبارة المحب

المنصف ، بعد مراجعة ودرس وتفتيش ؛ وضمنت نظراتي هذه الفصول الآتية ، فطالعها بروية ؛ علك تجد مصداق ما قلت ، وهذه عناوين بحثي الموسوم : ((بنصوص مختارة من كلام الإمام الحداد في العلم والتعليم وضوابطهما)) :

الفصل الأول : فيه ضوابط تحصيل العلم وتعليمه والعمل به والمطالعة لكتبه وآداب التأليف .

الفصل الثاني : في ضوابط السؤال وأنواعه وأوقاته .

الفصل الثالث : يضم منهجيته في التعامل مع كتاب الله تعالى .

الفصل الرابع : يضم مقتطفات من كلامه في العقيدة .

الفصل الخامس : في منهجيته في علم الحديث .

الفصل السادس : يتضمن بعض كلامه في علم الفقه تعلما وتعليما.

الفصل السابع : فيه ضوابط علم التصوف .

ولتعلم أن جميع ما في هذا البحث مستخلص من ((تثبيت الفؤاد)) و((غاية القصد والمراد)) و((بهجة الزمان)) وكتاب ((المواهب والمنن)) وسلسلة رسائل الإمانم الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وما كان من غيرها ستجده معزواً لأصله ، وبالله التوفيق ، وعليه التكلان ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

فصل فيه ضوابط تحصيل العلم وتعليمه والعمل به والحث على المطالعة لكتبه وآداب التأليف

الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهب حياته للعلم والعمل ، والتعليم والإرشاد ، ودلالة الناس على الخيرات ، وبين أن العلم هو مفتاح الهداية لكل خير في كثير من كتبه ومنها قوله : " واعلم أنك لا تصل إلى القيام بامتثال ما فرض الله عليك من طاعته ، واجتناب ما حرم الله عليك من معصيته ، وإلى العمل بما شرع لك من النوافل التي تقربك إليه زلفى إلا بالعلم ، فعليك بطلبه فقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**))[1]، وبالعلم تعرف كون الواجب واجباً والمندوب مندوباً ، والمحرم محرماً ، وتعرف كيف تؤدي الواجب وتفعل المندوب وتترك المحرم ؛ فإذن لا بد لك من العلم ولا غنى لك عنه ، وعليه وعلى العمل به مدار سعادتك في الدنيا والآخرة "[2] .

وتحدث عن سعة علمه من باب التحدث بالنعمة فقال : " أنَّ الله وله

(١) ((سنن ابن ماجه)) : ١/ ٨١ ؛ الحديث رقم : (٢٢٤) ، وللإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جزء حديثي صحح فيه الحديث .

(٢) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٧٢ - ٧٣ .

الحمد ، قد أحيا بنا علوماً قد أميتت "[١] .

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ما وجدنا العلم بالقيل والقال ، ولا بمزاحمة الرجال ، ولكنا وجدناه في خلو القلب عن الدنيا ، والبكاء في جوف الليل ، ومراقبة الجبار "[٢] .

وفي هذا الفصل سأعرج على ذكر فقرات مباركات له ، ينبه فيها – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – على نية صالحة في طلب العلم ، أو يذكر فيها حثاً على تحصيله ، أو تنبيهات أخرى تتصل بضوابط التحصيل ، وطرق التدريس ، وآداب التأليف ، وغيرها من الملاحظات الحدادية المتصلة بالتعلم والتعليم ، وأختمه بذكر جملة صالحة من الكتب التي قرأت عليه .

نيات تستفتح بها مجالس العلم :

قال الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وهذه الكلمات نعتاد نقولها في مجالسنا :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، نويت التعلم والتعليم ، والنفع والانتفاع ، والمذاكرة والتذكير ، والإفادة والإستفادة ، والحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، والدعاء إلى الهدى ، والدلالة على الخير ، ابتغاء وجه الله ومرضاته وقربه وثوابه سبحانه وتعالى "[٣] .

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ١٢٣.

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢ .

ترغيبه في طلب العلم :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " ما وجدنا الخير كله إلا في العلم ، ولولا العلم ما عرف العبد ربه ولا عرف كيف يعبده "(١) .

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " اللهَ اللهَ في طلب العلم النافع ، ومطالبة النفس بالعمل به ، فإنها قد تطلب العلم ويسهل عليها ، ولكن العمل به عليها شاق "(٢) .

ما قال في طلب العلم :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " ينبغي للإنسان أن يتبحر في فن من العلوم ، حتى يُنسب إليه ويُعرف به ، قال سيدنا علي - كرم اللهّ وجهه - : " مَن أَكثَرَ من شيء عُرِف به ، ويتطرف في البقية من كل فن ، ويأخذ مجامعها وجملتها ، حتى إذا سئل عن شيء ، فإذا هو معه فيه معرفة ، ولا يكون جاهلاً " ، ولهذا صنف الإمام السيوطي ((النقاية)) وشرحها ، وإذا حفظ علماً حفظ جميع العلوم المتعلقة به ، بحيث إذا اقتصدتَ واقتصرتَ فيه كنت فيها كذلك مقتصداً ومقتصرا .

وقاعدة : من كان عارفاً بعلم ومتحققاً فيه ، إذا سمع من يتكلم في ذلك العلم الذي يحسنه ينبغي له أن يسكت ولا يتكلم ، فيظهر نفسه ، فإذا تكلم فإن ذلك يُعَدُّ منه سخافة ، وكثير ممن معه باب أو عشر مسائل يتكلم مع كل من سمعه

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١٢٣ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٩١ .

يتكلم في شيء من المذاكرة ، وخير لك أن تحسن عشر مسائل وتتقنها من أن تقرأ كتاباً تامًّا لا تتقنه ، وقد جاءنا رجل وكان يغلب عليه السكوت ، لا يكاد يتكلم ، مع أنه يسمع المذاكرات ، فما عُرِفَ ، فإذا هو يدِّرس في المذاهب الأربعة "(١) .

ما قاله في العلم والعمل :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " إن اللهَّ تعالى يبغض العلم الذي يَمْنَع من العمل ، ويبغض العمل الذي يمنع من العلم المهم ، والعمل بلا علم سقيم ، والعلم بلا عمل عقيم ، وفرق بينهما ، وإن كان كل منهما آفة "(٢) .

رأيه في التأليف والكتابة :

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " وربما قال قائل ممن لا يعقل : الكتب كثيرة ، وفيها غنية وكفاية ؛ فلا فائدة في تصنيف الكتب في هذا الزمان ، فهذا القائل إن أصاب في قوله : إن في الكتب غنية وكفاية ، فقد أخطأ في قوله : لا فائدة للتصنيف في هذا الزمان ؛ لأن للقلوب ميلاً بحكم الجبلة إلى كل جديد ، وأيضاً فإن الله يُنطِق علماء كل زمان بما يوافق أهله ، والتصانيف تبلغ الأماكن البعيدة ، وتبقى بعد موت العالم ، فيحصل له بذلك فضل نشر العلم ، ويكتب معلماً داعياً إلى الله في قبره ، كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : ((**من أنعش لسانه حقاً يعمل به من بعده ، أُجرِيَ عليه أجرُه إلى يوم القيامة**)) "(٣) .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٨٤ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٥٦ .

(٣) ((رسالة المعاونة)) : صـ ١٨ وما بعدها .

قاعدة تعين على تيسير التأليف :

ولما شرح السيد العلامة الحبيب أحمد بن زين الحبشي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ((القصيدة العينية)) ، وتأخر إتمامه لها ، فقال سيدنا : " لو لم يظهره قبل تمامه ، لتيسر عليه وأتمه سريعاً ، وفي الحديث : ((**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان**))[١] "[٢] .

تحذيره من عدم الإخلاص في التأليف :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " أين الإخلاص اليوم ، ومما يدلك على أنه عزيز لا يكاد يوجد ، قول الإمام الشافعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : وددت أن لو انتفع الناس بهذا العلم ، يعني علمه ولا ينسب إليَّ منه حرف ، فكم أعجبنا كلامه هذا ؛ ولو قلت لمصنف كتاب : امح اسمك منه ، أو اكتب عليه اسم آخر ، أو لا تكتب عليه أسم أحد ؛ لأن الأجر حاصل لك ، فلا حاجة إلى نسبته إليك لأَبى ، وهذا يدل على عدم إخلاصه "[٣] .

كلامه حول الحد الواجب طلبه من العلم :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " عليك أن تعلم ما أوجب الله عليك علمه ، وليس بواجب عليك أن تتسع في العلم ، بل عليك أن تتعلم ما لا يصلح إيمانك بدونه من علوم الإيمان .

---

(١) ((شعب الإيمان)) للبيهقي الحديث رقم (٦٣٧٩) .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٨ .

(٣) نفس المصدر : ١/ ٥٩ .

وعليك أن تتعلم كيف تؤدي ما افترض الله عليك من طاعته ، وكيف تتجنب ما نهاك عنه من معصيته ؛ وجوباً فورياً في الفوريات ، و موسعاً في المُوَسَّعَات ، وقد كان مالك بن دينار - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يقول : " من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ، ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة "[١] .

متى تكون النية غير صادقة في طلب العلم؟

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " يشترط لصدق النية أن لا يكذبها العمل ، فمن يطلب العلم ، مثلاً ، ويزعم أن نيته في تحصيله أن يَعلم ويُعلم ، فإن لم يفعل ذلك عند التمكين منه فنيته غير صادقة ، وكمن يطلب الدنيا ويزعم أنه إنما يطلبها لأجل الاستغناء عن الناس ، والتصدق على المحتاجين ، وصلة الأقربين ، فإن لم يفعل ذلك عند القدرة عليه فلا أثر لنيته "[٢] .

متى يُفتح على طالب العلم؟

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " لا يفتح على أحد في العلم حتى يطلبه ويعتقد أنه خلي منه ؛ لأن المظاهر الدنيوية ، قد تنقص من المظاهر الأخروية "[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بإسناده في كتاب الزهد ، ونص الإمام الحداد مذكور في ((رسالة المذاكرة)) : صـ ٢٩.

(٢) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٢٥ - ٢٦ .

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٣١ .

ضوابط العلم النافع عند الإمام الحداد :

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وينبغي أن يكون لك ورد من قراءة العلم النافع ؛ وهو الذي يزيد في معرفتك بذات الله وأقواله وصفاته وأفعاله وآلائه ، وتعرف به ما أمرك به من طاعته ، ونهاك عنه من معصيته ، ويورثك زهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة ، ويبصرك بعيوب نفسك وآفات عملك ومكائد عدوك "[١].

وقال : " فإنّ العِلمَ ما نَفعَ ، ومَن عَلِمَ وما عَمِلَ فَلَيسَ بينهُ وبَينَ الجاهِلِ فَرقٌ إلا مِن حيثُ إنّ حُجَّةَ الله عليهِ آكَدُ ، فَعَلى هذا يَكونُ الجاهِلُ أَحسنُ حالاً منه ، ولِذلِك قيلَ : كُلُّ عِلمٍ لاَ يَعودُ عَليكَ نَفعُهُ فَالجَهلُ أَعوَدُ عَليكَ مِنهُ "[٢].

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " من لم ينتفع بقليل العلم ، فهو من الانتفاع بكثيره أبعد "[٣].

وقال : " ينبغي أن توقِدَ لك سراجاً من العلم النافع والعمل الصالح ، تستضيء به في ليل ظلمات الدنيا ، حتى يطلع عليك فجر الموت ، أو شمس الساعة ، فإنك إن بقيت في ليلها بلا سراج ، تنتظر طلوع هذا الفجر ، أو سطوع هذه الشمس ، حَقَّ عليك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ

---

(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٤٩ .

(٢) ((آداب سلوك المريد)) : صـ ٢٣ .

(٣) ((حكم الإمام الحداد)) : صـ ١٠ .

فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢][1] .

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " كلُّ ما صَرَف قلبك عن الله من علم أو غيره ، ووسوستَ به في نفسك ، فاتركه ، وإن كان من علوم الآخرة ، واختلاف العلوم كاختلاف الطرق ، فخذ منها ما تَحْتاج إليه ، مثل ما إذا كنت مسافراً ورأيت طرقاً كثيرة فلا تَسْلك الطرق كلها بل واحدة التي منها طريقك " .[2]

تحذيره من عدم العمل بالعلم :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " العلم دليل الفعل ، فإن لم يكن فعل ، فهو خسارة على الطالب والمطلوب ، والأحسن للمحترف إذا لم يسهل عليه أن يعمل بما في البداية – أي كتاب « بداية الهداية » للإمام الغزالي – ، أن يعلم بما يَدُلُّه من علوم الإيمان وعلوم الإسلام ، ويشتغل بحرفته ، ويترك طلب العلم [أي ما زاد على الواجب] ، ويَسْلم من خَطَره ، ويَدَعه على غيره ، سواء كان برًّا أو فاجراً ، فإن قدر أن يعمل بها فليطلبه ، فإن العلم يزيده خيراً ، وإلا فمن عجز عن القليل ، فلا شك أنه عن الكثير أعجز ، وفيها ميزان عجيب ، أو قال عظيم ، ذكره مصنفها فليجرب نفسه به " .[3]

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " العالم إذا لم يعمل بعلمه ، لا يقال له عندنا عالم ، إلا

---

(١) « حكم الإمام الحداد » : صـ ٢٢ .

(٢) « تثبيت الفؤاد » : ٢ / ٧ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ٣٨٩ .

أن يقال عالم فاجر ، بأن يوصف بالفجور ، والجهل على هذا أسلم له ، وتقريبه مع هذا الوصف فيه هدم للدين أكثر " .[١]

تفسيره لمعنى العمل بالعلم :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : في بيان معنى قولهم : " العمل بالعلم : أي يعمل بما يقدر عليه منه ، ويتعلم منه ما يقدر عليه ، ويعلّم منه ما يمكنه ، وأما معرفة كل العلم ، والعمل بكل العلم ، فمن يَقْدر عليه ؟ ولكنه مع ذلك يعتقد أنه ما بلغ تمام العلم ، لا في العمل ، ولا في المعرفة ، ولا في التعليم "[٢] .

بيان ما يستخرج به العلم :

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " ولا يَستخرج العلمَ إلاَّ هِمَمُ الطالبين ، وما يستخرجه تقرير المعلمين "[٣] .

منهجيته في مطالعة الكتب :

وتكلم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عن مطالعة الكتب فقال : " لا ينبغي أن يُنظر فيها إلا لطلب الفائدة ، لا للَّهو والفضول ، بأن يريد أن يقف على كُنْه ذلك الكتاب ، من غير أن يقصد منه تحصيل فائدة ، لأن الفضول ما هو في الدين ، إلا إن كان كتاب أدب ، يريد يقف عليه للفرجة ، فلا بأس ، ككتاب ((الفرج بعد الشدة))

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٢٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢/ ٢٣٣ .

أو كتاب نحو أو لغة ، فكتب الأدب شيء ، وكتب علوم الدين شيء آخر، ولكن لو جَعَل المطالعة في كتب الأدب إعانة على معرفة العلوم الدينية فهو أحسن من ذلك ، فيرجع فضوله دينيّاً ، وذلك نادر ، أي كون الفضول يرجع دينيّاً ، وأما الدين فلا يرجع فضولاً ؛ إلا كان عند سفاسف الناس "(١) .

روايته لموقف يرغب في مطالعة الكتب :

وذكر – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " إن السيد أحمد بن الحسين العيدروس خطب ابنة عم له ، وهي رقية بنت عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس ، فأبى أبوها من زواجها فنذر لله إن تيسرت له أن يطالع كتاب ((الشفا)) كله في ليلة واحدة ، وهي ليلة زفافها ، والسراج في يدها ، ثم إنها تيسرت له ، فلما زفت إليه طرح السراج في يدها ، وجعل يطالعه من أوله حتى أتى عليه كله ، وهي ماسكة له السراج "(٢) .

ترغيبه في مطالعة الكتب :

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ولا نرى مع الجمعية أحسن من قراءة كتاب ؛ ليسلم الإنسان خصوصاً في هذا الزمان ، حيث لا يخلو كلامهم من كذب أو غيبة ، وهذه عادتنا من قديم كما قيل :

أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ ... وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٦٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٢٠٨ .

وقال في أواخر أيام حياته : " وإلى الآن نحب الكتب والمطالعة فيها ، مع إنّا على ذلك من حين كان سِنُّنا نحو خمس عشرة سنة ، حتى إنه يعجبني بعض الكتب التي لم أقف عليها ، أو وقفت عليها ونَسيْتها "(١) .

نموذج يبين حرصه على اقتناء الكتب النافعة :

قال الحساوي : " وهذا الكتاب « مجمع الأحباب » رآه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بلد تعز من اليمن ، سنة حج ، وكان ثلاثة أجزاء بخط واحد ، فلما رآه استحسنه ورغب فيه لكونه يستوفي التراجم كما ينبغي ، فتعلق خاطره به نفع الله به ، فقال : إن شاء الله إذا رجعنا من الحج نشتريه ، فلما رجع وجد أنه قد بيع منه جزء ، وبقي اثنان ، فاشتراهما وبقي الآخر في نفسه ، فقدر الله أن رآه بعض المسافرين من السادة إلى صنعاء فرغب أن يشتريه ويهديه لسيدنا ، ففعل فلما وصله رآه ثالث الثلاثة ، فحمد الله على ذلك "(٢) .

حرصه على كتبه المعارة :

" واستعار منه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بعض الناس الجزء الأول من كتاب « مجمع الأحباب » ، وكان ضنيناً به ، قَلَّ ما يعيره ، فلما أبطأ به ، سأل عنه مراراً ثم أمر أن يؤتى به من عنده ، فأتي به ، فجعل يقلبه بيده ، وأنا متعجب من شدة اعتنائه به ، فقال لي مكاشفة منه : أتحسب أنه لو تغير أنا نعاتب عليه ؟ ، لا ، ولكن هذا مِنَّا

---

(١) « تثبيت الفؤاد » : ٢/ ٢٩٤ ، و : ٢/ ٦ - ٧ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ٩١ .

حزم والحزم سوء الظن "[١] .

سعة اطلاعه على الكتب :

يقول الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " كان بيننا وبين السيد الجليل علي بن عمر بن الحسين بن الشيخ علي أخوة وممازجة واختلاط ومصاهرة. وكنا كثيراً ما نطالع الكتب النافعة، ونسردها ليلاً ونهاراً . وربما كان يقرأ لنا ونحن نسير في الطريق، وربما دخل علينا الليل ونحن في المطالعة "[٢] .

وكان يذكر اجتماعه الدائم مع السيد علي بن عبد الله بن أحمد العيدروس بمكانه في السبير بدمون على الكتب الفقهية ، و((الأربعين الأصل)) للإمام الغزالي ، وكتب مناقب السادة آل باعلوي كـ ((الفتوحات في الخرقة العيدروسية)) للسيد عبدالقادر بن شيخ العيدروس ، وكذا يطالع دواوينهم المنظومة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين[٣] .

ويقول – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " قرأنا في فروع الفقه جملة صالحة ، وأما علوم السِيَر والحديث فأمعنا فيه النظر جداً ، وأما علوم القوم فالعمر مضى كله فيها ، وأما علم الاسم فأُعطيناه موهبة من الله عز وجل "[٤] .

ويقول أيضاً : " مضى العمر كله في سماع كنز العلم وما زال تعطشنا إليها

---

(١) نفس المصدر ونفس الصفحات .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٤٢ .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحات .

(٤) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١١١ .

حتى كأنا لم نسمعها "[١] .

ويقول أيضاً : " ما نحسب كتاباً يوجد في حضرموت بأسرها إلا وقد طالعناه ، أو وقفنا عليه ، أو سمعنا منه ، أو سمعنا به "[٢] .

وقال العلامة أحمد بن زين الحبشي في ذلك أيضاً : " ما رأيت ، ولا سمعت بكتاب يوجد في أي فن من العلوم ، وعرضته ، أو ذكرته ؛ إلا وجدت سيدي قد رآه ، أو سمع به لشدة تفتيشه عن الكتب وتطلعه إليها "[٣] .

ويكفي أن نعلم أن العلامة أحمد بن زين الحبشي بمفرده لازم الإمام الحداد نحو أربعين عاماً يقرأ عليه من الكتب ما لا يحصى ولا يعد ولا يستقصى من كتب الحديث ، والسير ، والتفسير ، وكتب القوم ككتب الغزالي وغيره ، ولم يترك القراءة عليه حتى مات ، وهو يقرأ في ((موطأ الإمام مالك)) .[٤]

ويقول العلامة محمد بن زين بن سميط : " ومما اتفق لي أني كنت أقرأ على سيدنا وشيخنا عبد الله بن علوي الحداد في كتاب ((بهجة المحافل)) للإمام العامري ، وتوفي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وأنا في آخر الكتاب المذكور ، وكان آخر شيء قرأته عليه منه ولم أقرأ شيئاً بعده هذين البيتين لجلال الدين خطيب الدمشقي:

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١١١ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ١١٨ .

(٣) نفس المصدر : ١/ ١١٨ .

(٤) ((بهجة الزمان)) : صـ ٩٥ .

يا عين إن بعـد الحبيب وداره ونـأت منازلـه وشـط مزاره

فلك الهناء لقـد ظفرت بطائل إن لم تريـه فهـذه آثـاره[١]

ما ينبغي أن يتكلم فيه العلماء:

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ينبغي أن يدور كلام العالم بالله مع عامة المؤمنين، على ثلاثة أمور:

الأول : التذكير بالنعم .

والثاني : إلزام الطاعة .

والثالث : اجتناب المعصية .

فكل عالم أخذ يتكلم مع العامة بغير ما يدخل تحت هذه الثلاثة ؛ فهو فتَّان "[٢] .

حثه على القراءة المستمرة في كتب العلم:

قال للسيد علي زين العابدين العيدروس : " لأن مرادنا أن تكونوا على عادة سلفكم وأجدادكم ، من اعتياد القراءة والتَّصدي لها ، ولا تنقطع من بَيْتكم هذه العادة بالكلية ، وشغل الوقت بما هو الأحسن .

قال الأحسائي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أقول : " وقد كان سيدنا أمرني أن أطالع مع

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٦ .

(٢) ((حِكَم الإمام الحداد)) : صـ ١٧ .

السيد زين المذكور ، في « البخاري » و« الإحياء » ضحى يوم السبت ويوم الأربعاء في بيته فطالعنا مدة ، فلما حصل على سيدنا مرضه الذي في هذه السنة المذكورة تركنا المطالعة ، ثم لما خف عنه استأذنه السيد زين في العود إليها ، والابتداء من يوم الأربعاء المذكور ، واستمرت بنا المطالعة إلى قرب وفاته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ "[١] .

متى يكون العلم عليك ومتى يكون لك ؟

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " العلم عليك حتى تعمل به ، فإذا عملت به كان العلم لك ".[٢]

ضرورة اخذ العلم عن الرجال وعدم الاكتفاء بالكتب :

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " قد ضل أقوام بالكتب ، فلا يكون الرجال إلا بالرجال ، لا بالكتب ".[٣]

كتب قرئت على الإمام الحداد :

بالمطالعة لكتب هذا الإمام وما كتب عنه ؛ وقفت على بعض الكتب التي قرئت عليه في مختلف الفنون ، ومع هذا فهناك غيرها بلا شك مما لم يذكر ، وقد ذكرت النصوص السابقة سعة مكتبته ، وجاءت نصوص أخرى تشير إلى عظمة

---

(١) « تثبيت الفؤاد » : ٢ / ١ .

(٢) « الحكم » للإمام الحداد : صـ ٣٠ .

(٣) « تثبيت الفؤاد » : ١ / ٦٤ .

المكتبة الحدادية وسعتها وشمولها[١] ، واهتمامها بخزائنها وفهرستها وترتيبها[٢] ، وإتحافاً لأرباب التعطش والولع بهذه الشخصية العظيمة سأذكر ما وقفت عليه من الكتب التي قرئت على الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

١. «الإحياء» للإمام الغزالي .

٢. «منهاج الطالبين» في فقه الشافعية للإمام النووي.

٣. «صحيح البخاري» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

٤. «صحيح مسلم» لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

٥. «رياض الصالحين» للإمام النووي.

٦. «الأذكار» للإمام النووي.

٧. «شرح الحِكَم» لابن عباد.

٨. «تفسير البغوي» للمفسر الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي .

٩. «قوت القلوب» لأبي طالب المكي .

١٠. «حياة الحيوان» للدميري .

١١. قال: وقد قرئت علينا «رسالة القشيري» أكثر من عشرين مرة .

١٢. «الأربعين الأصل» للغزالي .

---

(١) لتقف على سعة الكتب الموجودة بالمكتبة تأمل «المواهب والمنن» : صـ ٦٣٨ - ٦٤٣ .

(٢) «غاية القصد والمراد» : صـ ١٩٩ .

١٣. ((الفصول العلمية)) له رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

١٤. ((بداية الهداية)) للغزالي.

١٥. ((الإرشاد)) في الفقه الشافعي لابن المقري اليمني.

١٦. ((حزب البر)) وشرحه .

١٧. ((عوارف المعارف)) للسهروردي .

١٨. ((الحديقة الأنيقة)) لبحرق.

١٩. ((منهاج العابدين)) للغزالي .

٢٠. ((الإرشاد والتطريز)) لليافعي .

٢١. ((رسالة المذاكرة)) له رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٢٢. ((ديوان ابن الفارض)) .

٢٣. ((فَتْح باب المواهب)) للشيخ أبوبكر بن سالم .

٢٤. ((موطأ الإمام مالك)) .

٢٥. ((شرح السنة)) للإمام البغوي .

٢٦. ((الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة)) للغزالي .

٢٧. ((التذكرة)) للقرطبي .

٢٨. ((شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور)) للسيوطي .

٢٩. كتاب ((البدور السافرة في أحوال الآخرة)) للحافظ السيوطي .

٣٠. « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » للسيوطي .

٣١. « النقاية » وشرحها للسيوطي .

٣٢. « موجبات الرحمة في اختلاف الأئمة » .

٣٣. « البحر المورود » للشعراني .

٣٤. « اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر » للشعراني .

٣٥. « تأسيس القواعد » لزورق .

٣٦. « المجموع » للإمام النووي .

٣٧. « سراج المريدين » لابن العربي .

٣٨. « فتح الباري » للحافظ ابن حجر .

٣٩. « شرح القسطلاني على صحيح البخاري » .

٤٠. « شرح المشكاة » للملا علي قاري .

٤١. « نشر المحاسن الغالية » لليافعي .

٤٢. « خطب ابن نباته » .

٤٣. « مرآة الجنان » لليافعي .

٤٤. « مجمع الأحباب » للواسطي .

٤٥. « التنوير في إسقاط التدبير » لابن عطاء الله السكندري .

٤٦. « الإرشاد في خرق الأدب المعتاد » لابن عربي .

٤٧. ((سنن الترمذي)) .

٤٨. ((الترغيب والترهيب)) للحافظ المنذري .

٤٩. ((الفتوحات في الخرقة العيدروسية)) للسيد عبد القادر بن شيخ العيدروس .

٥٠. ((الشفا)) للقاضي عياض .

٥١. ((البرقة المشيقة)) للشيخ علي .

٥٢. ((حديقة الأذهان في أحاديث الخلاف الحسان)) .

٥٣. ((الزواجر)) لا بن حجر الهيتمي .

٥٤. ((إيقاد المصابيح)) .

٥٥. ((الفوائد المكية)) .

٥٦. ((تفسير الإمام الرازي)) .

٥٧. ((الدر المنضود)) لابن حجر الهيتمي .

٥٨. ((بهجة المحافل)) للعامري .

٥٩. ((ديوان السودي)) .

٦٠. ((ديوان ابن علوان)) .

٦١. ((ديوان المتنبي)) .

٦٢. ((ديوان بامخرمة)) .

٦٣. ((ديوان البرعي)) .

٦٤. ((ديوان الإمام أبوبكر العدني)) .

٦٥. ((ديوان الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي)) .

٦٦. ((المواهب اللدنية)) في علم السيرة للإمام القسطلاني .

٦٧. ((معراج الهداية)) للشيخ علي بن أبي بكر السكران .

٦٨. ((مسند الفردوس)) للديلمي .

٦٩. ((شرح ابن علان على قصيدة ما لذة العيش)) .

٧٠. ((سنن ابن ماجه)) .

٧١. ((سنن النسائي المجتبى من السنن)) .

٧٢. ((سنن أبي داود)) .

٧٣. ((الإقناع على متن أبي شجاع)) في الفقه الشافعي للخطيب الشربيني .

٧٤. ((الوجيز)) للإمام الغزالي في الفقه الشافعي .

٧٥. ((التنبيه)) للإمام الشيرازي .

وبالجملة فالإمام الحداد إمام موسوعي عليه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أَلَـمَّ بجميع العلوم ، واعتلى في منصة الفهوم ، وأخذ بعد ذلك يقعد القواعد فيها ، ومما يؤكد ذلك صياغته لقاعدة تتضمن ضوابط سؤال العالم كيف تكون ؟ وفي أي الفنون يُسأل ؟ قال فيها - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " لا تسأل الإنسان إلا عن العلم الذي تفرّغ له ، وإلا فلا شك أن الفقيه يَغْلط في النحو وبالعكس ، ويَنْبغي أن يُحْكِمَ العلم الذي

تفرغ له ، ويتطرف في بقية العلوم ، فالإمام الشافعي مثلاً عالم بالحديث ، ولكن ما نَزّلوه فيه ، كابن شهاب ، ولا ابن شهاب في الفقه كالشّافعي ، ولا هما في السِّير كابن إسحاق "[1] . وهذه القاعدة على وجازتها تبين عن سعته العلمية ، ودقة مداركه الضابطة لأطراف العلوم ، وما يطرأ عليها ، وهذه صفات العالم الراسخ .



(١) «تثبيت الفؤاد» : ٢/ ١٠ .

فصل في

ضوابط السؤال وأنواعه وأوقاته

أعلم أن السؤال في مواضع الحاجة ، وفي مواطن الإشكال ولطلب المزيد من العلم والاستبصار، مما جرت عليه عادة الأخيار في الأعصار والأمصار، وهو أعني السؤال ، واجب عن العلم الواجب ، وفضل عن العلم الذي هو فضيلة ، والسؤال مفتاح يتوصل به إلى ما في الصدور والقلوب ، من معاني العلوم وأسرار الغيوب .

فكما أنه لا يوصل إلى ما في البيوت من الأمتعة والنفائس إلا بالمفاتيح المتخذة من الحديد والخشب ، كذلك لا يوصل إلى ما عند العلماء والعارفين ، من العلوم والمعارف ، إلا بالأسئلة المتخذة من طلب الاستفادة ، مقرونة بالصدق والرغبة وحسن الأدب .

وقد ورد الشرع بالأمر بالسؤال ، وورد الحث عليه ، والترغيب فيه ، قال الله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] .

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : ((**حسن السؤال نصف العلم**))[١] وكل من أخبر من الأئمة عن سعة علمه ، فقصده بذلك أن يعرف به فيسأل عنه ، ويطلب منه ، وقد روي ذلك عن علي كرم الله وجهه ، وعن ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة ، وغيرهم من السلف والخلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ .

وقد حرض جماعة من العلماء الناس على السؤال منهم ، كعروة بن الزبير والحسن البصري وقتادة .

وكان سفيان الثوري ، يبادر بالرحيل من كل بلدة دخلها ، ولم يسأله أحد من أهلها عن شيء من العلم ، ويقول : هذا بلد يموت فيه العلم .

وكان الشبلي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - إذا جلس في حلقته ولم يسأله أحد ، يتلوا عليهم قوله تعالى : ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [النمل: ٨٥] .

وربما يسأل العالم جلساءه ، ليفيدهم وليعرف به ما عندهم من العلم كما ورد في الحديث الصحيح : أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، كان في جماعة من أصحابه فسألهم عن شجرة لا يسقط ورقها ، وهي شبيهة بالمؤمن، فلم يعرفها الحاضرون، حتى أخبرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنها النخلة ، وكان فيهم ابن عمر ، وكان قد عرفها فلم يتكلم ، فلما أخبر أباه بذلك ، لامه على سكوته[٢] .

(١) أخرجه القضاعي في ((مسند الشهاب)) : ١/ ٥٥ ؛ الحديث رقم (٣٣) وهو عند الديلمي عن ابن عمر كما في ((المقاصد الحسنة)) للسخاوي و((كشف الخفاء)) للعجلوني .

(٢) الحديث متفق عليه ولفظه عند البخاري من حديث ابْنِ عُمَرَ ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قال : قال رسول الله =

وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسأل جلساءه كثيرا ، وكان إذا سأل أحدا عن شيء فقال : الله أعلم ، يغضب ويقول له : لم أسألك عن علم الله ، وإنما أسألك عن علمك ، فقل : أعلم أو لا أعلم .

وقد يسأل العالم بعض الجلساء عما يعلمه ، ليفيد سائرهم ، نظير ذلك سؤال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام والإيمان والإحسان الحديث .

وقد يختص المفضول بعلم دون الفاضل ، لسر لطيف ، فيسأله أعني من هو أفضل منه عنه ، نظير ذلك : سؤال عمر لحذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، عن الفتن وأهل النفاق .

وقد يسأل العالم ، من هو مثله أو قريب منه ، عن شيء فهمه في كتاب الله ، أو في سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لينظر هل يوافقه على مثل رأيه ، ويقوى به ويعتضد ، وذلك كسؤال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جماعة من الصحابة، عن شيء فهمه في سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] فلم يوافقه على ما في

= صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ((**أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ولا تحت ورقها**)) فوقع في نفسي أنها النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر فلما لم يتكلما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : ((**هي النخلة**)) فلما خرجت مع أبي قلت يا أبتاه وقع في نفسي أنها النخلة ، قال : ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا ، قال : ما منعني إلا أني لم أرك ، ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت.

نفسه منهم سوى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، ومثل هذا كثير يقع للأكابر من المتقدمين والمتأخرين .

وأما سؤال عمر لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، فهو على قصد الاستفادة منه ، وذلك أن علياً خص بخصوصية لم يشاركه فيها أحد من الصحابة ، وهي أنه باب مدينة العلم التي هي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

وأما نهي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابه عن الإكثار من سؤاله ، فالنهي وإن كان عاما ، فإنه مخصوص بالسؤال عن الأحكام والحدود ، وأحوال الناس ، شفقة منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على أمته ، ورحمة بهم على أن يكلفوا شيئا يعجزون عن القيام به.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ** ﴾ [المائدة: ١٠١ - ١٠٢] .

وقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : ((**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**))[1] .

وفي الحديث الآخر: ((**إنما أهلك الذين من قبلكم ، كثرة مسائلهم واختلافهم**

---

(١) ((السنن الكبرى)) للبيهقي : ١٠/ ٢١ ؛ باب ما لم يذكر تحريمه ؛ الحديث رقم (١٩٧٢٥) .

على أنبيائهم))[١] .

وقد سأل رجل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن الحج : أهو واجب في كل عام ؟ فسكت عنه ، فلما أكثر عليه ، قال : في العمر مرة ، ولو قلت : نعم لوجبت وعجزتم ، وتحت هذه النكتة سر شريف ، لا يسمح بذكره في الكتب ، فأطلبه تحت أستار قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠] .

وينبغي للمريد إذا سأل شيخه ، وللمتعلم إذا سأل معلمه عن شيء أن لا يكون له قصد سوى الاستفادة ، وليحذر أن يكون قصده الامتحان والاختبار ، فيرجع بالحرمان والخسران .

وينبغي للشيخ والعالم إذا سأله مريده أو تلميذه عن شيء يضره علمه ، أو لا يبلغه بفهمه ، أن ينظر ، فإن عرف من حال السائل أنه إن أخبره بعدم أهليته لا ينكسر قلبه انكسارا يضره في دينه ، ولا تنفر نفسه نفرة يعرض به عن مطلوبه ، فليخبره ؛ وإلا فليتنزل له في جوابه إلى حد علمه وفهمه ، وإن عدل عن مقتضى السؤال ، ولا يقول كما قال بعض أهل الحقيقة :

علي نحت القوافي من معادنها ... وما عليه إذا لم تفهم البقر

فلهذا المقال حال ، وموطن يخصه ، والشيخ والعالم كالوالد الشفيق والقيم

---

(١) ((صحيح البخاري)) : ٩/ ٩٤ ؛ باب الاقتداء بسنن رسول الله الحديث رقم (٧٢٨٨) .

الرفيق ، يتكلم ويعامل بحسب المصلحة والمنفعة .

وللعارفين غلبات واستغراقات ، لا يمكنهم معها أن يستحضروا ما أشرنا إليه فلتسلم لهم أحوالهم ، فإنهم أجل من أن يعترض عليه ، أو ينسب الجهل والتجاهل إليهم ، وليس هذا محل بسط العذر للمحققين فيما أودعوه كتبهم ورسائلهم من الأسرار الربانية والحقائق الغيبية .

وقد يباح السؤال بقصد الامتحان في موضعين :

أحدهم : أن يرى العالم الناصح الشفيق إنسانا قد غلب عليه الإعجاب بنفسه ، حتى منعه من طلب العلم ، وطلب المزيد منه ، وعن الاعتراف بفضل أهل الفضل ؛ فله أن يسأله على قصد الامتحان والاختبار ، ليعرفه مقداره نصحا له وكون ذلك في خلوة أولى .

والثاني : أن يرى منافقا عليم اللسان ، يخشى منه أن يلبس على ضعفاء المؤمنين ، بإدخاله في الدين ما ليس منه ، فيسأله بمحضر منهم ممتحنا له ، ليبين لهم عواره وجهله ويقصد مع ذلك نصحه ، وتنبيهه على معائبه ، ويرجو رجوعه إلى الإنصاف والانقياد للحق ، وهذا الأمر هو الذي دعا العلماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى مناظرة أهل الابتداع والزيغ والتحريف.

وإذا سئل العالم عن علم يجب عليه تعليمه ، لم يسغ له السكوت لقوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : « **من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام**



من نار))[١] .

وينبغي لعلماء هذا الزمان ، أن لا يكتموا العلم حتى يأتيهم من يسألهم ، فإن أكثر الناس اليوم قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين ، وقلة الاحتفال بالعلم وبما ينفع في الآخرة ، حتى إنها ربما شابت لحية الإنسان ، وهو لا يعرف فروض الطهارة والصلاة ، ولا ما يتعين عليه علمه ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولسان أحوالهم تنادي عليه بالجهل ، وكفى بها سائلا للعلماء إن كانوا يعقلون .

فليستكثر الإنسان من السؤال عن العلم ، لطلب الاستفادة والزيادة ، فإن المؤمن لا يشبع من خير، وفي الحديث : ((**منهومان لا يشبعان منهوم العلم ، ومنهوم المال**))[٢] .

والدليل لما ذكرنا في شأن المريد ، ما بلغنا عن داود الطائي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : أنه لما عزم على الانقطاع إلى الله ، بدأ بمجالسة أهل العلم ، فجالس الإمام أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قريبا من سنة ، قال : وقد تقع له المسألة ، وهو أشوق إلى العلم بها من العطشان إلى الماء البارد فلا يسأل عنها ، وذلك لما ذكرناه من أنه لا ينبغي للمريد أن يسأل إلا عما هو ضرورة في حقه [٣].

---

(١) أخرجه أبو داود : ٣/ ٣٢١ في باب النهي عن منع العلم ؛ الحديث رقم (٣٦٥٨) .

(٢) أخرجه الدارمي في باب فضل العلم والعالم : ١/ ٣٥٥ ؛ الحديث رقم (٣٤٣) .

(٣) ((إتحاف السائل)) : ١١ – ١٨ .

فصل يضم
منهجيته في التعامل مع كتاب الله تعالى

يرى الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أن القرآن الكريم أساس العلوم ، وأن جميع العلوم فيه مودعة صراحة أو استنباطاً ، وقد صرح بذلك في قوله : " واعلم : أن القرآن هو البحر المحيط ، ومنه تستخرج جواهر العلوم ونفائس الفهوم ، ومن فتح له طريق الفهم فيه من المؤمنين ؛ دام فتحه ، وتم نوره ، واتسع علمه ، وصار لا يمل من قراءته ليلاً ولا نهاراً ، لأنه قد وجد فيه مقصوده ، وظفر منه بمطلوبه ، وهذه صفة المريد الصادق "[١] ، وقال في عبارة أخرى : " وأصول الأحكام وأصول الدين كلها في القرآن ، ولكن لمن يعرف "[٢]. وقال عن هذه الحقيقة التي ذهب إليها في قالب الشعر[٣] :

أَلاَ إِنَّــهُ البَحْرُ الُمحِيــطُ وَغَيْرُهُ ... مِنَ الْكُتْبِ انَهْارٌ تُمَــدُّ مِنَ الْبَحْرِ

وكان عليه الرحمة والرضوان يرى أن أعلى الفهم هو الفهم في كتاب الله تعالى ،

---

(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٤٦ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٨ .

(٣) ((الدر المنظوم)) : صـ ٩٩ .

وأن المغبون الخاسر من خرج من الدنيا ولم يرزق حسن الفهم في كتاب الله تعالى ، وقد عبر عن هذه الحقيقة بقوله : " إنه غبن فاحش أن يموت الإنسان وما عرف شيئاً من أسراره وعجائبه ، وهذه الأشياء إنما تحصل لأقوام قد أعطاهم الله في أصل الفطرة قريحة وقَّادة ، وعقلاً صافياً ، ثم إنهم أزالوا كدورات العقل باختيارهم "[1] .

أما أهم كتب التفسير التي اطلع عليها وتدارسها مع تلاميذه فمنها :

١. تفسير الإمام البغوي (ت ٥١٠هـ) المعروف بـ ((معالم التنزيل)) ومن حبه له قال : " تفسير البغوي أحسن التفاسير ، ولكن لا تحسن مطالعته إلا لذي علم ، أو بحضرة عالم ؛ لأن فيه أشياء مشكلة ويحتوي على سبعة علوم "[2] ، ومن اهتمامه به ظهور مختصراً له على يد تلميذه النابه أحمد بن زين الحبشي .

٢. تفسير الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) المسمى ((بمفاتيح الغيب)) ، فقد وردت نقولات عنه في كتاب ((تثبيت الفؤاد)) ، وقد تدارسه أولاده وأحفاده من بعده تأثراً بالإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –[3] .

أقول : ومما يؤكد اطلاعه على تفسير الإمام الرازي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – قوله : " وقد استدل بعضهم بقوله تعالى : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٣٦ .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ٢/ ١٧٥ .

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٦١ ، و((المواهب والمنن)) : صـ ٧٥٢ .

إن الجن مؤمنوهم يدخلون الجنة "[١] وهذا قول الرازي في «تفسيره»[٢] .

٣. تفسير الإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ) المعروف بـ «الدر المنثور» كان له به اهتمام ، وتدارسه مع تلاميذه [٣].

ولا شك أنه طالع تفاسير أخرى غيرها كما يستفاد من نصوص كتاب «المواهب والمنن» ، وبهذا الإطلاع الواسع تعرف على طرق التفسير ، ومناهج المفسرين ، وأساليبهم ، وسرت فيه ملكة هذا الفن ، بالإضافة إلى ما علمه الله وفتح به عليه ، ولهذا نجده يقول : " لو قبل مني أهل هذا الزمان العلم بإنصاف ؛ لصنفت كتباً كثيرة على معنى آية من كتاب الله ، إنها ترد على قلبي علوم لا أجد من يعيها "[٤] .

أما الكتب المتصلة بآداب التلاوة فقد طالع بتحقيق كتاب «التبيان في آدب تلاوة القرآن» للإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وكان دائم الاغتباط بكتابه هذا حتى قال فيه : " كتاب «التبيان» للنووي من أمثل كتبه وأجملها وأنفعها "[٥] .

---

(١) «تثبيت الفؤاد» : ٢/ ١٨٣ ، و«المواهب والمنن» : صـ ٧٥٢ .

(٢) «تفسير الرازي» : ٢٩/ ١١٤ .

(٣) «تثبيت الفؤاد» : ٢/ ١٨٣ .

(٤) «غاية القصد والمراد» : ١/ ١١١ .

(٥) «غاية القصد والمراد» : ٢/ ١٧٧ .

وهنا سأذكر فقرات من كلامه حول القرآن وعلومه ؛ مع ذكر نماذج من تفسيره وبالله التوفيق .

دعوته إلى المحافظة على تلاوة الكتاب العزيز :

وينبغي أن يكون لك ورد من تلاوة الكتاب العزيز تداوم على قراءته في كل يوم وليلة ، وأدنى ذلك أن تقتصر على جزء فيكون لك في كل شهر ختمة وأعلى ذلك أن تختم في كل ثلاثة أيام .

(واعلم) أن لقراءة القرآن فضلاً عظيماً ، وأثراً في تنوير القلب كبيراً ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : ((**أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن**))[١] ، وقال علي - كرم الله وجهه - : " من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو قاعد في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه وهو خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون ، حسنة، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات "[٢].

(وإياك) أن يكون همك في تلاوتك مقصوراً على الإكثار منها دون تدبر وترتيل .

---

(١) أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والحكيم الترمذي في ((نوادر الأصول)) من حديث عبادة بن الصامت ، والقضاعي في ((مسنده)) ، والسجزي في ((الإبانة)) ، والديلمي في ((مسند الفردوس)) .

(٢) ذكر الإمام الغزالي في ((الإحياء)) أنه من قول سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأخرج أبو تمام في ((فوائده)) نحوه من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٣٠١) ، والديلمي في ((مسند الفردوس)) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(وعليك) – إذا تلوت – بالتدبر والفهم ، واستعن على ذلك بالترتيل والترسل وأحضر في قلبك عظمة المتكلم سبحانه ، وأنك بين يديه تقرأ عليه كتابه الذي أمرك فيه ونهاك ووعظك ووصاك ، وكن عند قراءة آيات التوحيد والتمجيد ممتلئاً بالإجلال والتعظيم ، وعند قراءة آيات الوعد والوعيد ممتلئاً بالرغب والرهب ، وعند قراءة آيات الأوامر والزواجر شاكراً معترفاً بالتقصير ؛ أو مستغفراً عازماً على التشمير.

(واعلم) أن القرآن هو البحر المحيط ، ومنه تستخرج جواهر العلوم ونفائس الفهوم ، ومن فتح له طريق الفهم فيه من المؤمنين دام فتحه وتم نوره واتسع علمه وصار لا يمل من قراءته ليلاً ولا نهاراً ؛ لأنه قد وجد فيه مقصوده وظفر منه بمطلوبه وهذه صفة المريد الصادق .

قال الشيخ أبو مدين – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – : " لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد "[١] .

استحسانة قراءة القرآن من المصحف حتى في الصلاة :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " احرصوا على أن تؤدوا القرآن كما أنزل واحذروا نقصانه ، أو زيادته ، أو إبداله بآخر ، ونحو ذلك ، وأنا أكثر ما يشتبه عليَّ الواو بالفاء في بعض الكلمات ، ولو كنت ممن يقرأ في المصْحف لما قرأت إلا فيه ، ولو

---

(١) ((رسالة المعونة)) : صـ ٤٦ .

كنت في الصَّلاة ؛ لأنه إذا كان قد اختلف في رواية الحديث أو قال قراءة الحديث بالمعنى ، حتى يأتي به بلفظه ، فكيف بالقرآن "[١] .

كلامه عن عزة القرآن وسبب الملالة من تلاوته :

وقال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : " القرآن كلام الله ، سماه عزيزاً لعزة قدره ؛ لأنه نزل من عزيز على عزيز ، ولا يستلذ قراءته إلا أهل البصيرة ، ومن في قلبه نور، ويستثقل منه الشياطين ، فمن يمل من قراءته فذلك في قلبه شياطين ، لولاهم ما كان منه ذلك ، إلا إن كان مع كثرة القراءة فإن البشر من طبعه الملل ، وقد قال الفضيل - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " لو كنت عرفت من القرآن أولاً ما عرفته منه الآن ، ما نقلت حديثاً " ، يعني لأن جميع العلوم تتفجر من القرآن ، فإذا أعطاه الله الفهم فيه ، فلا يحتاج إلى تحصيلها من غيره ، وقد أجملها فيه ، والعمدة على نور القلب "[٢].

نماذج من تفسيره :

النموذج الأول : قال في تفسير قوله تعالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان: ٤٤] ، دائرة العقل أوسع من دائرة السمع ، وقد ذمَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعدم العقل أبلغ مما ذم بعدم السمع ، فقال الله تعالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾[الفرقان: ٤٤] الآية ، فلو قال : ويعقلون لكان أهون ، فلما نفى عنهم العقل أيضاً ، مع نفي

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١٧ .

(٢) المصدر السابق : ١/ ١٢١ .

السمع كان ذلك في أقصى غاية من الذم "[١].

النموذج الثاني : قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " أمور الآخرة إنما هي على قدر المتكلم بها ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ، أي إنها عند اللهَّ تكون قريباً وإن بعدت "[٢] ، فبين الإمام الحداد في هذا النص أن مدلول القرب يختلف في المقام الإلهي عن المقام الإنساني ؛ ولهذا قال : إن أمور الآخرة تأتي على قدر المتكلم بها .

النموذج الثالث : وسأله بعض أصحابه : عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي ﴾ [طه: ١٢٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٦] فأجابه – نفع الله به – بقوله : اعلم أن للمفسرين في بعض معانيها اختلافا يكاد أن يكون لفظياً ونحن نذكر ما هو الأصح والأوضح إن شاء الله تعالى مع غاية الإيجاز .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي ﴾ [طه: ١٢٤] أي عن القرآن والهدى فلم يؤمن به ، وهذا حال من كفر وجحد ، فإن له معيشة ضنكا في الدنيا بالحرص الشديد عليها فلا يزال في ضنك ، وإن كان متسعاً في الصورة ؛ وإما بالقلة المصحوبة بضيق الصدر وعدم الصبر ، وفي البرزخ بما يصب عليه من أنواع عذاب القبر ، ومن ضيق اللحد ، وتعذيب الملائكة إياه وتسليط الحيوانات المؤذية ، إلى غير ذلك ، وفي الآخرة بأكل الضريع والزقوم وشرب الحميم

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق: ١/ ٨٥ .

والغساق ، خالداً مخلداً في النار نسأل الله العافية .

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] أي أعمى القلب والبصر ، وقال : ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٥] أنكر عمى البصر الحادث عليه ، وأما عمى القلب فإنه لم يزل فيه ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥] أي في الدنيا .

﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: ١٢٦] أي : أعرضت وتعاميت عنها ، ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦] أي: تترك في العمى وسوء الحال وأليم العذاب والنكال ، نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم على الإيمان ، ويعصمنا من الزيغ والضلال ، والحمد لله على كل حال "[١] .

النموذج الرابع : وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " أمور الدنيا كالبيوت ، لا يثبت بناء القصر إلا بعد إحكام الأساس ، كذلك الدين أساسه كلمة التوحيد ، والتصديق ، ثم الأحكام الواجبة ، ثم قراءة القرآن ، ثم ما يُندب بعد ذلك ، قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٩] إلى آخر الآية ، فالتأسيس بإثبات العقائد والنيات والصدق ، ثم البناء يتم لك بعد ذلك "[٢] فتأمل تفسيره التأسيس بكلمة التوحيد والصدق فيها .

---

(١) « النفائس العلوية » : صـ ١٢٦ .

(٢) « تثبيت الفؤاد » : ١/ ١٩٢ .

الخاتمة فيما ينبغي أن يكون عليه حافظ القرآن الكريم :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ولكن ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف للقرآن حقَّه ، وما يجب له من الاحترام والتعظيم ، وما يتعين عليه من الأخذ به والعمل بما فيه ، وما أرشد إليه من جميل الأوصاف ، وكريم الأخلاق وصالح الأعمال ، وهذا وإن كان مطلوباً من عامة المسلمين فهو على قارئ القرآن أوجب وآكد ، وهو به أجدر وأولى ، لفضله وفضل ما معه من كتاب الله وبيناته وحججه.

قال عمر – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – : " يا معشر القراء ، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق ، واستبقوا الخيرات " .

وقال عبد الله بن المسعود – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – : " ينبغي لصاحب القرآن أن يعرف بِلَيلِهِ إذِ الناسُ نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذِ الناس يفرحون، وببكائه إذِ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون " انتهى.

قال الإمام الحداد : " معنى كلام ابن مسعود هذا أنه ينبغي أن يتميَّز صاحب القرآن عن غيره من عامة الناس ، بزيادة التشمير في طاعة الله ، وكثرة المسارعة في الخيرات ، وشدة الاحتراز من الغفلة مع مجانبة اللهو وكمال الخشية ، والخوف من الله تعالى "[١] .

---

(١) ((النصائح الدينية)) : صـ ٢١٠ وما بعدها .

فصل في

منهجيته في علم الحديث

تضلع الإمام الحداد في علم السنة ، وقُرأت عليها الأمهات السبع كما سيأتي ، وألم بقواعد علم المصطلح ، ولذا نجده يقول : " ومن أعظم ما يهدى إلى الموتى بركة وأكثر نفعاً قراءة القرآن العظيم وإهداء ثوابه إليهم ، وقد أطبق على العمل بذلك المسلمون ، في الأعصار والأمصار ، وقال به الجماهير من العلماء والصالحين ، سلفاً وخلفاً ، ورويت فيه أحاديث غير أنها ضعيفة ، كما قال الحافظ السيوطي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ، والأحاديث الضعيفة يعمل بها في فضائل الأعمال ؛ وذلك منها أي من الفضائل "[١] .

فهو - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يفرق بين الضعيف والموضوع ، ويعلم متى يستشهد بالضعيف ومتى لا يستشهد به ، ويؤكد إلمامه بعلم مصطلح الحديث قوله : " إذا جاء حديث يُنظر أولاً في صحته ، فإذا صح نظر فيه العالم وتكلم وفصل فيه ما يحتاج فيه إلى التفصيل ، وإذا لم يصح لم يحكم فيه بشيء ؛ إلا إذا هو في الوعد ، فيبقى العبد على حسن الرجاء في الله تعالى "[٢] .

---

(١) ((سبيل الادكار)) : صـ ٧١ - ٧٢ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١٢٣ .

وقد اجتمعت عنده جملة صالحة من كتب الإمام السيوطي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - حتى أن بعض تلاميذه شغف بالإمام السيوطي ، واشتغل بتحصيل كتبه وتحقيقها وأدام النظر فيها ، والبحث في مضامينها ، حتى عرف بالمحدث ، وهو العلامة الفقيه علوي بن عبد الله باحسن جمل الليل ، وكان قد تولى القضاء ببندر الشحر ، في دولة السلطان المؤيد على بن بدر الكثيري[١] .

أما ((صحيح الإمام البخاري)) فقد أحبه جدا ، وخُتِمَ عليه مراراً ، وقد أعطى تلميذه الشيخ محمد عوض لعجم باذيب نسخته من ((صحيح البخاري)) ، ليجلدها في بعض البلدان البعيدة مع سفره إليها ، فلما عاد بها مجلدة كما طلبه منه ، فرح الإمام الحداد واغتبط بها ، وقال له : يامحمد ! يامحمد لو جئت لي بمركب شاحن من كل غالي ، ما فرحت به كمثل فرحي بـ ((البخاري)) .

قال العلامة أحمد بن عمر بن سميط معلقاً على هذا الكلام : " فانظر تعظيمه لحديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، ولا بعد كلام الله إلا كلام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، فأكثروا من كتب الحديث[٢] .

وكان في مرض موته - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - كثير اللهج بخاتمة ((صحيح البخاري)) :
((**كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان**

---

(١) ((بهجة الزمان)) : صـ ٢٢٠ .

(٢) ينظر : مقدمة ((مجموع كلام العلامة أحمد بن عمر بن سميط)) : صـ ٤٥ ، بيراع الدكتور محمد باذيب حفظه الله تعالى .

الله وبحمده ، سبحان الله العظيم)) . وكان في أيام صحته متعلقاً بـ ((صحيح البخاري)) فلايدع مدرسه يخلو من قراءته[١] .

وكان يقول : " أركان الدِّين عندنا وقواعده أربعة : ((البخاري)) في الحديث ، و((البَغَوي)) في التَّفسيْر ، وفي الفقه ((المنهاج)) ، ومن الكتب الجامعة ((إحياء علوم الدِّين)) ، هذه القواعد التي عليها البناء ، وطَالعنا كتباً كثيرة ، ولم نر أجمع منها "[٢] .

وقال في موطن آخر : " ولا عادنوصّي إلا بـ((الإحياء)) ، كما أوصى بها السلف ، وفي الفقه : ((المنهاج)) لأنه مُغَرْبَلْ ، وفي كل كتب الحديث خير ، ((البخاري)) أو ((مسلم)) أو ((رياض الصالحين)) ، أو ((الأذكار)) "[٣] .

وقال في مجلس آخر : " إنما الدينُ بعد كتاب الله الحديثُ ، إلا إنه قَلَّ من يحفظه اليوم إلا في جهات بعيدة "[٤] .

وتكلم عن احتياط المحدثين للسنة ، فقال : " الحسد لا يترك صاحبه يقرّ بالحق ، فمن في قلبه حسد ، إذا قلت كلمة وأنت فيها صادق ، قال لك : تكذب ، قبل أن يتعرف صدقك ، فلا يدعه دخان الحسد من التوقف حتى يتبين الأمر .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٣٤٤ .

(٢) نفس المصدر : ٢/ ٣٦ .

(٣) نفس المصدر : ١/ ١٦٣ .

(٤) نفس المصدر : ١/ ٢٣٧ .

وإجمال الأمور : إن كلما قَبِلَه الكتاب والسنة هو الحق ، وما لم يقبلاه هو الباطل ، وما المقلَّد إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وإنما اختلفت الطرق عنه من حيث الصحة والضعف من جهة الإسناد ، فإذا رأوا أحداً حدَّث بحديث مرتين واختلف لفظه فيهما ، أو رأوه ينشد شعراً خالياً ونحو ذلك ضَعَّفوه ، وتكلموا فيه[1] ، وقد قال بعض أهل الحديث : إنا لنتكلم على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة ، وهذا لأن المبتدعة قد فعلوا إسنادات ، بعضها على متن صحيح ، حتى يوصلوه إلى الإمام جعفر الصادق أو غيره من أهل البيت ، وبعضها على كذب على مقتضى أقوالهم ومذاهبهم الباطلة "[2] .

وبالنظر في الكتب المتصلة بتاريخ حياة الإمام الحداد - رَحِمَهُ اللَّهُ - وقفنا على اهتمامه ببعض شروح كتب السنة فمنها على سبيل المثال :

١. ((شرح الإمام القسطلاني على صحيح البخاري))[3] .

٢. ((شرح السنة)) للإمام البغوي .

٣. ((فتح الباري على صحيح البخاري)) أوقفه على مكتبته تلميذه العلامة عمر بن عبدالرحمن البار كما في ((المواهب والمنن)) .

---

(١) أي : علماء الجرح والتعديل .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٧٨ .

(٣) نفس المصدر : ١/ ٣١١ .

ولابد أن تكون هناك شروح أخرى تتصل بمتون الأمهات الست ، وبغيرها كشرحي ابن علان على « رياض الصالحين » و« الأذكار » للإمام النووي ؛ فقد اهتم بهما الإمام الحداد كمتون تقرأ في دروسه ومجالسه كلما ختمت أعيدت . وثبتت مطالعة تلاميذه لكتاب « مسند الفردوس » للديلمي "[١] .

وقد ظهر من أحفاد الإمام الحداد من لقب (بالمحدث) كمظهر من مظاهر اهتمام جده بالسنة ، وأطلق هذا الوصف العظيم على العلامة ابراهيم بن سالم بن الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – ، قال في كتاب « المواهب والمنن » : " كان رجلا جليلا محدثا ، يكاد يحفظ « البخاري » ، نفع الله به خلائق لا يحصون في الهند ببلد (سورت) وغيرها "[٢] .

وبعد كل ما أوردته فيما يتصل بتعلق الإمام الحداد بعلم الحديث ؛ سأسوق هذه الفقرات من كلامه المتصل بهذا العلم الشريف .

استحسانه لكتب الحديث أكثر من الفقه:

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " أكثرَ الناسُ من تصانيف الفقه ، والحديثُ أحسن "[٣] .

وصيته بمطالعة كتب الحديث :

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وعليك بالإكثار من قراءة كتب : الحديث ، والتفسير ،

(١) « المواهب والمنن » : صـ ٢٣٦ .

(٢) نفس المصدر : صـ ٤٣٨ .

(٣) « تثبيت الفؤاد » : ٢/ ٢٢ .

ومن مطالعة كتب القوم عامة ؛ فإن ذلك فتح عام وسلوك تام كما قال بعض العارفين "[١] .

اهتمامه بعلم الحديث وسعة فهمه فيه:

ومما يدل على اهتمامه بعلم الحديث وسعة فهمه فيه قوله في « رسالة المعاونة » : " واحذر أن تداوم في صلاتك على قراءة السور القصيرة كالكافرون والإخلاص والمعوذتين ، وإن كنت إماماً ، فالمصير إلى التخفيف المندوب إليه الإمام إلى حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو أنه أمَّ قوماً فأطال عليهم جدّاً فشكاه رجل منهم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، فقال له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : « **أفتان أنت يا معاذ اقرأ بسبح الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى** ». ومن نظر في كتب الأثر عرف ما قلناه، وقد روي أن آخر صلاة صلاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالناس صلاة المغرب قرأ فيها بـ ﴿ **وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا** ﴾ .. ﴿ **وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [النور: ٤٦] "[٢] .

تشبثه بهدي النبي وسنته:

قال الأحسائي : " ومن دقيق متابعته ، وغزير علمه ، وشدة اقتفائه واقتدائه لجده رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، أني كثيراً ما أسمعه إذا سلم من الركعتين الأولتين من الأربع قبل العصر ، يقول : السلام على ملائكة الله والمقربين ، وعلى

---

(١) « رسالة المعاونة » : صـ ٤٩ .

(٢) نفس المصدر : صـ ٩٧ .

أنبياء الله والمرسلين ، وعلينا وعلى عباد الله الصالحين ، فأردت أن أسأله عن أصل ذلك ، فما جسرت على سؤاله ، فمر علينا في الدرس بعد العصر ، في قراءة السيد الجليل عمر بن حامد في ((سنن أبي داؤد))[١] بإسناده إلى سيدنا علي كرم الله وجهه ، قال : كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يصلي قبل العصر أربعاً يفصل بينهما بالتسليم على الملائكة والمقربين ، وعلى الأنبياء والمرسلين ، وعلى عباد الله الصالحين "[٢] .

جمعه لكتب السنة وميله إليها:

وذكر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - علم الحديث وأكثَرَ فيه ، ثم قال : " ما جمعنا كتب الحديث إلا لأجل المهدي ، فإنه إذا خرج لا يأخذ بفتاوي[٣] الفقهاء ، بل إنما

(١) لم أجد هذا الحديث في ((سنن أبي داود)) ، ولكن وجدته عند غيره كأحمد في ((مسنده)) من طريق سيدنا علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والترمذي والنسائي من نفس الطريق فلعل القراءة كانت في ((سنن الترمذي))فنسي الشيخ فكتب ((سنن أبي داود)) ، ويؤيد هذا الاحتمال الذي ذهبت إليه ما ذكره الإمام الحداد نفسه من تعظيم الإمام الغزالي لـ ((جامع الترمذي)) وتعلقه به ، حتى روي عنه أنه قال : " من عنده ((جامع الترمذي)) ، فكأنما عنده نبي يتكلم " ، ومعلوم تقديم علماء حضرموت اختيارات الغزالي على غيره، والله أعلم .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٨ .

(٣) لعله كان يتوقع ظهور المهدي في زمانه لصلاحه البالغ مقارنة بغيره ، وتنكره لما يراه من فساد الزمان وأهله ، وقد حصل هذا لعلماء أكابر قبله من أهل السنة والجماعة ، ومن ذلك ما ساقه الإمام السيوطي الإمام الحافظ في ((الحاوي)) حيث قال : " جاءني رجل في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وهي سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، ومعه ورقة بخطه ذكر أنه نقلها من فتيا أفتى بها بعض أكابر العلماء أنه يقع في المائة العاشرة خروج المهدي والدجال ونزول عيسى وسائر الأشراط ، وينفخ في الصور النفخة =

يأخذ بالكتاب والسنة ، ويَدَع ما عداهما ، أما ترى الاختلاف الحاصل بينهم ، ولولا ما جرى عليه سلفنا من الأخذ بمذهب الشافعي ، كان أحببنا أن نأخذ بمذهب مالك ؛ لأن فيه مسائل إذا تأملتها رأيت أنها هي السنة ؛ لأنه عالم المدينة ، وعمدته ما أجمع عليه أهل المدينة ، ولكن الشافعي مالكي ؛ لأنه تلميذه أخذ عنه ، ولكن لما تأخر عن مالك ، وقد أتقن مذهب مالك ، وعثر على علوم وأحاديث أخرى لم يقف عليها مالك ، فخالفه في بعض المسائل ، ثم جاء بعده الإمام أحمد ، وتتبع مذهب الشافعي وحَرّره ، فكَانَ المذاهب الثلاثة لذلك مذهباً واحداً "[1] .

وسمع – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – في كتاب قرئ عليه فيه : إن اجتماع أهل المدينة على أمر : إنه سنة ، فقال نفع الله به : " أما قلنا لكم لولا أن سلفنا كانوا على مذهب الإمام الشافعي لأخذنا بمذهب مالك ؛ وذلك لأنه من أهل المدينة ، وأخذ بما اجتمع عليه أهل المدينة ، ولكنا نظرنا في ذلك فما رأينا بينهما كثير خلاف ، ومذهب الشافعي مذهب مالك . أقول : وهذا يدل على أن سيدنا كان مجتهداً لا مقلدا "[2] .

= الأولى ، وتمضي الأربعون سنة التي بين النفختين ، وينفخ نفخة البعث قبل تمام الألف ، فحرر رسالة في المهدي وأودعها كتابه ((الحاوي)) : ٢/ ٨١ .

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٧٥ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ٣٧٦ .

دعوته لملازمة السنة :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وأما ما سألت عنه من قول بعض العامة ، عند سماعة لقول المؤذن آخر الآذان : لا إله إلا الله ، فيقول السامع المجيب : نعم لا إله إلا الله ، وأنك استحسنت ذلك ، فهل ورد فيه شيء؟

فاعلم أنّا لم نسمع فيه من حيث الوارد بذكر، واتباع السنة هو الأحسن والأفضل ، والعادات وإن استحسنت فلا عمل عليها مع خلافها للواردات من السنة "[1] .

إهتمامه بالكتب الحديثية السبعة :

ومن اهتمامه بالكتب الحديثية السبعة التي هي أوسع وأدق دواوين السنة ؛ أن قرأت عليه مرارا في دروسه ، ولهذا ختم بها كتابه « الدعوة التامة » وأشار إلى أن هذه الكتب مما جمعت عنده بمكتبته الخاصة مغتبطاً بذلك ، وإليك نصه ، قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وَلنَخْتِم هذهِ الخَاتمَةُ المُباركَة بالأحاديث التي خُتِمت بها الكُتُب السبعة ، التي هيَ أصُول الدِّين وَالإسلام ، وَأمّهات الشّريعة والأحكامِ ، تيمّنًا وَتبرّكاً بحديث رَسُول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ – ، وَتفَاؤُلاً وتَرجّيًا مَن الله حسن الختام ، وَهِيَ :

كتاب « الموطأ » للإمام مالك بن أنس – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – ، وكتاب « الجامع الصحيح » للإمام محمد بن إسماعيل البخاري– رَحِمَهُ ٱللَّهُ – ، وكتاب « الجامع

(١) « النفائس العلوية » : صـ ٢٠٧ .

الصحيح » للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - .

وكتاب « السنن » للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ، وكتاب « الجامع » للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ، وكتاب « السنن » للإمام أبي عبد الرحمن أحمد ابن شعيب النسائي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ، وكتاب « السنن » للإمام محمد بن يزيد بن ماجه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - .

وقد اجتمعت هذه الكتب المعظمة عندنا والحمد لله ، وذلك من فضل الله ومَنِّه ، سبحانه لا نحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، غير أن الذي صار إلينا من « سنن النسائي » هو « المجتبى » من السنن الكبيرة له .

خاتمة كتاب « الموطأ » ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم عن أبيه جبير بن مطعم - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: أن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - قال: « **لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بِيَ الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قَدمي ، وأنا العاقب** »[1] .

خاتمة « صحيح البخاري » ؛ عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - : « **كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** »[2] .

---

(١) « موطأ الإمام مالك » باب أسماء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : ٥/ ١٤٦١ ؛ الحديث رقم (٣٦٧٦) .

(٢) « صحيح البخاري » باب فضل التسبيح : ٦/ ٢٧٤٩ ؛ الحديث رقم (٧١٢٤) .

خاتمة ((صحيح مسلم)) ، عن قيس بن عبادة ، قال : سمعت أبا ذر يُقسِم قَسَماً أن ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ** ﴾ [الحج: ١٩] ، أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة(١) .

خاتمة : ((سنن أبي داود)) ، عن وهب بن منبِّه ، عن أخيه ، عن معاوية - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - : ((**اشفعوا تؤجروا ، فإني لأريد الأمر أؤخره كيما تشفعوا فتؤجروا**))(٢) .

خاتمة ((جامع الترمذي)) ، عن المَقبُري ، عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - قال : ((**قد أذهب الله عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء : مؤمن تقي وفاجر شقي ، والناس بنو آدم وآدم من تراب**))(٣) هذا حديث حسن ، وعن المغيرة بن أبي قرة السدوسي قال : سمعت أنساً - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رجل : يا رسول الله أَعقِلها وأَتوَكَّل ، أو أُطْلِقُها وأتوكل ؟ قال : ((**اعْقِلها وتوكل**))(٤) .

خاتمة ((سنن النسائي)) ، عن الشعبي ، عن أم سلَمة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا - أن

---

(١) ((صحيح مسلم)) باب النهي عن المسألة : ٤/ ٢٣٢٣ ؛ الحديث رقم (٣٠٣٣) .

(٢) ((سنن أبي داود)) باب في الشفاعة : ٤/ ٣٣٤ ؛ الحديث رقم (٥١٣٢) .

(٣) ((سنن الترمذي)): ٥/ ٧٣٥ ؛ الحديث رقم (٣٩٥٦) .

(٤) ((سنن الترمذي)) : ٤/ ٦٦٨ ؛ الحديث رقم (٢٥١٧) .

النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ – كان إذا خرج من بيته قال : ((**باسمك ربي أعوذ بك أن أزِل أو أُزَل ، أو أَضِلّ أو أُضَلّ ، أو أظلِم أو أُظلَم ، أو أجهل أو يُجْهَل علي**))[1] .

خاتمة ((سنن ابن ماجه)) ، عن يزيد بن أبي مريم عن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ – قال : قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ – : ((**من سأل الله الجنة ثلاث مرات ، قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار ثلاث مرات ، قالت النار : اللهم أجره من النار**))[2] .

وعن أبي صالح عن أبي هريرة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال : قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ – : ((ما منكم من أحد إلاّ له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات الرجل ودخل النار ورث أهل الجنة منزله ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠]))[3] .

تمت خواتم هذه الكتب الشريفة من الأحاديث النبوية المنيفة ، وبتمامها يتم الكتاب ، والله الهادي إلى الحق والصواب ، ونسأله حسن الختام وحسن المآب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل

---

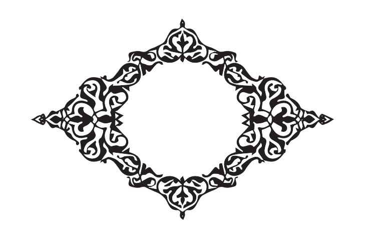
(١) ((سنن النسائي)) الاستعاذة من الضلال : ٨/ ٢٦٨ ؛ الحديث رقم (٥٤٨٦) .

(٢) ((سنن ابن ماجه)) باب صفة الجنة : ٢/ ١٤٥٣ ؛ الحديث رقم (٤٣٤٠) .

(٣) ((سنن ابن ماجه)) باب صفة الجنة : ٢/ ١٤٥٣ ؛ الحديث رقم (٤٣٤١) .

ربنا بالحق ، سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين "[١] .

وختاماً أقول : إن السنة هي مصدر التشريع الثاني ؛ والأصل الذي يلتزمه العلماء في استنباط العلوم بعد القرآن الكريم ، وكون الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - متمرسا فيها لا ينبغي أن يستريب فيه عاقل ، ومتتبع ذلك في مؤلفاته ومجموع كلامه يعي مصداقية ذلك ، حتى « ورده اللطيف » الذي يتحصن به الناس طليعة كل صباح ومساء ، المتضلع في علم السنة يلقاه مستخرج من أذكار السنة الموزعة في دووانيها المختلفة وأسفارها الكبيرة المتنوعة ، استخلصه الإمام الحداد ليعين به الناس على التحصن بالوارد مع حذف الأسانيد ؛ لأنه يخاطب العامة .. وقد عني بتخريجه عدد من العلماء فلم يجدوا به إلا أذكاراً نبوية صرفة .



(١) « الدعوة التامة » : صـ ٢٩٧ .

فصل يضم
مقتطفات من كلامه في العقيدة

الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أشعري العقيدة، خبير بهذا الفن، متحقق به، وتكلم في هذا الفن وأصوله وقواعده في بعض كتبه فقال: " لولا الحرص على الإيجاز لأمور يعلمها الله لأطنبنا في هذا الفن - يعني علم التوحيد - إطناباً يبهر العاقل اللبيب، والله على ما أقول رقيب "[1].

وقد جمع - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - معتقد أهل السنة والجماعة في كتابه المطبوع المتدوال « عقيدة أهل الإسلام »، وفيه حرر معتقد أهل السنة والجماعة، بعبارة جامعة سلسة واضحة، وقد شاع كتابه هذا في الأقطار، وكتب الله له القبول كبقية كتبه النافعة الأخرى.

وفي هذا الفصل سنورد نصوصاً من كلامه في هذا الفن، كدليل واضح على مسلكه في قضايا هذا العلم وتحقيقه لأصوله وفروعه، وتحققه به بحقيقة ويقين، لا بقول يفتقر إلى التحقق في واقع الأمر، وستتجه فقرات كلامه المنتخب

---

(١) « إتحاف السائل »: صـ ٢٦.

هذا إما : إلى إفادة الإلمام بقواعد هذا الفن ، أو إلى بيان موقفه من بعض قضاياه ومسائله ، أو الدلالة على أفضل طرق تحصيله .. فمن غرر أقواله في هذا الباب ما يلي :

بيانه لأصول الإعتقاد:

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وأصول الإعتقاد ثلاثة : التوحيد ، والنبوة ، واليوم الآخر "[١] .

وقال: " أمور العقيدة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : الإلهيات ، والنبويات ، وأمور الآخرة ، وللعلماء في كل قسم كلام ، وأضيقها مجالاً الإلهيات "[٢]. وفي هذه النصوص إلمامه بأقسام علم التوحيد ، وبيانه أعوصها وأضيقها مجالاً .

دعوته إلى التبحر في العلم بالله:

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " اطلعنا على جملة من العلوم من غير قَصْد منا لذلك، وينبغي أن يطلع على أوائل العلوم، ليحصّل من كل علم حظاً ، وأما التبحر فلا ينبغي إلاّ في العلم بالله وصفاته وملائكته واليوم الآخر "[٣] .

ضرورة تحصين المعتقد:

وقال : "ينبغي لكل مؤمن أن يحصن معتقده بحفظ عقيدة من عقائد الأئمة

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٥٧ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ١٢٣ .

(٣) نفس المصدر : ٢/ ١٩ .

المجمع على جلالتهم ورسوخهم في العلم ، ولا أحسب مبتغي ذلك يصادف عقيدة جامعة واضحة بعيدة عن الشُّبَه مثل عقيدة الإمام الغزالي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ؛ التي أوردها في الفصل الأول من كتاب قواعد العقائد من «الإحياء»، فعليك بها فإن تشوفت إلى مزيد فانظر في الرسالة القدسية التي أوردها في الفصل الثالث من الكتاب المذكور .

ولا تتوغل في علم الكلام ولا تكثر من الخوض فيه لمجرد طلب التحقيق في المعرفة فإنك لا تظفر بهذا المطلوب من هذا العلم ، ولكن إن أردت التحقق في المعرفة فعليك بسلوك طريقة وهي التزام التقوى ظاهراً وباطناً ، وتدبر الآيات والأخبار، والنظر في ملكوت السماوات والأرض على قصد الاعتبار، وتهذيب أخلاق النفس وتلطيف كثافاتها بحسن الرياضة، وتصقيل مرآة القلب بملازمة الذكر والفكر ، والإعراض عما يشغل عن التجرد لهذا الأمر . فهذا سبيل التحصيل إن سلكته عثرت - إن شاء الله تعالى - على المطلوب، وظفرت بالأمر المرغوب ، والصوفية إنما جاهدوا نفوسهم وبالغوا في رياضتها وقطعوها عن عاداتها ومألوفاتها لعلمهم بتوقف حصول كمال المعرفة على ذلك ، وعلى كمال المعرفة يتوقف التحقق بمقام العبودية الذي هو بغية العارفين وأمنية المحققين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين "[١] .

---

(١) «رسالة المعاونة» : صـ ٦٩ .

تصريحه بنسبته إلى الأشاعرة :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وعليك بتحسين معتقدك وإصلاحه وتقويمه على منهاج (الفرقة الناجية) وهي المعروفة بين سائر الفرق الإسلامية بأهل السنة والجماعة وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وأصحابه، وأنت إذا نظرت بفهم مستقيم عن قلب سليم في نصوص الكتاب والسنة المتضمنة لعلوم الإيمان، وطالعت سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين، علمت وتحققت أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية نسبة إلى الشيخ (أبي الحسن الأشعري) – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – فقد رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرر أدلتها، وهي العقيدة التي إجتمعت عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين، وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان و مكان وهي عقيدة جملة أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري في أول رسالته ،وهي بحمد الله عقيدتنا ، وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل أبي علوي "[١] .

وصيته بعقيدة الغزالي:

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " رأينا كثيراً من العقائد ، ولم نر لأهل هذا الزمان أنفع من عقيدة الإمام الغزالي للمُبْتدي منهم والمنتهي ، ولكن منتهيهم مبتدي "[٢] .

---

(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٦٧ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١١ .

أمور الآخرة لا يَسَع الإنسان فيها إلا التَّصديق والتسليم :

وقال- رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " أمور الآخرة لا يَسَع الإنسان فيها إلا التَّصديق والإجمال وعدم التأويل "[١] .

وقال : " وقد أجمع المحققون على أن الإحاطة بذات الله تعالى وصفاته غير ممكنة، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وقد شذ من قال من المنتمين إلى الطائفة ، بما يوهم حصولها ، ولا حاجة بتسمية القائل ، إذا قد علم فساد ما قاله ، وإنما كانت الأحاطة به سبحانه محالة ، لإستلزامها معنى من القهر والاستيلاء فإن المحيط بالشي ، من طريق العلم أو غيره ، مستولي عليه وقاهرله من كل الوجوه أو بعضها ، والحق تعالى هو القاهر الذي لا يقهر، فاعلم ذلك "[٢] .

خطر مطالعة المبتدي في مسائل الخلاف العقدية:

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " المبتدي الذي لم يتبحر في العلوم ، إذا نظر إلى الخلاف في العلوم ، تفرق قلبه وتشتت همه وفاته التحصيل، سيما في الإلهيات والنبوَّات ، وربما يقع في شبهة ، ولا معه من العلم ما يزيلها به ، وأما إذا تمكن في العلوم ، فلا بأس أن ينظر في الخلافيات ليعلم ذلك ، وذكر حجة الإسلام : إن العلم كالسلطان ، إما مَلَكَ وارتفع إلى أعلا المراتب ، وإما لم يتمكن من ذلك ورجع

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١١ .

(٢) ((إتحاف السائل)) : صـ ١٩ .

إلى أسفل المدينة ثم تمثل :

بِقَــدْر الصعود يكــون الهبوط　　فإيــاك والرتــب العاليــة"[١]

بيانه أن الأمور الإلهية لا تدرك بالعقل المجرد:

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " من يقرأ القرآن لا يمكنه أن يقول بالجهة ، فيفرق بين معراج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وكلامه تعالى لموسى من الشجرة ؛ لأن الأمور الإلهية لا يدركها أحد "[٢] .

وقال في موطن آخر من « **تثبيت الفؤاد** » : " إن الأمور الإلهية لا تُعقل ولا تكيف ، وأين الإسراء إلى فوق السبع السموات إلى العرش ، من سماع الخطاب من الشجرة في الأرض ، يعني في قصة الإسراء بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسمعه لكلام الله من قاب قوسين ، وتكليم الله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الشجرة وسماعه لذلك ، والمتكلم واحد ، والأماكن متباعدة غاية البعد ، ففي هذا دليل على أن الأمور الإلهية أمرها على غير ماتعرفه العقول ، وأنه لا يسع إلا الإيمان بها والتسليم ، والله أعلم "[٣] .

---

(١) « تثبيت الفؤاد » : ١/ ٣٥٧ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ١٧٩ .

(٣) نفس المصدر : ٢/ ١٩٨ – ١٩٩ .

كلامه في معنى نفي الحول والقوة:

وقال : " فمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله ، نفي الاستقلال ، والاستبداد بالقوة والحول مع الاعتراف بوجود القدرة والاختيار اللذين جعلهما للعبد ، فإن من زعم أنه ليس للعبد اختيار ولا اقتدار على شيء ، وأن أفعاله الاختيارية كالاضطرارية ، وأنه مجبور في كل حال ، فهو مبتدع جبري ، وقد أبطل بزعمه الفاسد فائدة إرسال الرسل ، وأنزال الكتب .

ومن زعم أن الإنسان يستقل بمشيئته وقدرته على أفعاله الاختيارية، فهو مبتدع معتزلي .

ومن اعتقد أن للإنسان المكلف قدرة واختيارا ، يقدر بهما على امتثال ما أمره الله به وعلى اجتناب ما نهاه عنه ، وأنه ليس مستقلا بذلك ولا خالقا له فقد أصاب السنة ودخل في الجماعة وسلم من البدعة ، ولهذا شرح طويل وهو سبيل وعر قد تخبط فيه وضل عنه خلق كثير ، وتحته سر القدر الذي حارت فيه الألباب ، وأمر بالإمساك عن الخوض فيه سيد المرسلين "[1] .

كلامه في نفي الجهة:

وقال : " من يقرأ القرآن لا يمكنه أن يقول بالجهة ، فيفرق بين معراج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، وكلامه تعالى لموسى من الشجرة ؛ لأن الأمور الإلهية

(١) ((إتحاف السائل)) : صـ ٤٤ وما بعدها .



لا يدركها أحد ، وما أوهم إشكالاً من كلام المحققين ، فلا ينبغي أن يسارع إلى الإنكار عليهم ، بل يَدَعُهُم ، ويسعهم الكتاب ، ويجعلها من قبيل المتشابهات الواردات في الكتاب والسنة "[١].

كلامه عن عقيدة الأشاعرة:

وقال مجيبا للعلامة أحمد الشجار: " وسألته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هل الاعتقاد الحق منحصر في عقيدة الأشعري ، وما خرج عنها فهو باطل ، فقال نفع الله به : عقيدته هي الحق ، وما خرج عنها فيه حق وباطل ، وإنما فاق غيره لكونه قال آمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، على مراد الله ، وفوض الأمر إلى الله "[٢].

قوله بإيمان المقلد :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " اعلم أن إيمان المقلد فيما نراه ونقوله إيمان صحيح لا يمترى في صحته محصل له علم ومعرفة بأول هذا الدين وابتداء ظهوره ، وما كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقبله من أجلاف العرب وسكان البوادي منهم وهذا أمر واضح جلي .

وعندنا أن من قرأ القرآن وفهم فيه ولو بعض فهم ، فهو من المؤمنين المستبصرين إذا أيقن وآمن بما فيه ؛ لأن القرآن متواتر على القطع ومعجز على القطع ، ولم يزل الحال كذلك من لدن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ١٧٩ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ١٩٨ .

هذا ، فكيف يكون مقلداً من كان إيمانه عن علم صح وثبت بالتواتر من غير نكير ولا منازع في ذلك ؛ بل يصح الإيمان مع الإستبصار بدون ذلك من العلم .

وأما ذكره السنوسي فحديث آخر ؛ والرجل من علماء الكلام والمتعصبين عليه ، وكل يؤخذ من كلامه ويترك غير رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما قالت الأئمة.

وإن أردت النظر في شيء من علوم الكلام ، فلا تَعْدُ كتاب قواعد العقائد وهو الثاني من كتاب « الإحياء » ، وعول على النظر منه في الفصل الأول ؛ وما ذكره في الفصل الثالث في « الرسالة القدسية » إن رأيت فيه مزيد طمأنينة وانشراح صدر إلا فدع النظر فيه ، وكرر النظر فيما سواه .

وعلم الكلام إنما هو دواء لأهل الشكوك ومن انقدحت في نفسه شبهة فيأخذ منه عل قدر دائه ، فإذا حصل الشفاء فليس للنظر فيه كثير فائدة ولا كثير منفعة "[1] .

كلامه حول ماوقع بين الصحابة:

وقال : " وينبغي للإنسان أن لا يتعمق في مطالعة الكتب التي فيها ذكر ماوقع لسيدنا علي من الحروب كالجمل وصفّين وغير ذلك ، لأنها توغر الصدور، ولا بد ما يمر عليه القليل منها في شيء من الكتب ، وإن بُلِي العالِم بذلك واحتاج

---

(١) « النفائس العلوية » : صـ ١٦٧ .

إلى النظر فيما ذكر، فليتوسط ولا يمعن، وإنما نظرنا فيه حين وصلت الزيدية إلى هذه الجهة ، وسألونا عن أشياء فأجبناهم عنها، وكان في السائل منهم إنصاف ، حتى إنه مال إلى ماقلناه ، وَوَدَّ الإقامة عندنا، وكان من الزِّيَدَية بمكان ، وكان متجرداً للأمر والنهي ، وقالوا لنا: لأي شيء قَدَّمْتُم عَلَى أبيكم علي بن أبي طالب غيرَه ، فقلنا لهم : هو الذي قدم غيره وفَضَّله على نفسه ، فقدمناه نحن أيضاً وفضلناه لتقديمه له وتفضيله إقتداء به ، فقالوا : إنما ذلك تقية ، فقلنا : إنا لسنا مثله في قوته وشجاعته وصولته ، فإذا فعل ذلك للتقية ، فمن أقوى منه أو مثله في الشجاعة والقوة ، فالتقية التي وسعته هو ، تسعنا نحن أيضاً "(١) .

كلامه حول الخلفاء الراشدين:

وقال : " خلافة الخلفاء بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، أما أبوبكر فبالإجماع عليه، وأما عمر فبالوصيّة من أبي بكر ، وأما عثمان فبالإجماع عليه ، بعد الشّورى ، وأما سَيدنا علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فبمبايعة أهل بدر والمهاجرين والأنصار ، وأما معاوية فبتسليم الحسن بن علي له ومبايعته ، وغيرهم إنما هو بالسَّيف والظلم والتَّعدي أي سوى عمر بن عبدالعزيز فإنه بالإجتماع عليه ، والمبايعة له ، ورجوعها إليه بعد من كان قبله من أهل بيته(٢) .

وذكر - رَحِمَهُ اللهُ - : " الخلفاء الراشدين وأثنى عليهم كثيراً، ثم قال : من

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢/ ٩١ .

تأمل أحوال الخلفاء ممن له فراسة ومعرفة تامة ، رأى طريقة أبي بكر وعثمان واحدة ، إذ يغلب عليهما الحياء والشفقة ، وطريقة سيدنا عمر وسيدنا علي واحدة ، وهما على الضد من ذلك ، القوة والشدة "[١] .

وقال في كتابه ((الدعوة التامة)) : " ومما ينبغي ويتأكد - كف اللسان عن كثرة الخوض فيما شجر بين أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بعده ووقع بينهم من الحروب والفتن . ومن أهول ذلك وأعظمه إشكالا، مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، ثم ما وقع بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبين طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يوم الجمل ، وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وبين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بصفين.

فليلتمس المؤمن الشفيق على دينه لأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في أمثال ذلك أحسن المخارج، ويحملهم فيه على أجمل المحامل اللائقة بفضلهم وجلالة أقدارهم ؛ فإنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عدول أخيار أمناء "[٢] .

كلامه في الرافضة:

وذكر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أهل الرفض فقال : " إنهم أهل باطل لا يُذكرون ولا يُعول عليهم في شيء ، وإن كان عندهم يسير من الحق فإنهم خلطوه في الباطل ،

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) ((الدعوة التامة)) : صـ ٢٢١ .

فلا يبقى له أثر ، كمن يجعل زباداً[١] في عَذِرَة ، وينبغي لصاحب الحق أن يتركهم ، وإن رأى عندهم شيئاً من الحق لا ينكره ، لئلا يتعللون ويحتجون عليه بإنكاره ذلك القليل من الحق ، فيستدلون بذلك على أن كل ما معهم حق ، وأنه أنكره .

وما اعتقدوا إن سيدنا علياً أولى بالخلافة ، فإنه لو ولي بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لما كان منه إلا مثل ما كان لما ولي في وقته ، ولكن سيدنا أبوبكر رضي به الناس ومنهم سيدنا علي ، لسابقته وحصوله مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الغار ، ولكونه صلى بالناس في حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو أوصى بها باجتهادٍ لعمر، وعمر جعلها في أهل الشورى ، الذين يجتمعون عليه من أحد ستة ، وهو أي سيدنا علي منهم ، ويكفيه فضيلة ما له من الفضائل والمزايا، وإن تأخرت خلافته فإن ذلك أيضاً زيادة في فضله ، فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إذا بعثه في سرية يقول : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ [الأنبياء: ٨٩] الآية .

وما ذكره الرافضة من ذمه بأنه سكت في بعض الأشياء تقية ، فليس سكوته فيها جبناً، وإنما هو للإبقاء على المسلمين ، وكراهة منه لشق العصا بين المسلمين ، وأكثَرَ نفع الله به في ذمهم والأباضة ، فقال : الأباضة والناصبة أبغض إلينا من الشيعة ؛ لأنهم يبغضون أهل البيت ، وقال بعض الشيعة من أهل المدينة لبعض السادة من آل أبي علوي : ما تقول في الشيعة والأباضة ؟ فقال : بعرة مقسومة نصفين .

---

(١) الزباد : نوع من أنواع الطيب .

ورأينا سنة حججنا رجلاً شريفاً رافضياً قائماً عند قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يصرخ ويقول : يا رسول الله ظلمونا وفعلوا بنا، ويتنصف كثيراً ، وإذا به على أمور قد سلفت منذ زمان بعيد ، كما فُعِلَ بسيدنا علي وابنه الحسين ، فعجبنا منه . ومن طبع الرافضة الجنون ، يدل عليه مثل قصة هذا الرجل ، حتى قال بعض العلماء : لو أن الرافضة كانوا طيوراً لكانوا رُخماً ، ولو كانوا دوابَّ لكانوا حميراً ، وتكلم في ذلك كثيراً .

أقول : رأيت في بعض التواريخ ، إن السفاح أول ملوك بني العباس ، أول ما تولى وقف في المشاهدة لزيارة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فسمع شريفاً شيعياً واقفاً تلقاءه ويقول : ظُلِمْنا بعدك ، وبُغِيَ علينا وأُخِذ حقنا ، فقال له السفاح : من الذي ظلمكم وبغا عليكم وأخذ مالكم ؟ فقال : أبوبكر أخذ سهمنا من خيبر وفَدَك ، فأدخله بيت المال ، قال : ومن ولي بعده ؟، قال : عمر ، قال : فما فعل به ؟ ، قال : فعل كفعل أبي بكر ، وتمادوا على ظلمنا ، قال : فمن ولي بعده ؟ ، قال : عثمان ، قال : فما فعل به ؟ ، قال : فعل كفعلهما ، وظلمونا ، قال : فمن ولي بعده ؟ ، قال : علي ، قال : فما فعل به ؟ ، فانخفض وعَرَف إنه إنما فعل مثلما فعلوا ، وانكسرت عينه وأراد أن يهرب ، فقال له السفاح : فوالله لولا إن هذا أول مقام قمته فيكم ، لأنكلن بك ، تزعم أي عدو الله إن أبابكر وعمر وعثمان ظلموكم ، وإنما فعلوا كما فعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وفَعَل علي ، قال سيدنا : وسبب تسميتهم بالرافضة : إن جماعة من أوائلهم أتوا إلى سيدنا زيد بن

علي ، أخي الباقر الذي تَزْعُم الزيدية إنه إمامهم ، وأخذ عنه أبو حنيفة فقالوا : يا زيد نكون عسكراً معك على من عاداك ، ولكن لا نتبعك إلا إن تتبرأ من أبي بكر وعمر ، فقال لهم : إنما أتبرأ ممن تبرأ منهما ، فقالوا : إذاً نرفضُك ، فقال : اذهبوا فأنتم الرافضة ، فسُمُّوا بذلك من حينئذٍ ، وسموا الزيدية بذلك لأنهم ثبتوا معه ، لا إنهم على مذهبه ، وقد كان من سابقي الرافضة رجل معه حماران ، سمى أحدهما أبابكر والآخر عمر ، فاتفق أن رمحه أحدهما رمحة شديدة مات منها ، فلما عَلِم بذلك بعضُ السلف لعله عبد الله بن المبارك ، فقال : انظروا أي الحمارين الذي رمحه ، ما يكون إلا الذي سماه عمر ، فنظروا فإذا هو الذي رمحه ؛ لأن طبع سيدنا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الشدة والقوة ، يعني في أمر الله ، فلذلك قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ : ((**أرحمُكم أبوبكر، وأشدكم في الله عمر ، وأصدقُكم حياءً عثمانُ ، وأقضاكم علي**)) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، انتهى ما تكلم به نفع الله به في هذا المجلس "[1] .

تفصيل واسع عن الخلاف الذي جرى بين الصحابة :

وسأله أحمد بن محمد الغشم الزيدي: عمن حارب عليا كرم الله وجهه ونازعه من المسلمين ؟

فأجابه – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – ونفعنا به بقوله : " اعلم أن الذين باشر علي – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – قتالهم بنفسه ، بعد أن خرجوا عليه ثلاث طوائف :

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢٢٦ .

الأولى : أهل الجمل ، الزبير وطلحة وعائشة – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين – وأهل البصرة خرجوا عليه بعد أن بايعوه يطلبون بدم عثمان – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ – ولم يكن – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ – قتله ولا أمر بقتله ولا رضيه ، ولكنه قبل البيعة من قتلته ولم يسلمهم ، لأمر رأى في صلاح الدين واجتماع المسلمين في ذلك الحين فلم يفطن له الخارجون عليه .

الثانية : أهل صفين معاوية وعمرو بن العاص وأهل الشام ، ولم يبايعوا عليا وخرجوا عليه يطلبون بدم عثمان .

الثالثة : أهل النهروان ، وهم الخوارج ، وقد بايعوه وقاتلوا معه ثم خرجوا عليه ينقمون تحكيم الحكمين يوم صفين ، وما قاتل علي – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ – أحداً من هذه الطوائف إلا بعد دعاهم إلى الإجتماع والألفة والدخول في الطاعة فأبوا .

وكلهم بغاة عندنا ومنازعون وخارجون بغير حق صريح وصواب واضح ، نعم من خرج منهم وله في خروجه شبهة فأمره أخف ممن خرج ينازعه في الأمر ويطلبه لنفسه ، والله أعلم بنياتهم وسرائرهم ، وسلامتنا في السكوت عنهم ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ** ﴾ [البقرة: ١٣٤] .

وقال علماؤنا في شأن الزبير ومن معه ومعاوية ومن معه : إنهم اجتهدوا فأخطأوا فلهم عذر ، وعلى كل حال فغاية من خرج على الإمام المرتضى من أهل التوحيد المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة أن يكون عاصياً والعاصي عندنا لا يجوز

لعنه بعينه .

وليس الخروج على الأئمة عندنا كفراً ؛ بل لا يجوز عندنا لعن أحد إلا إذا علمنا أنه مات كافراً ، وأن رحمة الله تعالى لا تناله بحال كإبليس ، ومع ذلك فلا فضيلة في لعن من هذا وصفه ، ويجوز عندنا لعن العاصين والفاسقين والظالمين عموماً .

وأما الحسن والحسين - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - فهما إماما حق قد استجمعت فيهما شرائط الإمامة وكملت أهليتهما لها .

فأما الحسن فبايعه أهل الحل والعقد ممن كان في طاعة الإمام علي وذلك بعد مقتله ، فلما سار إليه معاوية بجموع أهل الشام يقصد حربه ، وسار هو إليه بجموع أهل العراق فحين تقارب الفريقان ، نظر الحسن نظر الرحمة والشفقة على الأمة ليتم الله تعالى له ما قال جده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فيه: « **إن ابني هذا سيد ، وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** » الحديث.

فعند ذلك خلع نفسه وبايع لمعاوية على أن يكو له الأمر من بعده في شرائط اشترطها ، فمات - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قبل معاوية فجعل الأمر معاوية إلى ولده يزيد ، فبايعه الناس طوعاً وكرهاً ، وأبى الحسين - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن يبايع فعند ذلك كتب إليه أهل العراق أن يصير إليهم ليملكوه عليهم ، فأجابهم - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - إلى ذلك وسار يقصد العراق .

فكتب يزيد إلى عامله بها : عبيد الله بن زياد يحثه على حرب الحسين - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - والوقيعة به ، فقام بذلك ووافقه أهل العراق عليه بعد أن بايعوا الحسين ، ودخلوا في طاعته بزعمهم فقتل هنالك شهيداً في طائفة من أهل بيته رضوان الله عليهم .

والذي قتله والذي أمر بقتله والذي أعان على ذلك : عندنا من الفاسقين المارقين عاملهم الله بعدله أجمعين .

وليس يزيد عندنا بمنزلة معاوية ؛ فإن معاوية - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - صحابي ، وليس يترك الفرائض وينتهك المحارم مثل يزيد ، فيزيد فاسق بلا شك ؛ لأنه كان يترك الصلاة ويقتل النفس ويزني ويشرب الخمر ، وحسابه على الله تعالى "[1].

تعريفه لمفهوم اليقين:

قال - رَحِمَهُٱللَّهُ - : " واليقين عبارة عن قوة الإيمان وثباته ورسوخه حتى يصير كالطود الشامخ ، لا تزلزله الشكوك ، ولا تزعزعه الأوهام ، بل لا يبقى للشكوك والأوهام وجود البتة ، فإن جاءت من خارج لم تصغ إليها الأذن ولم يلتفت إليها القلب "[2] .

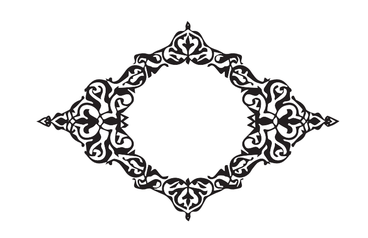
---

(١) ((النفائس العلوية)) : صـ ١٢٠ وما بعدها .

(٢) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٢١ .

تفسيره لغيرة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

تكلم - رَحِمَهُ اللَّهُ - عن رحلة المعراج النبوي ، وتردّد النبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرّات متعدّده في ساعة واحدة وهو في السّماء السادسة ، ويقول له في كل مَرّة : ارجع إلى ربك واسأله التَّخفيف ، مع أنه غار من كَثْرة من يدخل الجنة من أمة محمد ، فغَيرته لذلك ، لا لكونه فَضُل عليه ، وهذا عجب وإلا لكان قال : ارجع إلى أمتك بالخمسين الصلاة "[١] .



(١) «تثبيت الفؤاد» : ٢/ ١١٠ .

فصل يتضمن

بعض كلامه في علم الفقه تعلما وتعليما

الفقه عماد الدين ، وقانون الحياة ، والإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أدرك الفقه جيداً ، واستوعب مسائله وأبوابه ، وأصوله وفروعه ، وسأسوق في هذا الفصل فقرات من كلامه تتصل بعلم الفقه ، هي أشبه بقواعد تتصل بهذا الفن ، أو ملاحظات على رواده ، أو إفادات تعين على تيسير تحصيله وضبط مسائله .

وقبل ذلك سأورد نصوصاً تؤكد مكنته من هذا الفن ، وتمكنه من تدريس أشهر متونه ، فأقول وبالله التوفيق : " قال العلامة الحسن بن الإمام الحداد : ((كنت أقرأ على والدي بعد صلاة الظهر في كتب الفقه وحدي في الدار أنا وإياه ، قرأت كتباً عديدة منها ((المنهاج للنووي)) و((الوجيز)) للغزالي و((التنبيه)) لأبي إسحاق الشيرازي و((الإقناع)) للشربيني ، وغير ذلك .

وآخر ما قرأته عليه ((شرح المنهاج)) للمحلي[1] ، وكنت أطالع عليه وحدي كتبا كثيرة ، من شروح ((المنهاج)) وغيره ، فإذا قرأت على والدي - نفع

(١) وكانت للسيد الحسن حاشية واسعة على ((شرح المنهاج)) للمحلي جمعها من ثمانية عشر كتاباً . ينظر : ((المواهب والمنن)) : صـ ٣٨٧ .

الله به - أفادني فوائد كثيرة ، وبحوث غزيرة ، وقواعد ومسائل عجيبة غريبة ، لم أجدها في الكتب المذكورة ، وكان يخصه والده بهذا الدرس وحده "(١) .

وهذا النص الصريح يفيد مكنة الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في علم الفقه وإحاطته بأشهر متونه ، وتقريره لعويص مسائله ، مع استدراكات ولطائف إشارات ، كما يفيد تربيته لأولاده على تعظيم العلوم الفقهية ، واتقانها ، والتمرس فيها ، والفهم لدقائقها ، وفيه تأسيسه التصوف على بساط الشرع وعينه .

وكان العلامة أحمد بن عمر الهندوان يقول : " إن السيد عبد الله الحداد مجتهداً لا مقلداً " ، وكان يقول : " قولوا لأهل مكة : إن أردتم العلم فهلموا إلى السيد عبد الله "(٢) .

وحينما طالع مفتي الشام ومرجعها الأكبر في عصر الإمام الحداد كتاب ((النصائح الدينية)) ، سلم له بأنه أعلم أهل الأرض ، وأمر أهل الشام باستنساخ كتاب ((النصائح)) والإمعان في قراءته .

قال العلامة محمد بن زين بن سميط - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ناقلاً عن العلامة عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - قال : " حججت في سنة من السنين ، وحج في تلك السنة مفي الشام ، الذي إليه الرجوع في جهته ، فيخرج أهل مكة

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٦٨ .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ١١٦ .

في عراضه ، واجتمع الناس إليه بالحرم الشريف ، فجئت إليه في جملتهم ، فأول شيء سمعته منه ، أنه قال : ما على وجه الأرض اليوم أعلم من السيد عبد الله الحداد ؛ وله كتاب ((النصائح)) عظيم القدر ؛ وما من طالب علم في جهتنا إلا وقد حصل منه نسخة "[١] .

فلاحظ – يرحمك الله – أن شهرت هذا الإمام العلمية تعدت حضرموت واليمن والحرمين ؛ حتى وصلت الشام ، والمغرب ، ومصر ، وتنبكت ، والهند ، كما تلاحظه بالنظر في ثنايا (المكاتبات) و ((غاية القصد والمراد)) وفي ((تثبيت الفؤاد)) ، وسلم له أكابر أهل العلم في زمنه ، وقالوا بسعة علمه ، ودقيق فهمه ، ووفرة عقله ، وبهذا تدرك ألمعية هذا لإمام ، وأنه كان بحق مجدد قرنه ، وإمام عصره .

تعريف الفقيه عند الإمام الحداد:

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " الفقيه مَن فَهِم أسرار الدين ؛ والذي عِلْمه إلاّ أَيُّما أفضل ، أو كذا أفضل من كذا فما هو إلا موسوس "[٢] ، وقوله هذا يعني به : التفريق بين الفقيه الراسخ العالم بروح التشريع وأسراره وأصوله وقواعده ، وبين مجرد الناقل للفقه والغارق في تفاريعه ، مع جهله بالأصول والقواعد التي بنيت عليها الأحكام ؛ وجهله بالمصالح وأسرار التشريع ؛ فهذا ليس بالفقيه عند الإمام الحداد ، وإنما هو أقرب إلى الموسوس المتحير ، لعدم فهمه لقواعد

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ٢/ ٧ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٦٨ .

الأحكام ، وقد شرح هذا بقوله : " الفقه في الدين هو : الفهم في علومه وحكمه وأسراره ، حتى يكون العمل منه على الفهم والبصيرة "[١] .

طريقته في تعليم العلوم ومنها علم الفقه:

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " إنا لا نحبّ أن نحيّر الطالب ، بل نعطيه على قدره ، وترى أقواماً يطيلون على المبتدئين ، ويحيرونهم حتى يملوا ، ونحن قد طَالعنا كثيراً وقرأنا كثيراً ، ونسينا كثيراً ، ولكنا لم تَجْر المذاكرة في مسألة ما ؛ إلا ذكرنا لها شاهداً من القرآن والسُّنة "[٢] .

ماينبغي لطالب العلم تعلمه من المسائل والقواعد:

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ينبغي لمن طلب العلم أن يتعلم المسائل التي تقع غالباً ، فإن حصلت مسألة لا علم عنده فيها ، فيأخذها من الكتب إن أحسن أن يأخذها منها ، وإلا سأل عنها العلماء أهل الدين "[٣] .

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ينبغي أن يعرف الإنسان العلم وقواعده ، وبعد ذلك إن أراد الله له توفيقاً عمل بذلك وعلَّم ، وإن لم يرد له ذلك وأراد له الخذلان والعياذ بالله ، كان على الضد فلا يعمل ، ولا يعلِّم ، بل ولا يتحقق في معرفة العلم "[٤] .

---

(١) ((غاية القصد والمراد)) : ٢/ ١٠٧ .

(٢) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٦ – ٧ .

(٣) نفس المصدر : ١/ ١٢٥ .

(٤) نفس المصدر : ١/ ١٩٣ .

اهتمامه بضبط الأصول أولاً وتخريج الفروع عليها:

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " الرجوع في العلم إلى الأصول ، وجميع الفروع والنوادر ترجع إليها، والتصانيف على مقتضاها ، وإن اختلفت العبارات فهو قصد كل منهم ، ولهذا يقول بعضهم : يُفْهم من قول فلان كذا ، وتُحمل العبارة الفلانية على كذا ، ونحو ذلك ، وقد قررها المتقدمون كما ينبغي ، فأتى هؤلاء المتأخرون ، ورأوها محررة ، فأرادوا أن يضربوا بسهم معهم ، فألَّفوا وعَرَّضوا وطَوَّلوا ، منهم مَن قَارَب ومنهم من أبعد ، أو كما قال "(١) .

اهتمامه بعلم الأصول :

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – فيما يتعلق بماسبق : " كل علم له أصول ، إذا ضبطها تكاد تنضبط له الفروع ، ومن أراد أن يتبحر في فن فليأخذ بأصوله لتتبعها الفروع "(٢) .

عدم ميله للتفريع الفقهي الذي لا يرتكز على دليل:

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ونحن منذ طالعنا في العلوم ، ما أخذنا منها إلا كلّياتها وجُمَلَها ، والأصولَ التي يُعْتَمد عليها ، وأما الفروع النادرة التي لا يحتاج إليها ، ويرتبون عليها واجباً وحراماً من غير دليل ، لا يقبلها خاطري إلى الآن ، وخصوصاً الفقهيات ، كنت غير مائل خاطري إليها "(٣) .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٦٤ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ١٧٩ .

(٣) نفس المصدر : ١/ ٣٦٢ .

وقال : " فتفقه في كتاب الله واستخرج العلوم منه فإنها بجملتها مودعة فيه لا يشذ منها دقيق ولا جليل ولا جلي ولا خفي . قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] "[١] .

ومما يؤكد عدم ميوله إلى الفروع المتشددة قوله – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " نصلي خلف كل بر وفاجر ، كما في الحديث[٢] ، ولا نعيد ؛ لأن هذا تعنت وغلو في الدين ، وقد صلى الأئمة خلف الدّول الظالمين والمبتدعين ، كدول بني العباس وغيرهم ، وإذا صلينا جمعة لا نعيد ظهراً "[٣] .

موقفه من فروع الفقه النادرة:

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " تفاريع الفقه ما لها طرف ، حتى أهل الزمان لو أرادوا ذلك يمكنهم ، ولا حاجة فيها إلاّ إن كان لإشحاذ الذّهن كما ذكروا في الخنثى ،

(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ١٨٩ .

(٢) أخرجه البيهقي في ((سننه الكبرى)) برقم (٦٦٢٣) . قال الصنعاني في ((سبل السلام)) : ٢/ ٢٩ : " وأيّد ذلك فعل الصحابة فقد أخرج البخاري في التاريخ عن عبد الكريم أنه قال: (أدركت عشرة من أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يصلون خلف أئمة الجور). ويؤيده أيضاً حديث مسلم: ((**وكيف أنت إذا كان عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها ؟ قال : قلت: فما تأمرني ؟ قال: صل الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة**)) . فقد أذن بالصلاة خلفهم وجعلها نافلة لأنهم أخرجوها عن وقتها ، وظاهره أنهم لو صلوها في وقتها لكان مأموراً بصلاتها خلفهم فريضة .

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٣٠٤ .

فإنه أخذ نصف العلم في الوضوء ، والغسل ، والصلاة ، والمواريث ، وغير ذلك ولم يوجد ، ومن تأمل تصانيف المتأخرين ، رآها تقصر عن تصانيف السابقين ، لأنها أوضح ، ونياتهم أحسن من نياتهم ، إلاّ إن كان نَوَوا أن يكونوا منظومين في سلك من أحيا الشريعة ونصرها ، ولو سئل ابن حجر وغيره ماذا نووا في ذلك ، لا يقولون إلا كذلك إن شاء الله "[١] .

قلت: ولكي لا يظن الظان أو يتوهم من هذه الجمل انصراف الإمام الحداد عن علم الفقه والتوسع فيه نسوق قوله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فيما يدفع هذا الظن والتوهم ، قال - رَحِمَهُ اللَّهُ - كما في ((تثبيت الفؤاد)) : " التوسع في علم الفقه زيادة مليحة ، ولا تضر إلاَّ مَن قلبه مُظْلم ، وإلا فالعلم نور وحياة ، وقد ذكر الإمام الغزالي : إنه لم يختلف أحد في أن قوله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ ، أن المراد به العلم ، ولكن العلم يحتاج إلى نور: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾[الأنعام: ١٢٢] "[٢] .

وقال : أركان الدِّين عندنا وقواعده أربعة : ((البخاري)) في الحديث ، و((البَغَوي)) في التَّفسيْر ، وفي الفقه ((المنهاج)) ، ومن الكتب الجامعة ((إحياء علوم الدِّين))[٣] .

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ١٨ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ٣٦٠ .

(٣) نفس المصدر : ٢/ ٣٦ .

فا نظر جعله الركن في الفقه الشافعي كتاب « المنهاج » للإمام النووي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لا غيره تدرك إكباره للمذهب .

أما كلامه السابق فمتوجه إلى تفريعات مسائل المذاهب المفتقرة إلى دليل صريح ، أو الخارجة عن مقاصد الفقه إلى تفريعات لا طائل تحتها ، وهي ما سماه سابقا بالفروع النادرة التي لا يحتاج إليها ، ويرتبون عليها واجباً وحراماً من غير دليل .

يضاف إلى ذلك التزامه مذهب الإمام الشافعي في كلامه المتعلق بأحكام الفقه في جميع مؤلفاته ، وذكره لإسناده المتصل بمذهب الإمام الشافعي حيث قال : " حصل لنا من الفقيه محمد بن أبي بكر باجبير الإسناد في الفقه إلى ابن حجر على اثنين أبيه وأبي بكر بافقيه ، فأخذ عن أبيه عن بافقيه ، وهو أخذ الفقه عن ابن حجر ، قال : وكان ابن حجر يذكر مسائل من « الإحياء » فإذا ذكرها جاء بعبارة « الإحياء » كما هي حفظاً ، وكان يحفظ من « الإحياء » "(١).

ميله إلى أن العامي لا مذهب له:

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " أمران لا ينبغي أن يذكرا للعامة ، ولا يسمعونها : دقائق العقائد ، ودقائق الأحكام ، أو قال دقائق الصلاة ، فإنك لو تَتَبَعتهم فيها ، لما رأيت صلاتهم صحيحة على المَذْهب من إخراج الضَّاد وغير ذلك ، بل إذا حملهم مذهب فاتركهم على ما هم عليه ، وإلاَّ شددت عليهم ، ولا أمكنك أن

(١) « تثبيت الفؤاد » : ٢/ ٤ .

تحصّل منهم المطلوب ، وكذا في العقائد لا تذكر لهم شيئاً من الخفايا فيها ، بل ترى أحدهم يقول : الله مَعْنا ، الله ناظرٌ إلينا ، ونحو ذلك ، فاكتف منهم بذلك ، فإن أردتهم أن يكونوا معطِّلة محضاً فاذكر لهم شيئاً من أمر الجهة والجسمية ، ولذا يقال : العامي لا مذهب له ، لأنه يُحْمل على الأسهل ، ويقال : الصوفي أيضاً لا مذهب له ؛ لأنه يتتبع الأحوط من كل مَذْهب فيأخذ به ، وطَعَن بعضهم في قولِ : لا مذهب للعامي ، وهو غالط لا عِبْرة بقوله ، أو قال رُدَّ عليه "[١] .

اهتمامه بعلم الفلك :

وذكر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " بعض الأشياء من علم الفلك واختلاف الزمان على الإنسان ، واختلاف الأحوال عليه بسبب ذلك ، ومعرفة شهور الروم ، وما تدخل به من نجوم الشبامي ، وما يناسب في كل شهر منها من مأكول وغيره ، ثم قال : أردنا فلاناً يحفظ هذه الأشياء ، فما أمكنه ، والإنسان إذا حفظ في صغره ، يرجع ينتفع بمحفوظه في كبره ، سيما إذا صار له مظهر، وقد جعل الله للإنسان بداية ونهاية ووسطاً، فيحفظ الإنسان المهم ويذاكر بغيره .

وشدة البرد عندنا في ستة نجوم ، أولها الثريا وآخرها النثرة ، يَعني النجوم الشبامية ، وهي معروفة عندهم لغالب الناس حتى الفلاحين وكثير من الصغار

---

(١) وهو ما نص عليه الهروي من أصحاب الإمام الشافعي يقول في الأصول مذهب عامة أصحابنا أن العامي لا مذهب له. ينظر: « روضة الطالبين » للنووي : ١١/ ١٠١ ، وينظر نص الإمام الحداد في « تثبيت الفؤاد » : ٢/ ٣٨ .

والعوام "(١) .

كلامه فيما يتعلق بتحري دخول الشهر العربي:

قال الأحسائي: " ذكر سيدنا – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – : يوماً رؤية الهلال ، واختلافهم في رؤيته ، فقال : لما اختلفوا في أول الشهر ، اختلف عليهم آخرُه ، والأشياء لها أوائل ومقدمات ، تَحْتاج أن تضبط ، فإذا لم تضبط الأوائل ، لم تَنْضبِط لك الأواخر ، وهكذا في أمور الدين والدنيا "(٢) .

مسألة في الجاهل الذي يعذر بجهله:

قال – رَحِمَهُ اللَّهُ – : " ربما اجتنب بعضُ الجهال أهلَ العلم ومجالس العلماء ، خوفاً من أن يعرف ما يلزمه العمل به ، يظن أن في ذلك عذراً له ، وهيهات إنما ذلك يزيده تشديداً ومطالبة ، لأنه أعرض عن أحكام الله علماً وعملاً ، فهو أشد ، وغاية العذر في أشياء تكون لمن رُبي في البادية ، وفي بُعْدٍ عن أهل الإسلام ، ومن هو مسلم وآباؤه مسلمون ونشأ بين المسلمين أَنَّى له العذر "(٣) .

لا يكفي تلقي العلم بمتابعة العوام:

قال – رَحِمَهُ اللَّهُ – : " المحرمات والواجبات العينية معروفة بين المسلمين لا تكاد تخفى وإنما المهم معرفة الأحكام. نعم ولا يكفه إلا أن يتلقى جميع ذلك من

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٦٩ – ٢٧٠ .

(٢) نفس المصدر : ٢/ ١٥٣ .

(٣) نفس المصدر : ١/ ١٩٣ .

عالم يخشى الله ويدين بالحق. والعامة تخطئ وتصيب فإياك أن تفعل ما يفعلونه وتترك ما يتركونه اقتداء بهم، فإن الاقتداء لا يصح إلا بالعلماء العاملين، وقد عز اليوم عالم يعمل بعلمه. فإذا رأيت العالم في هذا الزمان يفعل شيئاً أو يتركه مما يجهل كونه حقاً أو باطلاً فلا تكتفي بمجرد رؤيته في الفعل أو الترك حتى تسأله عن وجه ذلك في الشرع وحكمه من الدين"(١) .

أخذ العلم من المتأهل:

وقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " يحتاج أن لا يأخذ الإنسان العلم إلا من المتأهل(٢) للتعليم ، ومن أخذ من غير متأهل ، له أن يعمل به في نفسه ، ولا يعلمه الناس ؛ لأنه يحتاج في تعليمه إلى قواعد، ولا يمكن إيرادها إلا بالتأهل ، ولا يتأهل له من لم يكن شيخه متأهلاً ، وإن تأهل لبعض العلم دون بعضٍ عَلَّمه "(٣).

قاعدة في كيفية التعامل مع الجاهل المحاجج:

وقال – رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ – : " إذا رأيت الجاهل يحتج لجهله فاتركه ، ولا تجادله ، إلاَّ بفعل إن قدرت عليه ، كما أنكر أقوام على الإمام الغزالي لما تصوَّف أرادوه يرجع إلى تَقْرير العلم الظَّاهر ، مع أن أكثر انتفاعهم فيها منه ، فتركهم وسكت عنهم "(٤) .

---

(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٧٤ .

(٢) المراد بالمتأهل هنا من شهد له الشيوخ : بجودة الفهم وإصابته ، وحسن التصور للمسائل ودقة المدرك ، وتحقيق الفروق ومعرفة الأصول والفروع ، وأجازوه في العلم والتعليم بعد تحققهم من إتقانه جميع ذلك.

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢٤٦ .

(٤) نفس المصدر : ٢/ ١٠ .

كلامه في ذم الوسوسة في الطهارة :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " إن الوسوسة في الطهارة والصلاة من عمل الشيطان ، يلبس بها على من قل علمه وضعف عقله ، كما قال بعض السلف: الوسوسة من جهل بالسنة أو خبال في العقل "(١) .

كلام نفيس عن قراءة المأموم الفاتحة خلف إمامه :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " ينبغي أن يقرأ المأموم الفاتحة بعد ما يؤمن على قراءة الفاتحة في الحال من غير تخلف ، فإن أتى بها تامة في سكتة الإمام فهو الأحسن ، وإن بقي منها قليل يتممها بعد ما يشرع – أي الإمام – في السورة ، ثم يستمع قراءة الإمام ولا يمططها حتى يبطئ ، ولا يمكنه سماع قراءة السورة فمن فعل ذلك فهو عامي مخالف ، وقد كنا أردنا أن نفعل نبذة في الصلاة للمصلين ، ولكن رأيناهم معرضين عن الصلاة فتركنا "(٢).

متى يصلي المعذور في ترك الجمعة ؟

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وذكرت : هل يجوز للمعذور بعذر سقط معه وجوب الجمعة أن يصلي الظهر قبل الفراغ منها ؟ فنعم يجوز له ذلك ، بل تستحب له المبادرة بالظهر أول الوقت إن كان لا يرجو زوال عذره ، وإلا استحب له التأخير إلى الفراغ ؛ لكن إن لم يقع بسببه في إخراج بعض الصلاة عن وقتها ، أو يقع في

---

(١) « النصائح الدينية » : صـ ١١٧ .

(٢) « تثبيت الفؤاد » : ١/ ٢٥٠ .

التجوز والاستيفاء في بعض أركانها ، وسننها .

وأما من وجبت عليه الجمعة فلا يصح إحرامه بالظهر حتى يسلم الإمام ؛ ولا يسقط الإثم بسبب التأخير ، فلذا تعين على كل مؤمن المحافظة على الجمعة بحسب الإمكان والطاقة ؛ فإنها من أعظم حرمات الله وشعائره التي تعظيمها من تقوى القلوب ، ولا يسع مسلماً تركها إلا لعذر ناجز، والله الرقيب على ما في القلوب ، وهو المطلع على خفيات الغيوب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل "(١).

تحريمه لتعاطي التمباك :

كان – عليه رحمة الله – يقول بحرمة تعاطي التبغ والتمباك ، وعلى هذا القول من علماء حضرموت : العلامة أحمد بن عمر الهندوان وألف في ذلك نبذاً ، وممن يقول بالتحريم ايضاً العلامة الحسن بن عبدالله بن علوي الحداد (٢).

ونص كلامه في هذه المسألة : " إنه إذا تعوده الإنسان صارت طبيعته عليه ، فيتغير طبعه وعقله ، والأصح أنه يَحرُم ؛ لأنه يزيل العقل ، وذكر أشياء من حكايات من خف عقله بسببه ، ثم قال : ومن لم يُحَرِّمه يقول : لأنه لم يرد فيه نص بالتحريم فإنه حادث ، ومثله الأفيون ، فمن تسبب في إتلاف عقله مختاراً ، فإنه تجري عليه أحكام التكليف ويخاطب بها ولا يعذر فيها ، سواء أزاله بخمر أو غيره ، ومن ادعى ممن يستعمل التنباك أنه لا يزيل عقله وطَلَب الجواز لذلك ،

---

(١) ((المكاتبات)) : ١/ ٢٠٥ .

(٢) ((المواهب والمنن)) : صـ ٢٣٢ ، و((المواهب والمنن)) : صـ ٣٣٨ .

فنقول : إنه من شأنه أنه يزيله ، وما ثبت مع تناوله له إلا بعد أن أزاله مراراً ، فلا يعذر فيه ، أو كما قال "[١] .

تحريمه للاحتكار:

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " الاحتكار سحت ، وقد وجدنا كثيراً من الناس فعلوا ذلك قاصدين الربح فأصبحوا فقراء لا يجدون كفاية ، إذ لا بركة في اغتنام الناس "[٢] ، أقول وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : ((**المحتكر ملعون**)) أخرجه الحاكم في ((المستدرك))[٣] .

إلمامه بالقواعد الفقهية :

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " إنّا لا نزال ندعو بنزول الغيث ، والقاعدة الفقهية تقول : إذا تعارض المقتضى والمانع غلب المانع على المقتضى ، ويشير إلى المقتضى بالدعاء ، وإلى المانع بالذنوب "[٤].

تقرير جميل عن حد الصبي المميز :

قال الشيخ الحساوي الشجار: " ذاكرته في شأن الصغير إذا ميز بأن يحسن يأكل ويستنجي ويتوضأ وحده ؛ فيؤمر بالصلاة لسبع والصوم إن طاقه ، قلت : فالعمدة في ذلك بالتمييز أو بالسن - أي بلوغ السبع - ؟ قال : بهما جميعاً ،

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢١٨ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ١٢٧ .

(٣) ((المستدرك على الصحيحين)) للحاكم : ٢/ ١٤ ؛ الحديث رقم (٢١٦٤) .

(٤) ((غاية القصد والمراد)) : ١/ ٤٥٢ .

قلت : فلو ميز قبل السبع ، أيؤمر؟ قال : لا ؛ لأنه لا يوثق بتمييزه قبل السبع ، ومن كلف الصغير أن يصلي ويصوم كما يصلي ويصوم الكبير فقد بالغ وتنطع ، وللأمور أوائل وأواخر ووسط ، فكل من عمل في أوائلها كما يفعل في أواخرها فهو المتنطع(١) .

قوله بجواز الاعتماد على الأقوال المرجوحة في حالاتٍ :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " الاعتماد على بعض الأقوال المرجوحة عند الابتلاء مع العامة لا بأس به لولاة الأحكام المتقلدين لأمور الناس، وليس لأهل الورع إلا من حيث الاعتقاد "(٢).

دعوته للتسمية عند الذبح خروجاً من الخلاف :

قال العلامة أحمد الشجار : " ومر في القراءة في ((تفسير البغوي)) ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنعام: ١٢١] فقال : ينبغي أن يرشد العامي إلى التسمية عند الذبح ، لما في القرآن وللخلاف في ذلك ؛ لأن أحوالهم الغفلة ... "(٣).

كراهته لذكر الله في الجوابي :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " والذي نقول به : أنه لا ينبغي ذكر الله في الجوابي ،

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٥١ – ٥٢ .

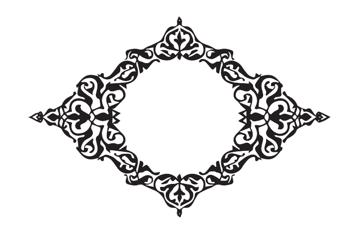
(٢) ((مكاتبات الإمام الحداد)) : ٢/ ٤٤٠ .

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ٢/ ٢٩٩ .

ولا جواب المؤذن فيها لما فيها من القذر ، ونكره ذلك فيها ، ولكن إذا خرج منها ينبغي أن يأتي بأذكار الوضوء ، وجواب المؤذن على وجهه يقضيه بعد ما يخرج من الجابية "[١] .

وبقي معنا في خاتمة هذا الفصل إشكال يقول : لماذا لم يخصص الإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مؤلفاً خاصاً بعلم الفقه ؟ فنقول قد أجاب عن هذا الإشكال الإمام الحداد بنفسه حيث قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " تركنا الكلام في علوم الأحكام الفقهية ؛ لأنا وجدنا أناساً مشتغلين بذلك متعرضين لذلك فاكتفينا بهم ، فبقينا على علوم التصوف ، ولو علمنا أحداً يكفي فيها لاشتغلنا بعلوم الحقائق "[٢] .

وبعد كل هذه النصوص الشيقة أظنك أيقنت من تمكن هذا الإمام من ناصية العلوم الشرعية ، وعلمه بعللها ، وقدرته على فهم ملابساتها ، وتنزيلها على الواقع ، وحمل الناس عليها .هذا وبالله التوفيق .



(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١ / ١٨ - ١٩ .

(٢) ((غاية القصد والمراد)) : ٢ / ١٧٣ .

فصل فيه ضوابط التصوف

التصوف هو : العلم الذي يعنى بتهذيب الباطن من جميع الرعونات النفسية ، من خلال إعمال تعاليم الشرع بإخلاص وصدق ، وثمرته الولاية والمعرفة بالله تعالى ، وعبادة الله على بصيرة منيرة .

وللإمام الحداد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تعريفه الخاص بالصوفي المتحقق ، قال فيه الصوفي المتحقق هو : " من صفى أعماله وأقواله ونياته وأخلاقه من شوائب الرياء ، وأخلصها عن كل شيء يسخط المولى ، وأقبل بباطنه وظاهره على الله تعالى ، وعلى طاعته ، مع الإعراض عمن سواه ، وقطع العلائق الشاغلة له ، عن التجرد لهذا الأمر، من أهل ومال ، وشهوة وحظ وهوى نفس ، وكان جميع ذلك مقرونا بالعلم ، واتباع الكتاب والسنة ، وهَدْي السلف الصالح ، فهو الصوفي الكامل "[1] ، فلاحظ - يرحمك الله تعالى - التزامه في تعريف الصوفي بقرنه العلم بالعمل ، واتباع الكتاب والسنة ، وملازمة الإخلاص ، تعرف منهجيته في هذا العلم الشريف .

---

(١) ((النفائس العلوية)) : صـ ٩٣ .

وفي هذا الفصل نتعرف على شذرات من منهجيته في هذا الفن الدقيق ، سيجد من خلاله القارئ الحصيف أن لهذا الإمام خطته الواضحة في مسلكه ، وقواعده الأصيلة في سيره في طريق المعرفة ، ومسالك تحصيلها ، والوصول إلى غاياتها وثمارها ، فمنه هذه النقاط المقتبسة من كتبه ، فتأملها تجد حقيقة التصوف عند الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – .

التصوف فن لا يحصل إلا بالعلم الشرعي المنضبط :

قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " وعليك بالإكثار من قراءة كتب الحديث والتفسير ، ومن مطالعة كتب القوم عامة ، فإن ذلك فتح عام وسلوك تام كما قال بعض العارفين .

ولكن ينبغي لك أن تحترز عما يشتمل من رسائلهم على الأمور الغامضة ، والحقائق المجردة ، وهذه الأشياء توجد في أكثر مؤلفات الشيخ ابن عربي ، وفي شيء من رسائل الإمام الغزالي كـ ((المعراج)) و((المضنون به على غير اهله)) .

وقد ذكر الشيخ زروق في ((تأسيس القواعد)) قاعدة في التحذير من الكتب التي تجري هذا المجرى فراجعها إن شئت ، ولم يذكر في جملتها مؤلفات الشيخ عبد الكريم الكيلاني ؛ لأنه متأخر ، ومؤلفاته عن آخرها مما ينبغي الاحتراز عنها إيثاراً للسلامة .

فإن قال قائل لا بأس علي في مطالعة هذه الكتب ، لأني آخذ ما أفهمه وأسلم لما لا أفهمه لقائله (قيل له) قد أنصفت ، ونحن إنما نخشى عليك مما

تفهمه أن تفهمه على غير وجهه فتضل عن سواء السبيل ، كما وقع ذلك لأقوام عكفوا على مطالعة هذه الكتب فصاروا في زندقة وإلحاد ، وقالوا بالحلول والاتحاد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "[١] .

موقفه من الكرامات والمكاشفات :

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " ومن أضر شيء على المريد طلبه للمكاشفات ، واشتياقه إلى الكرامات ، وخوارق العادات ، وهي لا تظهر له ما دام مشتهيا لظهورها ؛ لأنها لا تظهر إلا على يد من يكرهها ولا يريدها غالبا .

وقد تقع لطوائف من المغرورين ؛ استدراجا لهم ، وابتلاء لضعفة المؤمنين منهم ، وهي في حقهم إهانات وليست كرامات ، إنما تكون كرامات إذا ظهرت على أهل الاستقامة ، فإن أكرمك الله - أيها المريد - بشيء منها فاحمده سبحانه عليه.

ولا تقف مع ما ظهر لك ولا تسكن إليه ، واكتمه ولا تحدث به الناس ، وإن لم يظهر لك منها شيءٌ فلا تتمناه ولا تأسف على فقده .

واعلم أن الكرامة الجامعة لجميع أنواع الكرامات الحقيقيات والصوريات هي الاستقامة المعبر عنها بامتثال الأوامر، واجتناب المناهي ظاهرا وباطنا ، فعليك بتصحيحها وإحكامها ؛ تخدمك الأكوان العلوية والسفلية ، خدمة لا تحجبك عن ربك ، ولا تشغلك عن مراده منك "[٢] .

---

(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٤٩ - ٥٠ .

(٢) ((آدب سلوك المريد)) : صـ ٤٦ .

صفات الشيخ المرشد :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مبيناً صفات الشيخ المرشد : " وكن شديد الحرص على طلب شيخ صالح مرشد ناصح ، عارف بالشريعة ، سالك للطريقة ، ذائق للحقيقة ، كامل العقل واسع الصدر، حسن السياسة ، عارف بطبقات الناس ، مميز بين غرائزهم ، وفطرهم ، وأحوالهم ..

فإن ظفرت به فألق نفسك عليه ، وحكمه في جميع أمورك ، وارجع إلى رأيه ومشورته في كل شأنك ، واقتد به في جميع أفعاله وأقواله ؛ إلا فيما يكون خاصا منها بمرتبة المشيخة[١] ، كمخالطة الناس ومداراتهم ، ودعوة القريب والبعيد إلى الله وما أشبه ذلك فتسلمه له "[٢].

طريق الوصول إلى مقام الصديقية :

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " وإن سرك أن تكون من الصديقين فلا تدخل في شيء من العادات - فضلاً عن العبادات - حتى تبحث وتنظر هل دخل فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو أحد من الصحابة الأئمة ، فإن لم تجدهم دخلوا فيه مع القدرة على ذلك فأمسك عنه ، وإن شملته الإباحة ، فإنهم ما أمسكوا عنه

---

(١) أي ينبغي للمريد أن لا يتعدى طوره فيدخل فيما لا يحسن من الأمور التي ليست بمستطاعه ، ولا يلم بها وبعلاجها بشكل صحيح إلا الشيخ الراسخ ، فإنه إن تجاسر على ذلك فقد يتضرر لعدم رسوخه ؛ بل قد ينجر إلى مهلكة من المهالك فيهلك بها .

(٢) ((آدب سلوك المريد)) : صـ ٥١ .

إلا لخير علموه في تركه ، وإن رأيتهم دخلوا فيه فاعرف أولاً كيفية دخولهم فيه واقتد بهم في ذلك ، وقد أمسك بعض العلماء عن أكل البطيخ وقال قد بلغني أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أكله ولكن لم يبلغني كيفية تناوله له فلذلك أتركه "[١] .

ثم ذكر تتمة تتصل بما ذكر فقال : " واحذر من مطالبة الشيخ بالكرامات والمكاشفة بخواطرك فإن الغيب لا يعلمه إلا الله ، وغاية الولي أن يطلعه الله على بعض الغيوب في بعض الأحيان ، وربما دخل المريد على شيخه يطلب منه أن يكاشفه بخاطره فلا يكاشفه وهو مطلع عليه ، ومكاشف به ، صيانة للسر ، وسترا للحال ، فإنهم - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - أحرص الناس على كتمان الأسرار وأبعدهم عن التظاهر بالكرامات والخوارق وإن مكنوا منها وصرفوا فيها .

وأكثر الكرامات الواقعة من الأولياء وقعت بدون اختيارهم ، وكانوا إذا ظهر عليهم شيءٌ من ذلك يوصون من ظهر له أن لا يحدث به حتى يخرجوا من الدنيا ، وربما أظهروا منها شيئا اختيارا لمصلحة تزيد على مصلحة الستر "[٢] .

طرق التصوف وإن تعددت فهي طريقة واحدة:

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " طرق التصوف وإن تعددت فهي طريقة واحدة ، وهي مجاهدة النفس ، والخروج من كل ما تدعو إليه ، وهذا أمر عسر "[٣] .

---

(١) ((آدب سلوك المريد)) : صـ ٤٦ .

(٢) نفس المصدر : صـ ٥٣ .

(٣) ((تثبيت الفؤاد)) : ١ / ٣٨ .

ربطه كمال المعرفة بالاستقامة على الشريعة :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " إنما يستدل على كمال الشخص ، بتأديته الفرائض على كمالها لأنها عمود الدين ، فمن أقامها بواجباتها وسننها وحضورها من غير وسوسة ، دل ذلك على كماله ، وحسن عناية ربه به ، وإن عكس دل ذلك على عكس ما ذكر "(١) .

ليس معنى الزهد الخروج عن الدنيا بالكلية :

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " واعلم أنه لا يتعين على الإنسان إذا أراد الدخول في طريق الله أن يخرج من ماله إن كان له مال ، أو يترك حرفته وتجارته إن كان محترفا أو متجرا ؛ بل الذي يتعين عليه تقوى الله فيما هو فيه والإجمال في الطلب ، بحيث لا يترك فريضة ولا نافلة ، ولا يقع في محرم ولا فضول لا تصلح الاستعانة به في طريق الله "(٢).

نصحه لمن قال بترك التكاليف الشرعية من المخلطين :

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ناصحاً لمن قال بإسقاط التكاليف الشرعية اغتراراً بالوصول إلى الحقيقة : " أما بعد : فأعلم يا محمد أنه كان يبلغني عنك ، من الإقبال على الله وعلى طاعته ، ومن الإعراض عن الدنيا وأهلها ، ما استُغرب وجود مثله في هذا الزمان المبارك ، الذي عزّ فيه وجود المقبلين على الله ، لاشتغال

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)): ١/ ١٢٣ .

(٢) ((آداب سلوك المريد)) : صـ ٤٠ .

أهل الزمان بعمارة الدنيا وجمع حطامها ، وكنت أحبك لذلك ، وأقول بتعظيمك وإجلالك ، إلى أن بلغني عنك بالاستفاضة ، أنك قد خلعت العذار ، وهدمت الجدار، ووقعت - والعياذ بالله - في ترك الفرائض من الصلاة والصيام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولو بلغني عنك الانهماك في المباحات ، والتساهل بترك شيء من النوافل المقربات ، لكنت أعد ذلك من المصائب في حقك ؛ لأن السالك الصادق ، لا يزال في مزيد من المعرفة والعبادة ، إلى أن يخرج من الدنيا ، وذلك علامة صدقه ، فإذا ظهر عليه أثر من التقصير، دل على ذلك على وقوفه أو على فتوره ، كما قال أبو سليمان - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " لو وصلوا ما رجعوا " ، يعني إلى الكسل والراحات المباحات ، فكيف بمثل هذا الأمر ، الذي ينحط به فاعله عن درجة العوام ، ويقدح في أصل الإسلام .

وبيان ذلك .. أن الأمة قد أجمعت سلفا وخلفاً ، على أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلف : الذي هو البالغ العاقل إلا بالموت ، أو بزوال العقل ، وقد سألتُ عن عقلك فأخبرت أنه لا بأس به .

وإذا ترك المسلم شيئاً من التكاليف نُظر، فإن كان تركه عن جحود ، فهو مرتد ، أو عن كسل استتيب ، فإن تاب وإلا قتل ، وفي هذا تفصيل محله كتب الفقه.

وقد ظهر لي أنك لست عند ذا ولا عند ذاك ، ولكن للشيطان – لعنه الله – تلبيسات تشبه الحق ، وهي الباطل المشئوم ، يلبّس بها على السالكين لطريق الله ، فمن عصمه الله منهم لم يلتفت إليها ، وضرب بها وجه اللعين ، ومن تخلفت عنه العناية الإلهية منهم اغتر بها ، فتورط في ورطات الإلحاد والزندقة .

فمن تلبيساته : أن يقول للسالك : إن التكاليف طريق إلى الله تعالى ، وأنت قد وصلت إليه ، فما تصنع بها ؟

ومنها أن يقول له : أنت في عين الجمع على الله ، وفي العبادات المتنوعة ما يجلب التفرقة .

ومنها أن يقول له : إن التكاليف تليق بأهل الغفلة لتقودهم إلى الحضور مع الله في بعض الأحيان ، فأما من كان عاكفاً بقلبه على الحضرة القدسية على الدوام ، فهي في حقه حجاب .

ومثل هذا كثير يقع للسالكين .

ولا ينبغي لك أن تقول : أنا مقبل على الله ، ومشتغل به ، فكيف يُمكّن الشيطان من إغوائي ، فاعلم أنه عامّ الإغواء ؛ قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٣ – ٦٤] ، والحفظ من اتباعه على ضلالته هو الخاص؛ ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] .

وتأمّل ما جرى لأبيك آدم حين أكل من الشجرة ، ولسيد المرسلين حين أدخل في قراءته ما ليس منها ، ولست أكرم على الله من الأنبياء المعصومين .

وقد سمعت أولا عن الأولياء المحفوظين ، فاسمع عن الإمام المجمع على ولايته وقطبانيته ، سيدي عبد القادر الجيلاني ، واقعة وقعت له مع الشيطان ، وذلك أنه رأى في بعض سياحاته نوراً قد ملأ الأفق ، وفيه صوت يقول : يا عبد القادر أنا ربك ، وقد أسقطت عنك التكاليف : فقال الشيخ : كذبت يا لعين ، وأعرض عنه ، فلم يزل ذلك النور يضمحل حتى برز منه الملعون ، وقال لسيدي الشيخ : إنك قد ثبتَّ ، وإلا فقد فتنتُ قبلك سبعين من أهل الطريق .

ونحن نكشف عوار هذه التلبيسات المذكورة ، بكلام وجيز من الحق المؤيد بالكتاب والسنة ، وكلام أئمة الطريق .

وأما قول الشيطان للسالك : إنك قد وصلت إلى الله ، فخرجت عن عهدة التكاليف ، فاعلم أن خطور مثل هذا الخاطر ، يدل على عدم الوصول ؛ لأنه من الباطل الذي يحفظ الواصل عن مثله ، بل ربما دل خطورة على عدم السلوك رأسا.

وبيان ذلك أن السالك لا بد وأن يكون له بصيرة في العلم ، بحيث يعلم أن الشارع لم يرخص في ترك شيء من التكاليف للمكلف ، وما أبعده عن طريق الله إن قدّم وسواس الشيطان على قول الشارع ، الذي لا ينطق عن الهوى ولا على التنزيل ؛ فمراتب الوصول غير متناهية ، وإنما يقال : وصل على معنى :

إنه انتهك حجاب قلبه الذي يحجبه عن ربه .

ولا وصول للواصل إلى ما لم يصل إليه ، من منازل القرب إلا بالملازمة ، والمواظبة على الأمر الذي هو السبب في الوصول إلى ما وصل إليه ، وليس ذلك إلا بالفرائض والنوافل ، ولو لم يكن في التكاليف إلا كونها سببا في حصول الوصول ، لكانت تجب المحافظة عليها لذلك ، وللشفقة على العامة أن يقتدوا به ، أو يظنوا به السوء ، كيف وتركها يدل على المقت والطرد ، والسلب والبعد ، ولو صدر ذلك من أكمل الكمّل ، لكان يهوي من أعلى درجات الصديقية إلى أسفل دركات الزندقة .

وقد شنع المحققون على من يقول بإسقاط التكاليف عن الواصل ، فبلغنا عن الجنيد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أنه قيل له : هل يبلغ أهل المعرفة إلى حد تسقط معه الحركات من أعمال البر ؟ فقال : إن هذا عظيم ، والذي يسرق ويزني أحسن حالا ممن يقول هذا ، ولو عشت ألف سنة ، لم أترك ذرة مما أنا عليه من أعمال البر .

وقيل لأبي على الروذباري : أن قوماً يتركون التكاليف ويزعمون أنهم وصلوا ، فقال : نعم ولكن إلى سَقر .

وقال الإمام الغزالي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : قتْلُ واحد ممن يقول هذه المقالة وما أشبهها ، أنفع للإسلام من ألف كافر، وما بلغنا عن أحد ، ممن له أدنى قدم في طريق الله أنه ترك شيئاً من الفرائض لغير عذر شرعي ؛ بل قد عتب العارفون على

من يقتصر من العارفين على الفرائض ويدع النوافل ، وقالوا : إن المدد والمزيد محبوس عنه وممنوع منه ، ذكر ذلك صاحب « العوارف » وغيره.

ولن يفارق السالك الواصل في شيء من الأمور إلا في أمرين :

الأول : حصول الكشف .

والثاني : القيام بالفرائض ، مقروناً باللذة والراحة ، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : « **أرحنا بها يا بلال** » ، « **... وجعلت قرة عيني في الصلاة** » .

والسالك يقوم بوظائف العبودية مع المشقة والمجاهدة ، ومن قال بغير هذا فليس من أهل الطريق ، ولا عنده خبر من الذوق والتحقيق.

وإنما مثل الذي يقول بسقوط التكاليف عن الواصل ، كمثل الذي يغرس شجرة ويتعاهدها بالسقي حتى تثمر ، فإذا أثمرة أخذ الثمرة الأولى ، وقطع الشجرة من أصلها ، فلم يبق بيده ثمرة ، ولا شجرة ، ولو أنه استبقى الشجرة ، ولم يزل يسقيها ، لنمت وأعرقت ، ودامت ثمارها وكثرت .

ومثله أيضاً كمثل عبد وقف على باب ملك للخدمة ، فلم يزل يرتقي بأدبه وحسن خدمته حتى صار من جلسائه ، فلما حصل في مجلسه ، جعل يحرق أثواب الملك ، ويوسخ بها فراشه ، ألا يستوجب الطرد والعقوبة ؟ ولو أنه عقل لكان يزيد أدبه ، وخدمته للملك في حضرته أضعافاً مضاعفة على ما كان عليه من قبل .

وأما قول اللعين للسالك : إنك قد صرت في عين الجمع ، والعبادات المتنوعات تخرجك عمّا أنت فيه .

فاعلم – وفّقت – أن الجمع عبارة عن تجلي نور الحق لقلب عبده ، وهذا لا يكون على الدوام ، وأكثر ما يرد هذا الوارد على أهل الله وأحدهم في صلاة أو تلاوة أو ذكر، كما بلغنا عن الإمام علي بن الحسين – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا – انه احترق بيته وهو يصلي فلم يشعر، وقطعت رجل أحدهم وهو في الصلاة فلم يحس .

وفي العبادات وتنوعها كالصلاة من القيام والركوع والسجود وغير ذلك سر لطيف ، وهو أن مظاهر الصفات والأسماء الإلهية متنوعة ، ويكون كل نوع من المعاملات الدينية قالباً لمظهر من المظاهر الربانية ، فلا يستوفي العارف جميع المظاهر الإلهيات حتى يقوم بجميع أنواع العبادات .

وقد قال بعض المحققين : من كان له مع الله حال يفقده في حال المعاملة ويجده إذا تركها ، فهو مخدوع ممكور به ، وإن مشى على الماء وطار في الهواء.

ومن وجد حاله مع الله في العبادات وفقده في العادات ، فهو غير متمكن .

وبيان ذلك : أن حركات المحقق وسكناته ، في ظاهره وباطنه كلها عبادة ؛ لأنه لا يدخل في شيء من المباحات إلا بنية صالحة.

هذا حال صاحب البقاء ، وهو بعد الفناء ، وقد يستغرق الفاني في حال فنائه بربه ، فلا يحس بنفسه ، ولا بشيء من الكائنات ، وهذا الوارد إذا ورد

لا يبقى طويلا ، فإن اتفق فوات شيء من المكتوبات بسببه ، فقد كانوا يقضونه إذا فاقوا ، كما بلغنا عن الربيع بن خَيْثم أنه سمع قارئاً يقرأ فخرّ مغشياً عليه فمكث ثلاثة أيام ، فلما سري عنه قضى ما فاته من الصلاة ، وصاحب هذا الحال لا يأكل ولا يشرب ، وإنما يكون كالثوب الملقي .

وأما من ظهر له شيء من الحقائق فتلف بسببها عقله ، فصار مفقود التمييز، كالأطفال والمجانين ، فغير معدود من أهل الكمال ، وإياه يعنون بقولهم : من كان في الله تلفة فعلى الله خلفه .

ومن الكمال عند أهل الكمال : أن تشغلهم العبادات عن العادات ، ولا تحجبهم عن المعبود ، فقد كان منهم من يسهر ويطوي الليالي والأيام الكثيرات المتتابعات ، ولا يؤثر ذلك فيهم شيئاً .

ومثل الذي يدعي أن العبادات تورثه الحجاب عن الله ، كمثل الذي يقول: إن الملك متى خدمته وتأدبت بين يديه حجبك عن مشاهدته ، فهل شيء من الحماقات أعظم من هذا .

وأما قول العدو للسالك : إنما التكاليف سياسة من الله للعوام ، ليحضروا معه في بعض الأحيان ، والذي يكون حاضراً مع الله على الدوام مستغن عنها .

فاعلم أن الحضور مع الله لا يتصور وجوده إلا في شيء من المعاملات الدينية ، وهي تجري منه مجرى الأجساد من الأرواح ، فكما لا يتصور في هذا العالم

روح إلا في الجسد ، كذلك لا يتصور وجود الحضور إلا في شيء من العبادات .

ومن زعم أن التكاليف تليق بالعامة دون الخاصة ، فقد استهان بالشرع ، والاستهانة به كفر صريح .

ولا يصير العبد من خصوص المؤمنين حتى يقوم بجميع التكاليف ، التي لا يسع تركها أحداً من المسلمين ، ولا عامّاً ولا خاصّاً ، ويزيد عليها من النوافل المقربة إلى الله تعالى حسب طاقته وإمكانه.

ولا يصح عند المحققين قول من قال : إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والكمّل من أمته ، لم يثابروا على فعل النوافل ، وعلى التحرز من الاتساع في المباحات ، إلا الشفقة على العامة أن يقتدوا بهم ، وفي ترك النوافل وفي الاتساع في المباح ، مع غلبة حظوظ النفس عليهم .

كلا بل لم يكن غرضهم من المثابرة على النوافل ، والتحرز من الاتساع في المباح ، سوى طلب القرب والزلفى من الله ، يدل على ذلك أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان ينهانا عن أشياء من النوافل ويفعلها هو، كالوصال في الصوم ، والركعتين بعد العصر ، وفرض قيام الليل ، وأشياء من العبادات ، وهي لنا نفل .

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقوم من الليل حتى تورمت قدماه ، ونودي بالصلاة في مرضه الذي مات فيه ، فأمر بماء يوضع له ليتوضأ فأغمي عليه ، ثم أفاق فأمر به فأغمي عليه، ثم أفاق فأمر به ثم أغمي عليه ، فلما أفاق أمر أبابكر

أن يؤم بالناس .

وقد كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحب أن يعمل بالعمل من البر ، فما يمنعه منه إلا مخافة أن يفرض علينا ، هكذا روي عنه ، فما أشفقه علينا، وأرحمه بنا ، وأحرصه على هدايتنا ، وإنقاذنا من عذاب الله ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته .

ولنختم هذه الرسالة بذكر شيء يسير من أفعال هذه الطائفة ، وأقوالهم وأحوالهم الدالة على تعظيم الشريعة ، وعلى المحافظة على نوافلها ، فضلا عن فرائضها ، وأنهم كانوا معروفين بذلك مشهورين به من سائر الطوائف .

فمن ذلك : ما بلغنا عن أبي يزيد أنه قصد إلى زيارة رجل يذكر بالصلاح ، فانتظره في مسجد وخرج الرجل فألقى نخامة في المسجد ، فرجع الشيخ ولم يجتمع به ، وقال : لا يؤمن على أسرار الله من لم يحافظ على آداب الشرع .

وقال : هممت أن أسأل ربي أن يكفيني مؤنة النساء ، ثم قلت : إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يسأل ذلك فتركته ، فكفاني الله مؤنتهن حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط .

وسجَنَ السلطانُ ذا النون فأدخلت له امرأة صالحة طعاماً ، يعلم حلّه على يد السجان ، فرده واعتذر إليها ، بأنه وصله على يد ظالم ، وكان يقول : " للعارف ثلاث علامات : أن لا يطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه ، وأن لا يعتقد باطنا من

العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، وأن لا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارمه " .

وكان إبراهيم بن أدهم يحرس بستاناً لبعض الأغنياء ، فخرج صاحب البستان إليه وقال له : هات شيئاً من الفواكه الحلوة ، فجاءه بشيء حامض ، فقال له : أنت في البستان منذ زمان ولا تفرق بين الحامض والحلو، فقال له : يا هذا إني لم أذق من فاكهة بستانك شيئاً.

وكان إبراهيم الخواص به داء الإسهال ، فكان كلما أحدث توضأ ، فاتفق أنه توضأ في ليلة أكثر من سبعين مرة ، وفي آخرها قام ليتوضأ فخرجت نفسه وهو في الماء .

ورُئي الجنيد – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – وفي يده سبحة ، فقيل له : مثلك يحمل السبحة ! فقال : طريق وصلنا به إلى الله لا نتركه .

ودخل عليه إنسان وهو في الموت ، فسمعه يختم القرآن ، فقال : يا شيخ في مثل هذا الحال تقرأ ؟ فقال : ومن أولى بذلك مني ، وهو ذا تطوى صحيفتي .

وقال الجنيد : " لو أقبل مقبل على الله ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة ، لكان الذي فاته أكثر من الذي حصل له " .

ومَرَّ رُويم في بعض شوارع بغداد وهو عطشان ، فاستسقى من بعض الدور ، فخرجت إليه صبية بها فلما رأته قالت : صوفي يشرب بالنهار ! فلم يفطر

بعد ذلك حتى خرج من الدنيا .

وسئل صاحب للشبلي عنه ، كيف كانت محافظته على الشريعة ؟ فقال : " أشار عليَّ إلى أن وضئني للصلاة ، وهو في النزع ، وقد أمسك لسانه ، فنسيت أن أخلل لحيته ، فأخذ بيدي فأدخلها في لحيته .

ولما حضرت الوفاةُ خَيِّراً النساج سمعوه يقول : قف عافاك الله حتى أصلي ، فإن الذي أمرت به يفوتني ، والذي أمرت به لا يفوتك ، ثم قام للصلاة فصلى ، فلما سلم خرجت روحه ، رحمهم الله ورحمنا بهم ، ورزقنا متابعتهم والاهتداء بهديهم ، وجمع بيننا وبينهم في دار كرامته .

وهذه يا محمد نصيحتي لك ، وقد أديتُ بها فرض فرضه الله عليَّ ، فإن سمعت وأطعت ، وقبلت النصح وتركت ما أنت عليه ، وقضيت ما فوّته من الصلاة والصيام ، وانشرح صدرك لذلك ، فأبشر فقد أحسنت إلى نفسك ، وعسى الله أن يغفر ما سلف ، وما ذلك على الله بعزيز.

وإن تماديت في الجهالة ، وأبيت إلا الإصرار على البطالة ، والعكوف على الضلالة ، فعلى الله حسابك ، وإليه إيابك ، وما ربك بظلام للعبيد "[1] .

أقول : فتأمل أخي هذه الرسالة ؛ فإنها قد احتوت على أبرز معالم التصوف لرجال المدرسة الحضرمية ، وأنه الكتاب والسنة ، وتجربة الأسلاف العدول

---

(١) ((مكاتبات الإمام الحداد)) : ١/ ٥٧ - ٦٢ .

المنبثقة عنه لا غير ، وفي الرسالة ضوابط التصوفي السني ، ودقته في ملاحظة رعونات النفس ، ووسوسة الشيطان ، والتفريق بين هذه الحيل المردية والتمسك بمنهج الله ، فرضي الله عن هذا الإمام الورع المحافظ على روح الشريعة .

تحذيره من بعض اخطأ المتصوفة:

ذكر – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – : " أقواماً يدّعون أنهم فقراء للشيخ أحمد بن علوان ، وآخرين أنهم فقراء للشيخ أحمد الرفاعي ، يقال لهم الرفاعية ، يتعاطَون أموراً منكرة ، فقال : إنهم دَفّاعية ، لا رفاعية ، والشيخ أحمد الرفاعي مناقبه عندنا ، ليس فيها هذه الأفعال ، وإنما هي بدعة ، وإذا رأيت بدعة فتَقَرَّب إلى الله بمخالفتها[1] .

أقول : وفي هذا نقده لأدعياء التصوف ؛ وربطهم له بمظاهر لا تعود إلى أصله ، ولا تنتمي إلى ماهيته ، ولم يفعلها أئمة الطرق أنفسهم ، والمتتبع لهذا الأمر يجده منتشرا في كلام الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – .

وبالجملة فقد كان الإمام الحداد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – وقافاً مع الكتاب والسنة ، شديد التمسك بها ، ضابطاً لكل حالاته وحالات زمانه بنورهما ، وفي هذا الصدد يقول : " وعليك بالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما ، فإنهما دين الله القويم وصراطه المستقيم ، من أخذ بهما سلم وغنم ورشد وعصم ، ومن حاد عنهما ضل وندم وحاد وقصم ، فاجعلهما حاكمين عليك ، ومتصرفين فيك ،

---

(١) ((تثبيت الفؤاد)) : ١/ ٢١٣ .

وارجع إليهما في كل أمرك ، ممتثلاً لوصية الله ووصية رسوله ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] ومعنى قوله : فردوه إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسنة .

وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ : ((**أوصيكم بما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي**)) .

فإن سرك أن تكون على الهدى سالكاً للمحجة البيضاء التي لا عِوج فيها ولا أمتا ، فاعرض جميع نياتك وأخلاقك وأعمالك وأقوالك على الكتاب والسنة ، فخذ ما وافق ودع ما خالف ، واعمل على الاحتياط ، واتبع الأحسن أبداً ، ولا تبتدع في الدين ، ولا تتبع غير سبيل المؤمنين فتخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

(**وإياك**) ومحدثات الأمور ومختلفات الآراء ، فقد قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ : ((**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)) وقال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ : ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)) .

والبدع ثلاث : (بدعة حسنة) وهي : ما رآه أئمة الهدى مما يوافق الكتاب والسنة من حيث إيثار الأصلح والأنفع والأحسن ، و ذلك كجمع القرآن في مصحف لأبي بكر ، ونصب الديوان وصلاة التراويح لعمر ، وترتيب المصحف

والأذان الأول يوم الجمعة لعثمان ، وأحكام قتال البغاة لعلي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وعن الخلفاء الأربعة.

والثانية : (بدعة مذمومة) على لسان الزهد والورع والقناعة فقط ، وذلك كالتوسع في الملابس والمآكل والمساكن المباحة .

والثالثة : (بدعة مذمومة مطلقاً) وهي : ما خالف نصوص الكتاب والسنة ، أو خرق إجماع الأمة ، وقد وقع من هذا النوع للمبتدعة كثير في الأصول ، وقل وقوعه في الفروع .

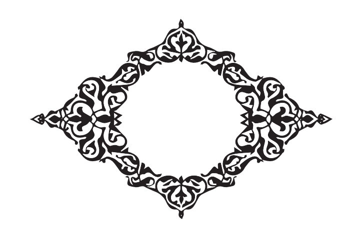
وكل من لم يبالغ في التمسك بالكتاب والسنة ، ولم يبذل وسعه في متابعة الرسول ، وهو مع ذلك يدعي أن له مكانة من الله تعالى ، فلا تلتفت إليه ولا تعرِّج عليه ، وإن طار في الهواء ومشى على الماء ، وطويت له المسافات وخرقت له العادات ، فإن ذلك يقع كثيراً للشياطين والسحرة والكهان والراقين والمنجمين ، وغيرهم من الضُّلال ، ولا يُخرِج مثلَ ذلك عن كونه استدراجاً وتلبيساً ، إلى كونه كرامة وتأييداً ؛ إلا وجود الاستقامة فيمن ظهر عليه ، وهذا المغرور وأمثاله إنما يلبسون على الغوغاء والسفلة الذين يعبدون الله على شك ، وأما أولو العقول والألباب ، فقد علموا أن تفاوت المؤمنين في القرب من الله على حسب تفاوتهم في متابعة الرسول ، وأنه كلما كانت المتابعة أكمل كانا لقرب من الله أتم ، وكانت المعرفة به أجل .

وقد قصد أبو يزيد البسطامي إلى زيارة رجل يوصف بالولاية ، فقعد له في المسجد فلما خرج حضرته نُخامة فرمى بها في حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به ، وقال : كيف يؤمن على أسرار الله من لم يحسن المحافظة على آداب الشريعة.

وقال الجنيد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " كل الطرق مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ " .

وقال سهل بن عبد الله – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : " لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليها "[١] ، فبتأمل هذا النص وأمثاله تتضح لنا منهجية الإمام الحداد في تصوفه ، وأنه سلك مسلك التصوف المحتاط الملتزم بقواعد الشريعة وأصولها وهو ما أشار إليه بقوله[٢] :

وَالْزَمْ كِتَـابَ اللهِ وَاتْبَعْ سُـنَّةً وَاقْتَـدْ هَدَاكَ اللهُ بِالأَسْـلاَفِ



(١) ((رسالة المعاونة)) : صـ ٦٣ – ٦٥ .

(٢) ((الدر المنظوم)) : صـ ١٩١ .

الخاتمة والنتائج

١. الإمام الحداد عالم فذ تمتع بخلفية معرفية موسوعية استوعب من خلالها معظم العلوم الشرعية والتصوف واللغة والأدب والتاريخ ، وجميع فنون العلوم النافعة .

٢. من النظر في كتبه بان لنا أنه لا يكتب إلا في الجوانب التي يحتاج لها زمانه ، وأن بقدرته الكتابة بشكل أعمق ولكنه ترك ذلك ؛ لأن غرضه النفع والدلالة الواضحة وليس تحيير العامة .

٣. انطلق الإمام الحداد في جميع علومه من الكتاب والسنة وأسس عليهما جميع استنباطاته وفهومه ؛ ويرى أن أصل العلوم عائدة إلى هذين الأصلين ؛ ولذا نجده يكثر من الحث على إدامة النظر فيهما .

٤. يحث الإمام الحداد على عدم تشتيت قدرات المتلقي في التعليم ، وتأسيس العلم في عقولهم بصورة التدرج من الأبسط فما فوقه ؛ فإن للأمور أوائل وأوساط ونهايات وكل ذلك يجب أن يراعى .

٥. أمضى الإمام الحداد حياته في القراءة والمطالعة ، وحث عليها حثاً بالغاً ،

واقتنى مكتبة ضخمة استوعبت أسفار العلم المختلفة ، وأهاب بتلاميذه وحثهم على مطالعة العلوم وتحقيقها ؛ بعد أخذ مفاتيح العلوم وقوانينها من الشيوخ الراسخين .

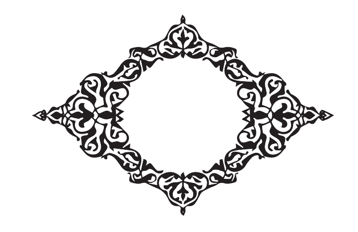
٦. أشار الإمام الحداد أن الشيوخ يمنحون التلاميذ مفاتيح العلوم وطرق تحصيلها ؛ وأن المكنة فيها ترجع إلى حسن مطالعاتهم ومدارساتهم لفنون العلم ، وديمومة تفتيشهم عن مسائل العلم والضبط لقواعده وأصوله .

٧. ذهب الإمام الحداد إلى أن العقائد يكفي فيها معرفة الحد اللازم مما هو صريح في الكتاب والسنة وكلام ائمة السلف ، وأن التوسع في علم الكلام ينبغي أن يكون لمن يعالجون الشبه والتشككات في هذا المجال ؛ وليس للعامة وصغار طلاب العلم ، ممن تكفيهم عقيدة الإمام الغزالي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وما قاربها من العقائد الواضحة السهلة .

٨. يقول الإمام الحداد بإيمان المقلد ، ويستدل بمسلك رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تعليمه لأجلاف العرب مبادئ الدين من غير اشتراط الاستدلال والنظر .

٩. يرى الإمام الحداد أن قوة الإيمان واليقين ، الأصل في ترسيخها الاستقامة ، وإدامة العمل الصالح ، وصيانة الجوارح والقلب عن العوارض والقوادح الحاجبة ، وأنه مع ملازمة الإخلاص والفكر والذكر ، يقوى الإيمان وترسخ العقيدة ويستنير الباطن .

١٠. تصوف الإمام الحداد هو التصوف المنضبط المؤصل، ولذا نراه يبتعد عن التصوف الشاطح، ويحذر من ممارسات كثيرة يراها مناقضة للتصوف ودخيلة عليه ومناقضة لأصوله كما تراه في الفصل الأخير من هذه الدراسة.



توصيات البحث

١. نوصي بقراءة جميع ما كتب عن الإمام الحداد بغرض دراسة الحياة العلمية في عصره ، ومعرفة أنواع العلوم السائدة في زمانه وحصرها ، مع حصر المؤلفات لتلاميذه ، والحديث عن نشاطهم العلمي .

٢. السعي في بلورة الرؤية العلمية عند الإمام الحداد في كل العلوم بشكل تفصيلي يوضح هذه الجوانب بعمق وروية ، ولو بإفراد كل جانب بدراسة خاصة تسبر أغواره وتخوض في أعماقه ، وتجلي أبعاده ، ولو كلف كل باحث بشق معين من هذه الدراسات لكان أنفع وأحسن .

٣. متابعة أبعاد الحياة السياسية في عصره ، وكيف تعامل مع الأفكار الدخيلة على المجتمع الحضرمي كالمد الزيدي ونحوه .

٤. إحياء ما كان عليه السلف من حب للعلوم والمعارف ، والعمل بها ، ونشرها ، والتخلق بأخلاقهم الكريمة ، وإحياء العلاقة بالكتاب وقراءته وعشقه واستخلاص ما فيه لبناء الحضارة الراشدة التي لا تؤسس إلا على أساس العلم والمعرفة . هذا وبالله التوفيق .

قائمة بأهم مصادر ومراجع الأبحاث

١) «معالم إرشادية لصناعة طالب العلم» بقلم الشيخ محمد عوامه، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، طباعة دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.

٢) الجامع الصحيح المسمى «صحيح مسلم»، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت مع دار الأفاق الجديدة – بيروت.

٣) «الفقيه والمتفقه»، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي، المحقق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر :دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة (١٤١٧هـ).

٤) «الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم» للعلامة عبد الله بن علوي الحداد، طباعة دار الحاوي ودار السنابل، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٥) «آداب سلوك المريد» للإمام عبد الله بن علوي الحداد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع.

٦) «تثبيت الفؤاد بذكر كلام مجالس القطب الإمام عبد الله بن علوي الحداد»

مما جمعه الشيخ أحمد بن عبدالكريم الحساوي الشجار ، تحرير سيدنا الإمام الحبيب أحمد بن الحسن بن عبدالله الحداد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، طبع بسنقافورا فستاك ناشيونل فريبيه ليميتد .

٧) «غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد» تأليف العلامة محمد بن زين بن سميط ، طبع بعناية علي بن عيسى الحداد ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٨) «شرح العينية» المؤلف أحمد بن زين الحبشي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، مطبعة كرجاي سنقافورا .

٩) «النفائس العلوية» للإمام عبد الله بن علوي الحداد ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع .

١٠) «عقد اليوقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية وما لهم من الإسنادات القوية وما أثر عن بعضهم من إجازة ووصية» للإمام العلامة المسند عيدروس بن عمر الحبشي ، اعتنى بتحقيقه محمد بن أبي بكر باذيب ، طباعة دار العلم والدعوة ودار الفتح للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٩م .

١١) «المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي» الطبعة الأولى ، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، المطبعة العامرة الشرفية ، مصر .

١٢) « بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان والأصحاب والأقران » تأليف العلامة محمد بن زين بن سميط ، طبع بعناية علي بن عيسى الحداد ، القاهرة ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٣) « شمس الظهيرة بتعليقات محمد ضياء شهاب » الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، طباعة عالم المعرفة جده ، السعودية .

١٤) « إتحاف المستفيد بذكر من أخذ عنهم وواخاهم السيد محمد بن حسن بن أحمد عيديد » ، طباعة دار الأصول : الجمهورية اليمنية ، تريم / حضرموت .

١٥) « شعب الإيمان » المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ) ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٦) « البرهان الجلي في ترجمة الإمام عبدالله بن علي صاحب الوهط ونماذج من شعره وأنساب ذريته وتراجم بعضهم » جمع وترتيب : أيمن بن هاشم الحبشي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م ، التنفيذ الطباعي والتوزيع مكتبة تريم الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع - حضرموت / تريم.

١٧) « كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون » المؤلف حاجي خليفة مصطفى عبدالله ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٩٩٢م .

١٨) « جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي » تأليف محمد بن أبي بكر باذيب ، طباعة دار الفتح للدراسلت والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٩م .

١٩) « الأعلام » لخير الدين الزركلي ، طباعة دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨م .

٢٠) « مكاتبات الإمام الحداد » ، طباعة دار الحاوي ، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

٢١) « الدعوة التامة والتذكرة العامة » للإمام الحداد ، طباعة دار الحاوي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٢٢) « رسالة المعاونة والمظاهرة المؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة » ، طباعة دار الحاوي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٢٣) « المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن وهو مناقب الإمام الحسن بن عبدالله بن علوي الحداد » ، طباعة مقام الإمام الحداد ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

٢٤) « رسالة آداب سلوك المريد » للإمام الحداد ، طباعة دار الحاوي ، الطبعة

الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٥) «كتاب الحكم» للإمام الحداد، طباعة دار الحاوي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٦) «النفائس العلوية في المسائل الصوفية»، طباعة دار الحاوي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

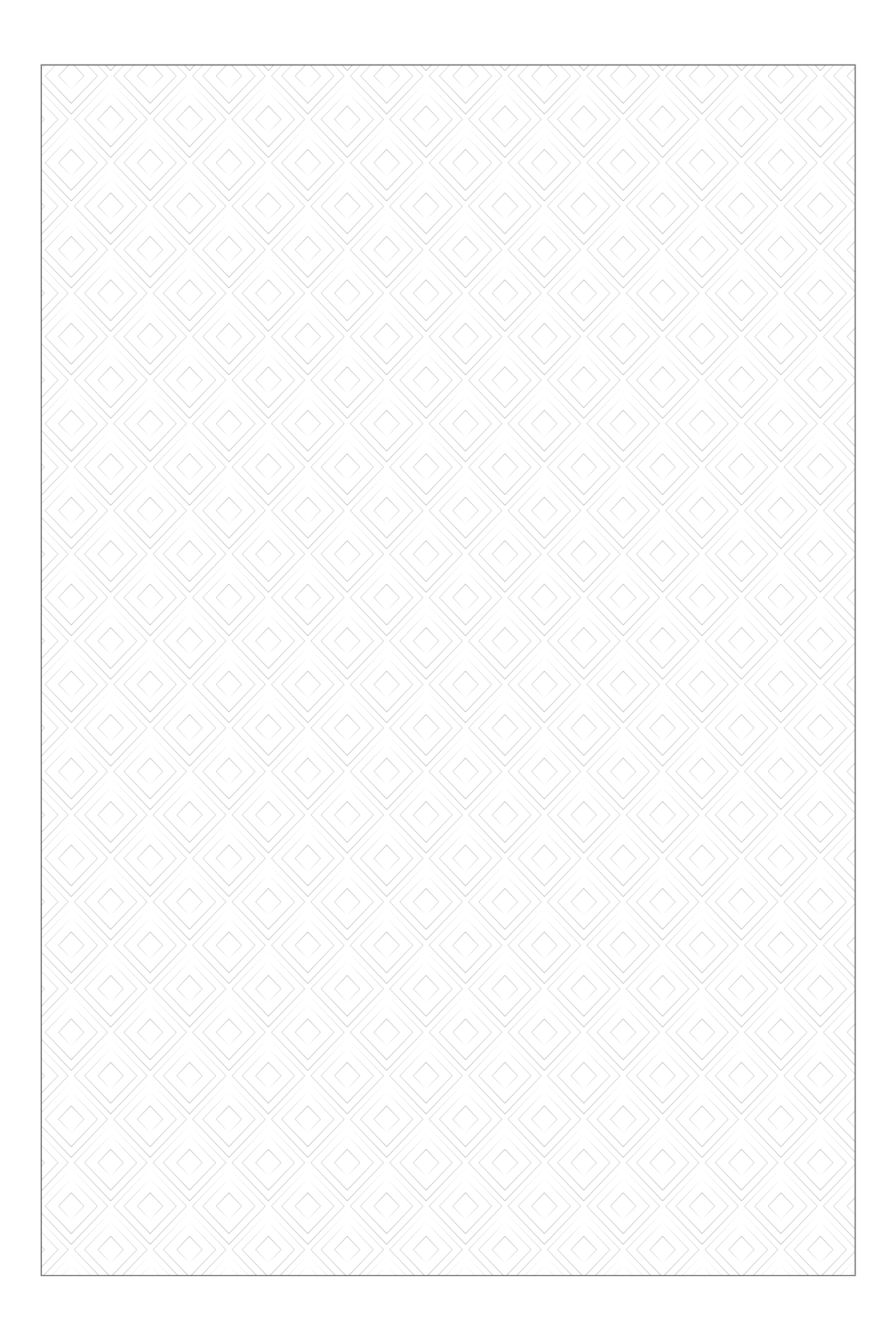
٢٧) «تاريخ الشعراء الحضرميين» تأليف المؤرخ السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف العلوي، طباعة مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ).

٢٨) «تربية الأولاد في الإسلام» للشيخ عبدالله ناصح علوان، طباعة دار السلام، الطبعة السادسة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣هـ.

٢٩) «كتاب صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل»، جمع العلامة الشيخ محمد بن عوض بن محمد بافضل.

٣٠) «الجوهر المكنون والسر المصون» ديوان الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، الطبعة الأولى.





محتوى الكتاب

البحث الثالث

البحث الرابع